



# ميراث البرغوثي

الأعمال الشعرية الكاملة

المجلد الثاني

دار الشروق

مريد البرغوثي  
الأعمال الشعرية  
المجلد الثاني  
**دار الشروق**

الأعمال الشعرية

المجلد الثاني

مريد البرغوثي

تصميم الغلاف: وليد طاهر

طبعة دار الشروق الأولى ٢٠١٣

تصنيف الكتاب: شعر

٨ شارع سيبويه المصري

مدينة نصر - القاهرة - مصر

تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩

[www.shorouk.com](http://www.shorouk.com)

رقم الإيداع ١٩٦٧٩/٢٠١٢

ISBN 978-977-09-3181-3

كأنَّ به ضِغْنًا على كُلِّ جانبٍ  
مِنَ العَيْشِ، أو شَوْقًا إلى كُلِّ جانبٍ  
(أبو تَمَّام)

رنة الإبرة  
بيروت ١٩٩٣

الإهداء  
إلى تميم البرغوثي

## غمزة

غمزةٌ من عينها في العرسِ  
وانجنَّ الولدُ!  
وكانَ الأهلَ والليلَ وأكتافَ الشبابِ  
المستعيزين من الأحزانِ بالدبكةِ  
والعمّاتِ والخالاتِ والمُختارِ  
صاروا لا أحدَ  
وحده اللويحُ، في منديله يرتجُ كلَّ الليلِ  
والبنثُ التي حصَّته بالضوءِ المصفى  
أصبحت كلَّ البندُ.  
مدَّ يَمناه على آخرها  
نفضَ المنديلَ مثنىً وثلاثاً  
ركبَ الجنَّ على أكتافِهِ ثم رماهُم، وانحنى.  
ركبَ الجنَّ على رُكبتِهِ ثم رماهُم، واعتدلَ.  
قدّمَ نَبَّتِها في الأرضِ لمحا  
ورمى الأخرى إلى الأعلى كشاكوشِ  
وأرساها وتَدَّ.  
كلما أوشك أن يهوي على سحجة كفي  
جاءه من سحبة الناي سَدُّ.  
يلقف العنمة كالشهوة من أعلى بروج الليلِ  
حتى ضوء عينها تماماً.  
يعرقُ الصَدْرُ وشعرُ الصَدْرِ  
من مَيَلاتِهِ يُمْنى وَيُسرى  
ثم يسري عرقُ الظَّهرِ عمودياً تماماً  
وحياء القلبِ خلى كلَّ ما في القلبِ يخفى  
والقميصُ الأبيضُ المبتلُّ  
من أكتافِهِ حتى جِزَامِ الجِدِّ  
خلى فقراتِ الظَّهرِ تُحصى بالعدِّ.  
غمزةٌ أخرى ولو متُّ هنا  
غمزةٌ أخرى، ولو طال انتظاري  
للأبدِ

## الحُبّ

الحُبُّ في الحياة غيرُ الحُبِّ في القصائد.  
الشَّعرُ يستحي من اللَّعبِ  
والحُبُّ طَعْمُ الملح في اللَّعابِ  
وانهيارُ مُتَحَفِ الزجاجِ كُلِّهِ  
وهو اجتناثُ حقلِ قَنَبٍ يطوِّقُ الخيالَ  
الحُبُّ دُعْرٌ من قساوةِ الجَمالِ  
نِصالُ رغبةٍ تَلالُتُ على نِصالِ  
أَحْفاقِ طيبٍ لاذعٍ تَكَسَّرَتْ على دَرَجِ  
أطواقِ فلفلٍ على مداخلِ المعابدِ.  
الحُبُّ في الحياة غيرُ الحُبِّ في القصائد.  
الشَّعرُ لا يرى الندى على نداوةِ الزغبِ  
ولا يرى سكوننا الرؤوم تحت ظاهر الصخبِ  
ولا يرى مرور كف الريح في منابت القصبِ  
ولا يرى اليد التي تمسُّ بُلْبُلَيْنِ بَنِيينِ  
يَرْجُونَ مَهْرَبًا، ولا هَرَبَ  
ولا تُورِخُ القصيدة  
لنهضةِ التديين من برائنِ الأغللِ والمكائدِ.  
الحُبُّ في الحياة غيرُ الحُبِّ في القصائد.  
الحُبُّ ركضُ الوحشِ والحنانِ في غرائبِ الجسدِ  
له غبارُهُ وغمماتُهُ  
وهولُهُ وهمماتُهُ  
له لهاتُ لاهنينِ لاهنينِ  
لا هما هنا ولا هما هناكِ.  
والشَّعرُ لا يرى الصُّراخِ  
وانهيارَ الأسقفِ المشيدةِ  
ولا يرى فكاهاةِ اليدين في تجوالها  
وحيرةَ الأكتافِ فوق حيرةِ الوسائدِ  
الحب في الحياة غيرُ الحب في القصائدِ  
الشعر يحتفي بقُبلةٍ مقيمةٍ على الشفاهِ  
وقُبلةِ الحياة نحلةً مسافرةً:  
لها التلالُ  
والظلالُ  
وانحناءُ القبابِ  
والدُرى  
والنبعُ والأعشابُ



والغمام  
ينالها من لسعة الرذاذ بعضها  
تشمُ نبتة الوديان مرّةً ومرّةً تعضُّها  
ومرّةً تنسلُّ تحت الإبط تحت القرطِ  
في طريقها لشهقة الأذن  
ومرّةً تنطُّ مثلما تنطُّ الكستناء في المواقِدُ  
الحب في الحياة غير الحب في القصائدُ  
الحب رائحة  
لم تأت من باريس في قارورة باردة  
الحب رائحة  
كأنها أشجار هالٍ  
أوشكت على النجاة من تدافع الحرائقِ.  
وجذع صندل تنطُّ حوله سنجابة تُراهقُ  
وغابة مبلولة حطابها ينام  
على مخامل الظلال أو مخامل المسام  
كأنها بريّة ساخنة لها شميمٌ غامضٌ  
تحسُّه غريزة الطرائد  
الحب في الحياة غير الحب في القصائدُ.  
الشعر يحتفي بحلوة وحيدة المثل والمثل  
كأنها مرشوشة بالسحر أو بالنور  
من أين يأتي كاتبو قصائد الغزل  
بكل «معبوداتهم» إذن؟  
من أيّ كوكب بناتُه كواكب!  
فلا هناك مَنْ على خدودها حبُّ الشباب، صدفةً،  
أو شعرها مجعدُّ أو سنُّها مكسور  
ولا هناك من لها وظيفة ولا عمل  
ولا هناك من على عيونها نظارةً،  
أو صدرها ململمٌ صغير.  
وليس بينهن واحدة  
تتابع الأخبار أو تطالع الجرائد  
الحب في الحياة غير الحب في القصائدُ.  
الحب في قصائد الإنشاء،  
غرور فارسٍ يسير في طريقه  
لفتح أرض السند  
يكون سيّدًا على خيوله  
وسيّدًا على سرير هند  
الحب في قصائد الإنشاء كذبة وكذبة.

ومثله كتابةً الأمجاد والأوطان  
والتاريخ والحروب والمواقع التي نكابد  
وكلها كالحب في الحياة غير الحب في القصائد.  
١٠/١٢/١٩٩٢

## ليلٌ وعنبٌ

ليلٌ مُكْتَنِرٌ كالعنبِ الأسمر  
يتشيطُنُ فينا، نحن الإثنين  
وسكوتك يصغي لسكوتي.  
المكرُ الناعمُ يشملنا بلطائفه  
فكأننا لا نُلقِي بالألَّا للربِّيةِ وهي تعدُّبنا  
وتطلُّ من الحيرةِ في أيدينا  
وحياءِ العينينِ وفرزاتِ الشفتينِ.  
نحلاتِ نوايانا تُودعُ لسَعَتِها  
بين أصابعنا الخجلى  
فتصيرُ النَّظراتُ يَدِينُ  
الزَّعْبُ الأشهبُ نَدَاهاتُ تَنَدُّهُنَا  
والمسَةُ برقٌ في عَيْمِينُ.  
الشهوةُ ترفعُ تنورتها قيراطينُ.  
قمر الشُّباكِ يُحكُّ النُّورَ على الخاصرةِ المثنيَّةِ  
والجسدِ العاري  
وعيونك تحكي لُعتينُ.  
المنعُ هو المنحُ الآنَ  
ولاؤك أفصحُ من نَعْمِينُ  
الآنَ أُغَطِّيكِ تمامًا بعناقيدِ العنبِ الشفافِ  
وصيحاتِ البرِّ وصيحاتِ البحرِ  
وأطلقُ من غابَةِ ليلي  
نَمْرًا في مُقْتَبِلِ العُمُرِ  
أليفاً ولعوباً كرسومِ الأطفالِ  
وَرَّ غَبْنُهُ كالرَّعدِ ترَدَّدَ في جَبَلَيْنُ  
وسنطَلِقُ في الأنفاسِ كرابيحِ  
لنصعدُ سفحَ اللَّيلِ على مهلِ  
وسنصعدُ نصعدُ حتى ترمينا قَمَتَهُ الكُحْلِيَّةُ  
في صُبْحَيْنِ اثنينِ  
في اليومِ التالي،  
أسعى لأجددَ إذنَ إقامتنا  
في بلدٍ يملكُ أنْ يطردنَا  
في غمضةِ عَيْنِ.

## شيطان

قالت، وذراعاة منهمكتان بفوضى جسدها  
من أين لك هذا الصوت؟!  
من أين لك هذه الكهرباء الناعمة  
وكلامك الذي تغمغه شفتاك وهما تعملان  
يأخذني ساخنةً ومصابةً بالسحر؟!  
كيف تخشوشين وترقن هكذا  
وتلّون صوتك المتجول هكذا؟  
كيف تخطر ببالك كل هذه الفكاهات ونحن هكذا؟!  
كيف تُقلد الوحوش والطيور والرعد هكذا  
وكيف تصرخ مدعورًا كحودي ملاحق؟!  
أيها الكاسر البريء  
أيها المسعور اللطيف  
كأنك الشيطان ذاته  
لا يهدأ إلا إذا استغثت به من شيطنته  
ويحلو لك أن تمعن في التماذي  
كلما صاحت أظفري بكتفك  
مطالبةً إياك أن ترحمني

١٩/٦/١٩٩٣

## ملابس

بعد انغلاق باب عُرفة  
ملأناها بلهفة انتظارهنَّ للرجل  
والزهر والصنوبر الفواح  
والشوق الذي يرى ولا يُقال،  
وبعد هجمة العناق  
واندفاعهنَّ في فوضى من القبل،  
تُبعثر النساء .. في استعجال  
كلَّ الملابس التي .. ارتدَّيْنَهَا على مهل

٤/١/١٩٩٣

## وحيداً

وحيداً أُطِلُّ من النافذة:  
أرانا سوياً نغادر بوابة البيت  
في قامتيننا بقايا من التعب المنتشي بالملذات  
نمشي إلى يومنا في الوظيفة  
حيث الزميلة والصاحب المتثائب  
لا يعلمان  
بأي جنونين كنا نلاعب ليلتنا الصاخبة  
ولا يعلمان لماذا تغني العصفير  
في بشر وجهي وفي الآلة الكاتبة  
وتبدو الدفاتر ما بين كفيّ أجنحةً  
والدبابيس نممةً في العظام  
أصالحُ هذا الخصام العتيق مع الكون في لحظة،  
أداعب ذنب المكان الغريب  
وألقي علي حاقد العين والبُلْهَاءِ السلام.  
وحيداً أُطِلُّ من النافذة  
أرانا سوياً، يبئلل كُمي وكُمك مشوارنا في المطر  
ونلمح في دهشة بلبلاً  
مصغياً، ربما للأغاني بداخلنا  
أو لذاك الحفيف الخفيف الذي في الشجر  
وحيداً أُطِلُّ من النافذة  
أرانا نرتب فوضى السرير لُرجع فوضاه أكثر فوضى  
نُدلِّل في جسدينا تعالينا اللاهيات  
ونلعب بالصمت والكلمات اللعوبة:  
خذني خذيني سنبقى هنا للأبد ..  
وحيداً أُطِلُّ من النافذة  
أرانا معاً في زحام الزحام  
لنا الأرض من حولنا والسماء  
يغطي النهار بأصوافه بَرَدنا  
والشياطين توقد ناراً لنا في المساء  
وعيناك خجلي وعيناك خجلي  
وشيطان شهواتنا لا يجيد الحياء  
وحيداً أُطِلُّ من النافذة  
كأني ذهولٌ نحيل فقط  
أمرٌ على النفس من شهوة لا تُلبى  
وأوجع من ضربة الفأس في تينة مثمرة

حين ودَّعتني باختصارٍ  
وصرتُ مجرد شخصٍ وحيدٍ يُطلُّ من النافذة  
٢٠/١٠/١٩٩٢

## في الأربعاء

وها نحن في الأربعاء، معًا  
غيرَ أنني أسيرُ إليك، بعيدين  
لكنَّ خطاك تحاذي خطاي.  
وهذا الرماد الذي يعتلي مفرقنا  
كذبنا عليه مرارًا، ويكذبُ دومًا علينا  
كأنَّ الزمان رياحٌ على جمرتنا  
حديثك شمسُ الشتاءِ وصمتك ليلٌ وناي.  
وعيناك مسألةٌ في الحسابِ  
تَحَيَّرَ فيها سِوَايَ.  
وما زلتُ لا أشتهي أن أكونَ أقلَّ ارتباكًا  
إذا صافحتني يدك  
أو أقلَّ فُجورًا إذا عانقتك يداي.

١١/١١/١٩٩٢



## الشهوات

كسَّرَ البرقُ بَلُورَهُ في الأعالِي  
وأفلتَ من دِغْلِهِ نَمِرٌ طائشٌ اللونِ  
رنتُ على ظَهْرِهِ فضةُ الليلِ  
والرغبةُ الغامضةُ،  
كأنَّ الصواعقَ تعدو على جسمه وهو يعدو ويعدو  
ويعلو عن الأرضِ  
حتى ليوشكُ أن يشغلَ الجاذبيةَ عن شُغْلِها  
لحظةً،

ثم يرقى إلى ما يشاء الخيال!  
هذه شهوتي لِلتِي أشتهيها بخمس حواسٍ  
ولكنها لا تنالُ

نَمِرٌ طائشٌ في علايهِ قلبي  
ووثباتُهُ طردُ ضوءِ الليلِ وليلِ لُضوءِ  
وأنا لم أعد أشتهي أيَّ شيءٍ  
فأنا أشتهي كلَّ شيءٍ

من زمانٍ يليق بموتي  
إلى أولِ المشي واللثغِ والأوّلِ الإبتدائيِّ  
حَبِّ الشبابِ ومشطِ السخافةِ

رسمِ الشواربِ بالحبرِ فوق الشفاهِ  
دويِّ البلوغِ الذي يخلطُ الرعبَ باللذّةِ  
المستطيلةِ شيئاً فشيئاً

ويأخذنا راجفين إلى موعدِ أهبلِ  
تحت بيتِ الدَّرَجِ.

شهوةٌ للعبِ

للصوفيّةِ الطفلِ فينا  
نُغافلُ بَحْلَ العجوزِ التي وجهُها  
مثل كعكٍ تبلّلَ بالماءِ

كي نسرقَ اللوزَ من حقلها،

متعةُ العُمرِ أن لا ترانا

وأمتعُ منها، إذا ما رأتنا،

مراجلنا في الهَرَبِ،

وأمتعُ مِن كَلِّ هذا

إذا استنمتُ خيزرانتها واحداً،

وانضربَ!

شهوةٌ للوساوسِ في ليلِ قرينتنا،

كلّ من زاد عن عمرنا سنة  
خوّف الكلب بالضبع أو بابن آوى  
وفاخرنا بالجسار  
واصفرّ خداه من قطة عابرة!  
وأنا أشتهي كلّ شيء  
من مكان يليق بموتي  
إلى شغف أزرق النار بالجارّة الفائرة.  
من حرير التلامس والإنسجام  
والنعاس الشفيف  
وذاك الحفيف إذا التورّ حكّ المخدّة شيئاً فشيئاً  
وعزّ علينا القيام  
إلى شهوتي لمطار رحيم  
ولذاك الطراز الذي لم أجربه  
من سفر للسفر  
حيث لا يغرس الضابط الوحش  
نابيه في روح روي  
ويجلس في كامل الاعتزاز بسلطانه  
مثل ضبع وسيم  
شهوة لوجوه النساء اللواتي يخفن قليلاً  
ولكن يقفن طويلاً بجفن الردى وهو نائم  
وطرحاتهن الغيوم وأقدامهن الجنان  
وفي روحهن الأساور والماس  
لا في المعاصم  
يطرز أثوابهن العجاج الكريم  
فيخدشن خوذة عصر الغزاة  
ويُسقطن عصّ الهوانم.  
شهوة لوجوه الرجال الذين بنوا في المضافة  
بيت الكرم  
وبيت النكات اللثيمة  
وبيت التهكم من كلّ عالٍ قوي  
وبيت المساء الطويل بطول الجدال  
وأخبار كلّ البلاد  
كأنّ الحصيرة من تحتهم  
هيئة للأمم.  
شهوة لبلاد تُطالبُ أبناءها  
بأقلّ من الموت جيلاً فجيلاً  
وفيها من الوقت وقتٌ تُخصّصه

للخطايا الحميمة والغلط الأدمي البسيط  
وزحزحة الإفتراض البطولي عتًا قليلاً.  
فمسكينة أمة حين تحتاج كل البطولات  
من كل أبنائها  
وتعيش الحياة قتيلاً قتيلاً.  
شهوة لبلاد تَقَلُّ الأناشيدُ فيها  
وفيهما نعود إلى نعمات احتياجاتنا العابراتِ  
بلا خجلٍ أو ندم.  
شهوة أن أردّ على الهاتف المتأخر ليلاً  
بدون التوجّس من كارثة.  
شهوة أن أكون الضحية لامرأة عابثة  
لا لثوريّ هذا الزمان.  
شهوة أن تكون الخنازير مَطْرَحَها،  
في الحظائر أو في المسالخ أو في البراري  
وليس على المقعد المخمليّ.  
شهوة أن يفوزَ الفؤادُ بأحلى الوظائفِ:  
حرية الشكر، حرية الصمتِ  
حرية الرقص حُبًّا إذا ما هوى  
والتخلي الأنيق إذا ما نوى  
والتنقل ما شاء بين الرضى والجفاء.  
شهوة أن تكون الخُصومة في عزّها  
واضحة.  
غيرَ مخدوشةٍ بالعناق  
فقبلاتٌ من لا أودُّ حراشفُ سردينيةٍ  
وابتسامتهُ  
شعرةٌ في الحساء.  
شهوة أن تكونَ المودّةُ في عزّها  
واضحة.  
دونَ طُعمِ الوعودِ ودون اللُغة،  
فاللغة  
عُنبَةٌ للرّياء  
واللغة  
لُعْبَةٌ في يَدَي مَنْ يشاء  
واللغة  
رِشوةٌ للنساء  
واللغة  
سمسمُ الكاذبين الوفيرُ

وفحُّ يُهياً للبنت منذ الصباح المنمَّق  
حتى سرير المساء.  
شهوةٌ لغموض العتَب.  
شهوةٌ لاعتذار العيون الذكيِّ.  
شهوةٌ للضمير الأنيق.  
شهوةٌ ليد في يدي في الزحام.  
شهوةٌ أن نغفَّ الحياة كإبريق ماءٍ  
تَبَلُّ فخارهُ بالندى.  
شهوةٌ أن يقول المحقُّ  
من أطلق النار في رأس «ناجي العلي».  
شهوةٌ أن يحذرني أحدُ الناس  
من طعنةٍ في الظلام.  
شهوةٌ أن أرى ما يُرى كلُّهُ  
في شمولٍ عظيمٍ يوحد بين نجوم السماء  
وخصلة عشب بقاع البحار  
وبين كهوف العتام وقوس الأفق.  
شهوةٌ للقاء مع امرأتين في امرأةٍ واحدة:  
صُبْحُها في وقار العسق  
لَيْلُها في فُجور الشفق  
هي راهبةٌ في النهار  
وفي الليل مرغابةٌ للمسراتِ  
ولوالةٌ بالنداءاتِ  
مصهالةٌ بالشيق.  
شهوةٌ لتلاوين نَشوتنا  
فهي خضراءُ غابيةٌ في ذراعيكِ  
عند انغلاقِ العناقِ علينا  
حَبِيسَيْنِ في واسع من فضاء النوايا  
سَجِينَيْنِ مثلَ العصافير في ريشها  
وهي تلهو وتلعبُ في الجوّ  
هابطةٌ صاعدة.  
شهوةٌ لتلاوين لَدتنا  
وهي دائرةٌ بيننا، من بداياتها لبداياتها عائدة.  
وهي زرقاءُ فضيةٌ حين تلمعُ رعشاتها في العظام  
وتغدو أنيباً  
وتغدو رنيباً  
وتصلُّ المباهج يجتازُ جسمي وجسمكِ  
في لحظةٍ واحدة

شهوة لتلاوين لمسائنا  
فهي شاش الجراح التي خَافَ البُعْدُ فينا  
وبعضُ الدواءِ  
وهي زلزالنا الهشُّ تسري نُعومتُهُ  
بالدويِّ الفُجائيِّ عند اللقاءِ  
وهي حُبُّ الثعالبِ عند اللعبِ  
وهي ركنُ الملاهي الفسيحِ  
المراجيحُ والطيرُ والريحُ، وهي المخدَّاتُ  
إذ نستريحُ وعند الدعاباتِ  
شيطنةً من نوايا تزيحُ الحياءَ  
وتفتحُ بابَ الشغبِ.  
شهوةٌ أن أشبَّ على سلِّمِ شاهقٍ  
في أقاصي السماءِ  
وأستأذِنُ اللهَ، أسألهُ:  
هل رأتنا عيونُ الحبيبِ نميلُ  
كحزمةِ قمحٍ  
من المنجلِ الملتوي  
للجفافِ المؤكِّدِ  
للمطحنة؟

نُدبِرُ مُعجزةَ العيشِ بالمعجزاتِ الصغيرةِ،  
بالصبرِ والطيشِ بالمهدِ والنعشِ  
تمشي المذلة مشي الكريم وتمشي  
وتمشي الكرامة مَشْيَ الدليلِ لتمشي  
ويمشي البريء كمشي الظنينِ ونمشي  
ووالله إنا أطعنا كما شئتَ  
والله إنا عصينا كما شئتَ  
والله إنا احتملنا المواجه في كلِّ فصلٍ  
كما تتحملُ زيتونةُ الحقلِ كلَّ فصولِ السنةِ.  
يا حبيبَ المحبِّينِ إنا امتحننا كثيرًا  
وإنا امتحننا طويلاً  
فرُحماكِ يا خالقَ الحاكمينِ ويا خالقَ الناسِ  
يا خالقَ الوَحْشِ والسوسنةِ  
كلما كسَرَ البرقُ بلورهُ في الأعالي  
اشتَهيتُ أقلَّ قليلِ الحياةِ فما لاح لي غيرُ موتي  
بلادًا أَسْمِيكَ أم غولةً يا بلادي؟!  
فهلَّا تركتَ لنا فسحةً كي نُطيلَ البكاءَ قليلاً  
على الميتينِ،

وهلّا تركت لنا فسحة  
كي نُهيئ فوجاً جديداً  
من الذاهبين إليك بأكفانهم راكضين.  
اتركي فسحةً كي تُرَبِّي الضحايا على مهلنا  
وُخْذِيهم رَغِيماً رَغِيماً  
ولا تأخْذِيهم طحين.  
اتركي فسحةً كي يشبّ البنفسجُ فوق المقابرِ  
شِبْرًا،

وَوَقْتًا لِنُفْرَجَ عَنَّا السجونُ.  
اتركي فسحةً كي نحسَّ جمالَ التفاهاتِ في العيش:  
بضع نقاطٍ من الماءِ بعد النهوض من البنجِ  
والمشي مترين بعد التثام الكسورِ  
وصوتِ المزاريب بعد الجفافِ  
وأرجوحةِ العِطْرِ  
تدفعها نحونا شتلةُ الياسمين،  
صندلٍ من زهورِ الربيعِ  
لطفلٍ رضيعٍ يُتَلْتَلُهُ بين أسنانهِ  
البارزاتِ كأربعِ حَبَّاتِ أرزٍ جَدِيدِ  
وعُرسِ الصبيِّ الوحيدِ  
وَوَخْطِ المشيبِ المبكرِ في مفرقِ الزوجةِ المشتهاةِ  
على مخملِ الأربعين،  
وامتلاءِ السنابلِ إذ أنفَلَتْها رسالتُها  
فانحنتْ تحت وطأتها مُتَعَبَةً.

اتركي فسحةً للفتى  
كي يُزِيلَ عن الوجهِ حَبَّ الشبابِ  
وتصعدَ كَفَأَهُ في لهفَةٍ  
فوق فخذِ الصَّبِيَّةِ  
يكسو عِراءَ الخيالِ  
بِطُهرِ البياضِ المُزَعَّبِ والتجربةِ،  
اتركي فسحةً للفتاةِ  
تُحزِرُ في كِنْفِ صاحبها بالأظافرِ  
لِدُنْها

حين تدهمها، فجأةً، كالتماعِ النَّصْلِ.  
اتركي فسحةً كي نَحَلَّ اتِّحادَ النساءِ  
وَنُدْخَلَ مشطاً على شعره المشربِّ  
ونُعْفِي مخذاتنا من ليالي الجِدالِ.  
اتركي فسحةً كي نُفَشِّرَ هذي القُداسةَ

عن كل شعيرٍ بليدٍ يحبكِ  
والرَّمزَ عَن حَبَّةِ البُرْتقالِ.  
اتركي فسحةً كي تَرى في البلادِ البعيدةِ  
ما عندها من جَمالِ  
فعينُ المُهاجرِ تخشى تَمَعُّنَها في الجَمالِ،  
اجعلينا نَجْلُ ونَزْحُلُ  
مِن أَجلِ رَغبتنا في البقاءِ أو الإِنتقالِ.  
اتركي فسحةً كي تَضِلَّ الشَّنَانيرُ (\*) درَبَ النِجاةِ  
وتأوي إلى فَحِّ عَمِّي  
ولا تخبريه بأن ابنه الآن صَيِّدٌ  
لدوريةٍ سفكتُ دَمَهُ في رؤوسِ الجِبالِ!  
ارجعي كي نُعيدَ سَقيفَتنا للدِجاجِ الكَريمِ  
الذي كان قاسَمَنا «حُنَّهُ» سَكَنًا  
أو نعيد الخيامَ لكَشَافَةِ  
يسهرون على شاطئِ الصِيفِ  
بالرقصِ والإِحتفالِ  
ارجعي كي نقوم إلى دِبَكَةِ  
لا تهزَّ السِيوفُ  
ولكن تهزَّ القلوبَ وَخَرُوبَ شَعرِ الجِدايلِ  
ذاتِ اليمينِ وذاتِ الشِمالِ.  
كلما كَسَرَ البرقُ بِلُورِهِ في الأَعالِي  
اشتَهِيتُ أَقلَّ القليلِ  
بكلِّ الحواسِ، وَمَنِّيتُ نَفسي بأبسطِ ما يُشْتَهَى،  
واستحالَ:  
شهوةٌ أن تُضابِقَنا في المَرايا كَكُلِّ العِبادِ  
التِجاعيدُ حَولَ الجُفونِ  
شهوةٌ أن يَغنيَ لنا اللحنُ خَصرَ الصَّبِيَّةِ  
لا «عاندون»  
شهوةٌ أن يكونَ حَدِيثُ المِقاهايِ  
سَخيفًا كما يَنبغي أن يكونَ  
شهوةٌ أن تَخليَ البِنااتِ يَرتَبِنَ ما شِئْنَ  
من كَذِبِ أبيضِ  
كي يُقابِلنَ عِشاقَهُنَّ  
ويشعُرَنَ بالإِنتصارِ البَسيطِ على والدِ  
أَسَسَ التُّركُ قَصرًا على شَاربِيهِ  
وَأُمَّ يُحَدِّثُها قَلبُها بانفِلاتِ الفِتاةِ  
ولَكنَّ تُهَوِّنُ عن زَوجِها الأَمَرَ

حتى يهونُ.  
شهوةٌ أن تُعَلَّقَ في عُزْفِ النَّوْمِ  
لوحاتنا الغامضاتِ  
وليسَ شريطَ السَّوادِ  
على صُورِ الغائبينِ.  
شهوةٌ أن نفكرَ في رهبةِ الموتِ  
من بعد ما صار كالحَسَنِ في السوقِ  
كَدَسَهُ البائعونُ.  
اتركي فسحةً للرجاءِ!  
اتركي فسحةً للجنونِ!  
أنتِ أخبثُ مما نظنُّ وأحلى  
فهلَّا ابتكرتِ لنا فكرةً للصعودِ إليكِ  
سوى مؤتينا في هوالِكِ؟  
شهوةٌ أن نُريخَ القصائدَ منكِ قليلاً  
ونكتبَ عن أي أمرٍ سواكِ.  
١٨/٥/١٩٩٢

---

(\*) الشنانير، نوع من الطيور.



## مشهد يومي

ناعمٌ هذا النهار الشتويّ.  
بين أصداءٍ على البُعدِ  
وإصغاء الرزادِ  
حُجْرَةٌ واحدةٌ، شُبَاكُهَا المكسورُ شَفَافٌ  
فلا حاجزٌ بين الغيمِ في العالي  
وأطرافِ الحصيرةِ.  
ويذُ الطفلُ، بغمّازاتها الخمسِ  
تحطُّ الآن في لينٍ  
على التّدي المُعطى بالزَّعبِ  
طالبًا رضعتهُ ما بين جوعٍ ونُعاسٍ  
وبعينِ الأمِّ فخرٌ احتفاليٌّ  
وأثارُ التَّعبِ.  
ووراءِ النافذةِ،  
استمرَّ المشهدُ اليوميُّ:  
أولادٌ يعدّون المقاليعَ  
وأصواتٌ هتافاتٍ وراياتٍ  
وعسكِرُ  
يطلقون النارَ في زهوٍ وفوضى  
وصبيٌّ آخرٌ يهوي شهيدًا  
فوق إسفلتِ الطريقِ.

١٥/٣/١٩٨٨

## الصَّبِيُّ

الصَّبِيُّ الَّذِي لَمْ يَعِدْنَا بِشَيْءٍ  
الصَّبِيُّ الَّذِي فِي مُرَاهِقَةِ الْعُمُرِ  
حَيْثُ الْجَلَافَةُ وَالْإِرْتِبَاكُ اللَّطِيفُ  
وَالَّذِي لَمْ يُجِدْ، بَعْدُ، تَدْبِيرَ مَصِيدَةٍ  
لِابْنَةِ الْجَارِ حَتَّى يُيَادِلَهَا كَلِمَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ  
الصَّبِيُّ الَّذِي تَتَقَافَرُ عَيْنَاهُ  
عِنْدَ انْحِسَارِ ثِيَابِ النِّسَاءِ السَّمِينَاتِ  
عَنْ مَرْمَرِ الرُّكْبَتَيْنِ  
الْفَتَى الْأَرْعَرَ الْأَكْدُبَانُ  
الَّذِي غَلَبَ الْمُدْرَسَةَ  
وَالَّذِي قَالَ عَنْهُ الْمُدْرِسُ لِلْوَالِدَيْنِ،  
«ابْنُكُمْ بَيْنَ بَيْنٍ»  
الصَّبِيُّ الَّذِي يَتَحَالَى أَمَامَ الضِّيُوفِ  
رَدَّدَ الرَّعْدُ فِي قَلْبِهِ هَوْلَ أَيَّامِهِ،  
هَوْلَ أَيَّامِنَا  
وَأَتَتْهُ بَارِزًا فِي الصَّفُوفِ  
الصَّبِيُّ الَّذِي لَمْ يَعِدْنَا بِشَيْءٍ  
دَاخَتِ الْأَرْضُ مِنْ صَوْتِهِ  
دَاخَتِ الْأَرْضُ مِنْ صَمْتِهِ  
دَاخَتِ الْأَرْضُ مِنْ مَوْتِهِ  
إِذْ هَوَى فَوْقَ حَدِّ الرَّصِيفِ  
فَوْقَى، وَكَفَى، وَأَغْفَى بِلا ضَجَّةٍ  
وَإِنْ تَصْرُ!

١٥/٣/١٩٨٨

## الفَتَاةُ

الفَتَاةُ الَّتِي لَمْ تَعِدْنَا بِشَيْءٍ  
الفَتَاةُ الَّتِي تَتَلَمَّسُ أَوْصَافَهَا  
بَيْنَ جَسْمٍ يَرْنُ بِأَجْرَاسِهِ الدَّاَوِيَّاتِ  
وَرُوحٍ هَشَّاشَتْهَا حَجَلٌ أَوْ أَلَمٌ  
الفَتَاةُ الَّتِي تَتَمَرَّجُ فِي كُوعِهَا  
سَلَّةُ التَّيْنِ  
قَاصِدَةٌ بَيْتَ جَدَّتِهَا فِي الصَّبَاحِ  
الفَتَاةُ الَّتِي كَرَّهَتْهَا تَنَانِيرُهَا بِالرِّيَاحِ  
الفَتَاةُ الَّتِي حَدَّرُوها مِنَ الضِّحْكَ الصَّاخِبَةِ  
وَالَّتِي عَلَّمُوها الرِّضَى بِالْمُتَاحِ  
وَاعْتِيَادَ النَّدَمِ  
سَتَرَتْهَا المِتَارِيسُ عَنِ أَعْيُنِ الجُنْدِ  
لَكِنَّهَا فَضَحَتْ نَفْسَهَا بِالْعَلَمِ!

١٥/٣/١٩٨٨

## مَشَابِكُ الغَسِيلِ

في يدها مشابك الغسيل،  
تَعْرِها على ملاءٍ يضيئُها الضُّحى  
يهتَزُّ حَبْلُها إذا  
رَمَتْ عليه قطعةً ناصِعةً، وَعَرَّتِ المشابِكُ.

.....

.....

وتحت عينها،  
مرَّ الجنودُ بالسلاحِ والملابسِ المُطَّحَّةِ  
يفتَنِّشونَ، في تَلْمُظٍ، عن الذي  
على سطوحِ الدارِ، عَلَّقَ العَلَمُ.

٧/٤/١٩٨٩

## السلسال

من يرسمها؟  
من يرسم لفنتها  
ثنية ركبتيها  
مِيلَ الكَتِفَيْنِ،  
وَخَطَّ الثَّوْبِ المشدودِ تمامًا تحت الإبطِ  
وتلويحة قبضتها  
وسقوط المنديلِ العالي عن عُرَّتِهَا  
مَنْ يرسمُ في زاوية الساحةِ  
تحت دخانِ الغازِ الأبيضِ  
صوتَ جديلتها السوداء؟  
وصوتَ الرُّعبِ المجدولِ بشهوتها للعيش؟  
مَنْ يرسمُ عينيها وحديدَ الجَيْشِ؟  
من يرسمُ فوضاها  
وهي ترتبُ فوضى حِكْمَتِهَا.  
من يرسمُ إطلاقَ النارِ  
على الأعلامِ المرفوعةِ في الأركانِ  
ومن يرسمُ بين الأعلامِ المرفوعةِ  
جبهتها؟  
من يرسمُ تَرْتَحَةَ الطِّفْلِ بياقتها  
من يرسمُ تطريزَ الثَّوْبِ العَرَبِيِّ على قامَتِهَا  
مُعَبَّرًا، وخصيًّا، وأموميًّا،  
يتراكضُ في الساحاتِ؟  
من يرسمُ حَبَّاتِ العَرَقِ وخيطَ الدَمِّ  
التقيا عند النَّحْرِ  
تمامًا،  
تحت السلسالِ الذهبيِّ  
المشغولِ على شكلِ خريطة!

١/٢/١٩٨٨

## العارية

لستِ عارية  
أنتِ مُعْطَاةٌ بالعصافيرُ  
مَكْسُوءَةٌ بحريرِ خِصَالِكُ  
وهُمُومِكِ الطَّوِيلَةَ.

لستِ عارية  
أنتِ مُحَاطَةٌ برنينِ إصغائي إلى نواياكُ.  
الْحَنَانُ النَّاعِمُ شَالَ عَلَى كَتِفَيْكَ  
ولهفتي عليكِ مناديلُ.

لستِ عارية  
أنتِ مَعْطَاةٌ بِفَرْحِ يَتَهَيَّا لِلْفَقْرِ، كَلَاعِبِ الزَّانَةِ.  
مغمورةٌ بالتِّدَاعَاتِ وَالتَّهَالِيلِ  
وَقَلَقِ اللَّحْظَةِ الْحَاسِمَةِ.

لستِ عارية  
أنتِ مُحَاطَةٌ بِهَدَايَا يَتَمُّ إِعْدَادُهَا مِنْ أَجْلِكَ  
في مُحْمَلِ أَرْجَوَانِي دَافِيٍّ، لَهُ رَعِشَةٌ وَجَلَالٌ.  
غَضَبُكَ غَيْمٌ مَمْتَلِيٌّ عَنْ آخِرِهِ، بِالْكَهْرُبَاءِ.  
عزيمتكُ حُقُولٌ مِنَ الْقَنْبِ.  
وحُرْنُكَ الْغَرِيبِ،  
هادئٌ، كَعُصْنِ نَعْنَاعٍ عَلَى السَّاتَانِ.

لستِ عارية  
أنتِ مَحْمِيَةٌ بِذَاكِرَةِ كَدْرِعِ عَتِيقِ،  
نُفِثَتْ عَلَيْهِ الْكَوَارِثُ وَالْمُسْرَّاتُ،  
وَالْيَقِينُ الَّذِي يُلْمَعُ.

لستِ عارية  
أنتِ مُكَلَّلَةٌ بِمَا تُرِيدِينَ  
وَجَبِينُكَ لَا يَمِيلُ  
إِلَّا لَكِي تَسْمُو إِلَيْهِ  
فُؤْلَةٌ تَشْبُ عَلَى قَدَمَيْهَا.

لستِ عارية  
أنتِ مَكْسُوءَةٌ بِصُوفِ الْعِشْقِ  
لَا تَبْلِينُ.  
وَلَا يَبْلَى.

## ق.و.م (\*\*)

ليذهب النشيدُ واضحًا إلى عُموضِهِمْ.  
مواقِدُ خَفِيَّةٌ، يَشِي بها تَوَالِدُ الشَّرَرِ  
لَهُمْ وَزَارَةُ السَّهْرِ  
لَهُمْ وَزَارَةُ الْخَطْرِ  
لَهُمْ وَزَارَةُ الرَايَاتِ وَالْمَطْبَعَةِ الْمُهْرَبَةِ  
لَهُمْ وَزَارَةُ الْحَنَانِ وَالضَّمَامِ  
لَهُمْ وَزَارَةُ الْعِنَادِ،  
وَصَوْتُهُمْ،  
إِذَاعَةٌ مَوْجَأَتُهَا الْجِبَالُ وَالرَّعِيَانُ وَالشَّجَرُ  
لَهُمْ وَزَارَةُ الرُّقَاقِ وَالرَّغِيفِ وَالرَّصِيفِ  
بِهِمْ فَصَوْلُنَا،  
الصَيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْخَرِيفُ  
جَادَتْ، بَعَكَسَ نَشْرَةِ الْأَرْصَادِ، بِالْمَطَرِ  
ليذهب النشيدُ عَالِيًا إِلَى مَقَامِهِمْ.  
قِيَادَةٌ بِلَا زَخَارِفِ  
وَقَادَةٌ بِلَا صُورِ  
قُصُورُهُمْ طِينِيَّةٌ  
وَبِرْلَمَانُهُمْ حَجَرٌ.

٢٥/٣/١٩٨٨

(\*\*) القيادة الوطنية الموحدة لانتفاضة فلسطين ١٩٨٧ - ١٩٩٣ .

## صمت الحرب

العائلةُ الجالسةُ تحت شجرة التوت  
توقفت فجأة عن تناول الغداء.  
فقد ظهر الجنديان.  
- «هل جئتما لاعتقاله مرة أخرى؟»  
ابتسم الجندي، رفع بندقيته الأوتوماتيكية  
شدَّ بها أقرب الفروع.  
بتلذذٍ واستغراقٍ، تناوبا على التوت،  
حبةً له وحبةً لزميله  
عيونهما وعيون العائلة  
مشتبكة كأنها في حرب بلا صوت  
وبعصبية لا تخفى  
هز الجندي الغصن العامر  
انتشر التوت الأحمر على الحوش الترابي.  
بدون أية كلمة  
غادر الجنديان ورددت السماء قهقهاتهما العالية.  
أصغر الأطفال  
ذو السنوات الثلاث والمريول المزركش  
حاول أن ينهض.  
لم تدر الأم إن كان يريد مطاردة الجنديين  
أم أنه، ببساطة، قد شبع.  
لكنها، على أية حال، أجلسته في مكانه  
وأشارت بيدها للجميع:  
أكملوا غداءكم!

١٦/٥/١٩٨٨



## السيد

عندما لم يعد سيدي  
خفتُ ألا يعود.

... ..

كُنْتُ هَيَّأْتُ إِبْرِيْقَ مَائِي  
وَرَطَّبْتُ تُرْبَتَهُ ثُمَّ غَطَّيْتُهُ بِالْوَرُودِ  
ثُمَّ نَمْنَا، كَعَادَتِنَا كُلَّ لَيْلٍ:  
غَفَا وَحَدَّةٌ تَحْتَ قَوْسِ التَّرَابِ  
وَنِمْتُ وَعَيْنِي عَلَى إِسْمِهِ فَوْقَ نَفْسِ الرُّخَامِ  
أَنَا حَارِسُ الْقَبْرِ وَهُوَ الشَّهِيدُ.

... ..

صَحَوْتُ عَلَى هِرَّةِ الزَّهْرِ  
إِذَا قَامَ مِنْ قَبْرِهِ وَاخْتَفَى ...  
وَأَنْتَظَرْتُ، كَأَنِّي أَنْتَظَرْتُ مُلَاقَاتَهُ طَوْلَ عَامٍ.

... ..

وَعَادَ كَأَخْرِ عَهْدِي بِأَوْصَافِهِ  
قَالَ: لَمْ أَحْتَمِلْ صَوْتَ صَمْتِي  
فَشَاغَلْتُ مَوْتِي، وَقَالَ:  
عَبَرْتُ حُدُودَ الْعُمُومَةِ حَدًّا فَحَدًّا وَقَالَ:  
كَشَفْتُ جُرُوحِي وَرَعَشَةَ رُوحِي  
أَهْرُ مَنَاكِبِهِمْ كَيْ يَكُونُوا، وَقَالَ:  
فَلَمْ يَعْرِفُونِي، وَلَمْ يَنْجِدُونِي، وَلَمْ يَسْمَعُونِي  
وَنَامَ.

... ..

... ..

وَهَيَّأْتُ إِبْرِيْقَ مَائِي  
وَرَطَّبْتُ تُرْبَتَهُ  
ثُمَّ غَطَّيْتُهُ بِالْوَرُودِ.

... ..

قُلْتُ نَوْمَتُهُ هَذِهِ آخِرُ النَّوْمِ  
هَذَا خِتَامُ الْخِتَامِ

... ..

وَلَكِنَّهُ

عَادَ فَاجَأَنِي مِنْ جَدِيدٍ  
صَحَوْتُ عَلَى هِرَّةِ الزَّهْرِ  
شَاهَدْتُهُ حِينَ قَامَ

يَلْمُ الْحَجَارَةَ فِي حَجْرِهِ  
وَمَشَى، سَيِّدًا، لِلْأَمَامِ.  
١/٣/١٩٨٨

## حليمة

منذُ رموا في ركبتيها ستَ رصاصاتٍ  
وحليمةُ تعرج.  
تعرج إن ذهبت لتبيع الخضرة في السوق  
تعرج إن عادت للبيت  
تعرج إن ركضت بالطفلِ المجروح  
إلى قبو الدكتور السري  
تعرج إن ذهبت لتذوقَ الملحَ على طبختها  
تعرج إن جلبت حجرًا آخر  
للمتراسِ المبنيِّ على استعجال  
تعرج تحت دخانِ الغاز  
ودكدة الرشاشات  
وتميل بجذعٍ مكدودٍ تحت عصيِّ التحقيق  
يا الله!  
من يمشي معتدل القامة  
وصحيح الخطوة  
مثل حليمة!  
٢٤/٤/١٩٨٨

## الأمّة كلُّها

هي أمّةٌ في البردِ  
هي أمّةٌ في البردِ  
ترجف في صقيع الليل شحمةً أذنها  
تصطكُ أكتافًا وأسنانًا وروحًا  
وهي تبني في العراء مواقدًا مهجورةً  
وتمدّ أيديها  
لتمسح ندفَةَ الثلج العنيدةَ  
عن رموشٍ لا تفيق ولا تنام.  
هي أمّةٌ في البردِ  
هائمةٌ على وعرٍ وحدِّ فاصلٍ  
ما بين صبوتها لأعلى نجمةٍ  
ونبوغها في دقّ أوتاد الخيام.  
هي أمّةٌ في البردِ  
تضربها رياحُ شتائها الغوليّ، ذاهلةً  
فلا أقدامها في عصرها الحجري توقفها  
ولا تمشي إلى غدها  
فأضحت لا وراء ولا أمام.  
هي أمّةٌ في البردِ  
تنظر بين أسلاكِ الحدود  
إلى منازلها الحزينةَ  
وهي حائرة الخطى بين الكرامة والرُكाम.  
هي أمّةٌ في البردِ  
منذ تقيّدت أرواحها والشاحنات توزعت  
عدنًا وبغدادًا وقاهرةً وشامًا.

## المخبأ

خذ الطائر الأزرق الريش  
خذ كل أعيادنا القافزات إلى زركشات القرى  
خذ متاحف أسلافك الغامضين  
خذ العش والقش خذ قلبي الهش  
خذ رعدة الإرتباك إذا ما التقى عاشقان.  
خذ الصبية القافزين إلى بركة النضج  
خذ خجل البنت من إصبعيها  
يفكان أول زر أمام العريس الفضولي  
خذ زهرة الجلنار  
خذ المرأة المستعدة للقفز  
في ماء شهواتها الهائجات  
وخذ ثنية الركبتيين  
إذا حاولت مهرة أن تطير  
وخذ حلو جنتنا بذيل الحصان.  
خذ الجامعات بأولادها والبنات  
وأشجارها الضاحكات  
خذ المكتبات التي  
رئبت حيرة الروح في حبرنا البشري اللوح  
خذ الفلسفات التي  
هدبت كوكب الأرض  
خذ لهفة الطفل إذ تفتح الأم  
سجن القميص  
ونفج عن جنة الثدي والرخصة المشتهاة  
وخذ دهشة الكهل من علم أحفاده  
خذ غبار الطباشير، والدرس، واللوح  
والوآد الأسود الحاجبين  
وحيرته بين صرخة فخذه والإمتحان.  
خذ الشعير والرسم  
خذ كل ما سوف تخشى عليه من الموت  
خذ بذرة القمح خذ نطفة النخل  
والعلم الشاهق اللون  
خذ بهجة العدل والعقل  
خذها جميعاً إلى مخبأ  
ثم حصن حراستها جيداً  
واحمها قدر ما تستطيع من الوقت

عامًا فعامين، جيلًا فجيلين، دهرًا فدهرين  
حتى يَمُرَّ «مُشاة البحار»  
ويجتازنا مَوْكِبُ الأمريكيانِ  
١٠/١٠/١٩٩٢

## رنة الإبرة

تطريزُ ثوبِكِ صامتٌ ... ويقولُ  
الأخضرُ المبحوحُ نايي ناعمٌ  
مستته كَفُّ الرِيحِ والراعي  
وأزرقُهُ دَفوفٌ حولها شُعَلٌ  
وأحمرُهُ طَبولٌ  
ومنمنماتُ رسومِهِ همسٌ وإصغاءٌ  
وغامقُها به نَعَسٌ  
وفاتِحُها له نَفَسٌ  
وفاجِرُها حَجولٌ  
والخطُّ يصعدُ، مستقيماً، من وقارِ الذيلِ  
حتى الخصرِ  
يلمسُ قوسَهُ، ويَميلُ  
وعلى اتساعِ الصدرِ  
تصخبُ حَفلةُ الأشكالِ،  
زهرةُ الجنائِنِ،  
مندريِنٌ هائجٌ  
دَهَبٌ ورَمانٌ يرنُ، وأشهبٌ يرنو  
وكُحليُّ كوخِ الجرحِ،  
عشبيُّ كلذعةِ غصنِ نعناعِ بكوبِ الشايِ  
والأكمامِ في وَهَجٍ تَجَمَعُ فوقَهُ وَهَجٌ  
وأسرارٌ موزعةٌ على كَفِيكِ  
خافيةٌ وباديةٌ  
ومن زمنٍ إلى زمنٍ  
تزوج من الزوالِ ولا تزولُ  
وسوادُ ثوبِكِ إن حكى أوجاعهُ  
أبكى العرائسَ والشيوخَ  
وذلك الغيمَ الذي يمشي جوار الله  
حَسبُ هواهُ  
حتى لا يطيقَ الإكتنارَ بمائه  
فيسيلُ  
هذا جدادِكِ منذُ كُنْتِ  
فأبي ذاكِرةً تسيِرُ على الترابِ إذا مَشَيْتِ  
وأبي هَوَلٍ إن عتبتِ على زمانِكِ  
يا كريمةً، وهو مَقْلالٌ بَخيلُ  
من عَهْدِ كُنْعانِ البعيدِ

وَمِنْ حِكَايَاتِ الْخُرَافَةِ  
وَهِيَ تَلْمَعُ كَالذَّخِيرَةِ تَحْتَ تَوْرَةِ الْحَدِيدِ  
وَمِنْ خَبِيئَاتِ الْمَوَانِي فِي سَوَادِ الْبَحْرِ  
وَالْحِرَاسِ نَصْفٌ فِي سُبَاتٍ دَائِمٍ  
وَالنِّصْفُ حَوْلُ  
لَمْ يُبْصِرُوا الْأَوْلَادَ مَصْرُورِينَ  
فِي صُوفِ الْبَطَّاطِينَ الْقَدِيمَةِ  
وَالْبِغَالُ تَكَادُ تَدْمَعُ وَهِيَ تَحْمِلُهُمْ وَرَاءَ النَّهْرِ  
وَالْأَقْفَاصُ تَأْخُذُهُمْ بَعِيدًا فَوْقَ مَوْجِ الْبَحْرِ  
وَانْفِرْطَ الْمَكَانُ عَلَى الْأَمَاكِنِ فَجَاءَتْ  
لِتَضْيِعِ زَيْنَتُنَا عَلَى الطَّرْقَاتِ  
حَتَّى ظَنَّنَا الرَّائِيَ قِيَابًا فِي الْخِيَامِ  
وَلَمْ نَكُنْ،  
بَلْ إِنَّهُ الْمَنْفَى قَبِيحٌ، وَالرَّحِيلُ  
التَّيْنُ وَالزَّيْتُونُ وَالْبَلْدُ الْأَمِينُ  
وَشَالَ رَأْسُكَ، كُحِلْ عَيْنِيكَ الْإِلَهِيُّ  
الْقِلَاعُ الْغَامِقَاتُ  
رَنِينُ إِبْرَتِكَ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى لَيْلٍ  
سَهَرَتْ سَوَادَهُ وَبِيَاضَهُ  
وَمَخَدَةُ الْغَيْمِ الَّتِي اتَكَأَتْ عَلَيْهَا  
قَامَةُ السَّرْوِ الْمَسَافِرِ فِي الْأَفْقِ  
وَخَطَى الضِّيُوفِ  
صَهِيلُ حَبِّ الْهَالِ  
ضَوْءُ الْبَرْتِقَالَةِ حِينَ مَالَ الْغَصْنُ وَانْتَبَهَ الشَّفَقُ  
وَبَخُورُ كُهُانِ الْجِبَالِ  
خُطَى الصَّحَابِيِّينَ  
تَرْبِيئُ النَّخِيلِ عَلَى الْقِيَابِ  
وَرَعَشَةُ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ  
وَشَمْسُكَ الْأُولَى وَبِحْرُوكِ  
كَيْفَ زُجَّتْ كُلُّهَا فِي خَيْمَةٍ؟!  
مَتْنَا كَمَا مَتْنَا، وَنَحْيَا مِثْلَمَا نَحْيَا  
وَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْ يَلِقُ الْعَذَابَ كَمَا لَقِينَا  
سَوْفَ يَصْفُنُ صَفْنَةً، وَيَقُولُهَا:  
إِنَّ الْفِلَسْطِينِيَّ مَخْلُوقٌ جَمِيلٌ  
لَيْلٌ يَنْوِرُ لَيْلُهُ اللَّيْلِيَّ أَكْثَرَ مِنْ قَمَرٍ  
فَعَلَى رِقَائِقِ قُبَّةِ الذَّهَبِ الَّتِي نَعَسْتُ، وَمَا نَامْتُ، قَمَرٌ،  
وَعَلَى أَصَابِعِ ذَلِكَ الْوَلَدِ الْمَحْجَبِ قُرْبَ مَتْرَاسِ، قَمَرٌ،



وعلى قميص البنت وهي تميل نازفةً، قَمَرُ  
وعلى جبينك حين تلتفتين للجندي نافرةً، قَمَرُ  
وأَكْفُنَا، بلهائها الملهوف، تدفع كل باب مغلق  
والموت يلمع سنُّهُ المكسور في ضوء القَمَرِ.  
وسوادُ ثوبك صامتٌ  
لكنَّ كَفَّكَ منذُ أنْ قالتْ، تقولُ  
تدحو الفطائرَ كلَّ عيدٍ  
أو تزوقُ للمواليدِ القماطَ  
وتمسحُ الأحزانَ والدَّمَّ والبلاطَ  
وتعصرُ الزيتونَ في القُفِّ المِهولةِ  
تنسجُ الأزهارَ في رُكنِ المخدَّةِ للصغيرِ  
وفي الصباح تشدُّ شحمةً أُذُنِهِ  
وتعالجُ البللَ الغزيرَ على السريرِ  
تردُّ سألَتْها تُعزِّي في القَتيلِ  
تردُّ سألَتْها وتذهبُ للتهاني،  
تزرعُ الرياحَ في الشرفاتِ،  
تشغلُّها مقاديرُ الأرزِ،  
وأخرُ الأخبارِ من جهةِ الفدائينِ،  
والبنتُ التي حردتْ لأنَّ حماتها وصلَّتْ  
وأنباءُ الوفاقِ العالميِّ ووجبةُ الغدِ والغَسيلِ  
مدي يدبكِ إلى المراسي النائياتِ جميعها  
لمي الصناديقِ التي حملتْ صِغارَكَ  
في سوادِ الموجِ  
رَبِّهِمْ  
أعدِّبهم ليومِ المُلكِ  
فُكِّي السِّحْرَ والألغازَ عَنْهُمْ  
واجمعِيهم مثلما جَمَعْتَ يدَاكَ الزعترَ البريَّ  
في الصبحِ النظيفِ  
ومثلما عَلَّمْتَ إبْرَتَكَ الصغيرةَ  
أنْ تُلمِّمَ شاردَ الألوانِ في أطرافِ ثوبِكَ  
مثلما اجتمعتْ علاماتُ القيامةِ  
بين كَفِّكَ والأصابعِ  
وهي ترمي صبرَها في مَقْلَعِ الصُّوانِ  
ثم تهزُّ أكتافَ الشوارعِ  
وهي تُقصي وهي تُدني  
وهي تحجبُ أو تُنبئُ  
أنتِ الكنائسُ والكمائنُ

والمساجد والمساجين الذين يُراكضون زمانهم  
بالقيد أو بالقر فصاء  
وأنت من ماتوا على خط النهاية  
والمتاريس المقامة حولهم  
الفل والفلاد أنت  
وأنت ما في الشوق من غضب  
وأنت اليأس مكتملاً، يحاول  
أن يثد غزالة الأمل الكبيرة  
من رؤوس فروعها  
أنت البقاء والابتداء  
وأنت أول أمهات العيد  
بهجته ودمعته  
عمود الدار، والبال الطويل  
تمشين بين مسالك  
فيها المهالك دانيات والنجاه بعيدة  
والخوف كالذنب الأليف بباب بيتك  
صامت، متنعّم بالشمس  
يُغلق عينه، ويطل بالأخرى عليك  
على خطاك، على نواياك الصغيرة  
فيلكن!

خفنا بما يكفي لنذكر كل ما شاؤوا لنا نسيانه  
خافي قليلاً ثم مري من نداءات الجدود  
إلى رفاق فيه حصّة خوفهم  
خوف الغريب من المقيم  
وخوف زي العسكر الكاكي من الألوان تزحف في الطريق  
وخوف عيني قاتل  
من أن يحدث في ارتباكهما القتل  
أنت انكشاف الرأس في هذا العجاج بناره ودخانهِ  
مري كأنك كل ذاكرة البلاد تمر بين عيونهم  
فلك الطريق لك الطرُق  
ولك المكان على امتداد مكانهِ  
لك قوة الموتى  
الذين تأبذت فيهم مطالبهم  
فلا أحد يروضهم  
ولا أحد يخوفهم  
ولا أحد يضلهم  
ولا أحد يبذل فكرة سقطوا على دمها

فإنَّ المَوْتَ نوعٌ من عنادِ خالدٍ

لا يبرحُ الموتى

وينتظرون،

ينتظرون في صبرٍ طويلٍ لَهِنَّةِ العداءِ

بالدمع الذي لا دَمَع يشبهه،

فَمُرِّي، ولتَمُرِّي الآن، مُرِي بَعْدَ عامٍ،

بَعْدَ أعوامٍ

خذيْنا حيثما شاءتْ خُطَاكَ

وحيثُ شئتِ.

وأينما أعطتِ يداكِ إشارةً

فهي الإشارةُ، والدليلُ

تشرين ثاني / نوفمبر / ١٩٨٩

# خوف

وطن الھراوة والكتف  
الخوف فیه غمامة فوق الجميع... وترتجف!  
١٢/١٢/١٩٨٩

## مناديل

منديل الباشا زينة.  
منديل الفران فراشةُ بردِ جاورت النار.  
منديل الأم المتروكة عند مطارٍ مزدحمٍ  
رسمٌ تخطيطيٌّ للقلب.  
منديل المذعورِ خروجٍ أبيضٍ  
من أفسى شرطٍ في اللعبة.  
منديل خطيبِ الحفلةِ يمسح شيئاً  
من همهمة الجمهور المتلملم  
منديلُ المجروح ضماد.  
منديل المتكوم في الزنزانة كفه.  
منديلُ العاشقِ بصمةُ دمعٍ أو بصمةُ قُبلة.  
منديل الماشي للإعدام عصابةُ عينية.  
منديلي كفنٌ أو راية

٢٧/٧/١٩٨٧

## الغليان الآن!

الخريفُ يجلسُ بجوار بائعة النعناع،  
نقوشُ كالحةً على ثوبِ يابسٍ،  
وَجْهٌ انحسرتُ عنه وسامتُهُ العتيقة.  
نظرةٌ منحوتةٌ  
كنظرةِ تمثالٍ يسقطُ مِنْ مكانِهِ.

....

بإشارة من يدها  
تنهر ولديها الحافيين عن الشجار  
قُرْبَ وابور الكاز المشتعل.  
صوتُ المذيع، من المقهى المجاور  
يتغنجُ بإنشاءٍ مغتبطٍ ورخيٍّ،  
تتخللهُ موسيقى مرحة.

....

أحد المارة  
يتناولُ حزمةً نعناع  
يضعُ قطعةً نقديةً مُزخرقةً

....

لم تلاحظ أن طفلتها التي ترضع من ثديها المكشوف  
أخذها النوم.  
بجوار مقعدها المكسور  
على زاوية الشارع الذي يعجّ بأهل البلد  
كان إبريقُ الشاي  
يفور.

٢/٤/١٩٨٨

## إلغاء

مِن أَجْلِ الأَصْدِقَاءِ  
أَسِيرٌ وَفِي يَدِي مِمْحَاةٌ  
أَمْسَحُ بِهَا أخطاءَهُم الصَّغِيرَةَ  
وَأخطاءَهُم الكَبِيرَةَ أَيضًا

....

لَكِنَّ ذلِكَ الصَّدِيقُ  
سَرَقَ حَتَّى المِمْحَاةِ!  
وَلحَسَدِهِ الطَوِيلِ، وَجَهْلِهِ المُبَاعِثِ  
ظَنَها قِطْعَةَ حُلُوى،  
فبَلَعها، فماتَ.

....

مِنذُ ذلِكَ الحَينِ  
عَندما أَصادَفَهُ في الطَريقِ  
لا أَستطيعُ أَنْ أَبادِلَهُ التَّحِيَّةَ!

أذار ١٩٨٣

## ذيل طاووسٍ يمسُّ مقابر الموتى

أدنو من المرآة

-صافية-

وأهبط سلماً

من نظرة العينين حتى غاب في الروح

تعلو في مداخلها نباتات البكاء

وحوض وردٍ ذو سياجٍ

والسياج يكاد يهوي

والوحوش الهائماتُ

وحارسٌ في الصدر يعوي

ولهاث جوعى وانذهال مطاردينَ

هوت على رمانة قدم:

ألا يرتاح حَقار القبور لليلتين

ويشتري كتباً وألعاباً لطفلته

فينسانا

ويهمل واجبه!

كثرت تواريحُ الجدادِ وقد ثوبُ الروح

مدت تعب المسافر من أماكنه

وضيغ اسمه وطريقه وحقائبه

وعلى امتداد الأرض

أصبحنا صنديقاً من الصرخات فض غطاؤها.

ما عاد يدهشنا خرابٌ حولنا

وغدت عجيبه وقتنا أنا نملُ عجائبه

سمك توهم أن رمل البر ينقده

فغادر بحرُه

والنسر ظن بأنه سيصيرُ أحلى

إذ يقصُ مخالبه

فوضى تسمى نفسها نسقاً

وصحراء تسمى رملها طرُقاً

ومهزوم على الأنقاض يلمسُ شاريه

أرأيت عصفوراً يبيع ويشتري الأفاص؟

أم أبصرت بحاراً يخلع باليدين مراكبه؟

جفت حقول نزرع الشهوات في أثلامها عبثاً

ونبدأ من نهايات ترج الروح

من قحط المسرات الطويل

كأننا نحن الغمامة والجراد!



فهل العنادُ حماقةٌ؟  
أم أن حِكمَتنا العِنادُ؟  
لسنا عَصَافِيرَ البراري، والدليلُ قيودنا  
لسنا أساطيرَ الحكاية، والدليلُ قيورنا  
فلمن سنروي قصة الموتى إذن؟  
ومتى نلِيقُ بكل حيٍّ ماتَ وهو يحُبُّنا  
فالميتُ عُمرٌ قد تهَدَّم  
منذ بُشِرى دايةٍ ركضتْ،  
وصرخاتِ الولادة، والجدالِ على انتقاءِ الاسمِ  
والأمِّ التي تنسى مواجعها بمعجزةٍ  
وأصواتٍ تهددُ بالغناء قماطَه القطني، تسألُ:  
هل تليقُ به المدارسُ؟  
هل تليقُ به الوظيفةُ؟  
هل تليقُ به بناتُ الحيِّ؟  
يكبرُ. يملأ الدنيا وتملوهُ،  
يجرّبُ لذة الجسدِ،  
انتشى حين استضافتُهُ الزلازلُ بين فخذي الحبيبةِ  
صار يعرف كيف يحمل عمره بين المعاركِ  
مثل كيس الخيش ممتلئاً علاقاتٍ وأشواقاً وأوصافاً  
ويضربُ، مثل طفلٍ في زقاق الحيِّ يلعبُ  
ثم يُبصرُ موتهُ فيكادُ يهرُبُ،  
ثم يبقى. ثم قد ينجو ويضحكُ وهو يطلعُ  
من سحاباتِ الدُخانِ لكي يعانقَ صاحِبَهُ  
\* \* \*

هذي جنازتهُ تمرُّ أمام باب البنكِ  
قرب مخازن الكاوتشوكِ تحت دعاية الكولا  
وراء المطعم الصيني، قبل معارض السجادِ  
بعد محل أقمشة السلام  
ولا تكفُّ القابلاتُ عن التراكُض في الليالي  
والحواملُ لا تكفُّ عن الولادةِ  
والسماء تضيئُ عمّا لا تُطيقُ النادبة  
\* \* \*

هل ننحت الأولاد في الدنيا رخاماً؟  
هل وصلنا حيث لا يصل المسافرُ؟  
يا مقابرُ  
هل لديك الآن متسعٌ لأسئلةٍ  
إذن فلتقرأيها في الرخامِ

كيف ارتمت هذي البداية في الختام؟  
من علم الملدوغ تدليل العقارب خلسة  
وتبادل الأنخاب مع حفل الأفاعي والهوام؟  
من علم المغروم حُبَّ غريمه  
من علم الأحزاب والشعراء زُخْرَفَةَ الحُطَام؟  
والموتُ يغرفُ بئرنا حتى الحصى  
ويصيبُ فينا من أطاع ومن عصى  
ويبيدُ الماءَ الكريمَ على الهشيم  
فمن سيحمي بابَ جمهورية الخيم التي  
أعلامها صورُ البنين أو البناتِ  
حدودها كُلُّ الجهاتِ  
جدادها كُلُّ الجهاتِ  
هي العليمةُ بالمذابح والجَهولُ بمجدها  
ولقد تُزْعِرُ في الجنازةِ  
ثم تبكي في الفراشِ لوحدها  
وهي المكفنةُ الولودُ  
هي الطباشيرُ التي كرهَ الجنودُ  
هي المظاهرةُ التي تنفضُ ناقصةً  
وكاملةً تعودُ  
كأنها ذهبُ الزمانِ وقد أزاح شوائبه  
\* \* \*

يا أيها الحُلمُ الذي نشقى لكي نتجاذبه  
وأقلنا يعطي لكفك ملامها  
وكأنه هو أخذُ، وكان كفك واهبةُ  
هذا هو الجرس الأخير يرن في كفي وفي كبدي  
بيدي خسرتُ يديّ يوم خسرتُ ما بيدي  
ما عاد لي سندٌ لأنني لم أعدُ سندي  
فأنا انتشاء مطارقي وأنا، كذلك، أنهُ الوددِ  
وكان جسمي كامنٌ في جسمه ليحاربه  
جسدي لكم حطبُ  
ليؤجج اللهباً  
يا موقداً يخبو  
من يسرق الحطباً؟  
تعب الذي يرتاح  
وارتاح من تعباً  
إن أخطأ الجراح  
ما أقتل الطباً!

ماذا أقول إذا المعزّون  
انتهوا من واجب الدمع المعلّب واستراحوا؟  
لموا افتخاركم الطويل  
كذيل طاووسٍ يمسُّ مقابر الموتى  
فإنّ قتلكم أولى بأن يبكي عليكم  
لو يتأخّ له النواح!  
ملحٌ يكاد يطأه ماء الفساد  
فمن يملح ملحننا  
جبلٌ وهزته الرياح  
جبلٌ ووعد العمر فيه فكيف هزته الرياح  
وكيف هزته الرياح  
ونحن نُنقلُ بالقبورِ جوانبه؟

## حنظلة طفل ناجي العلي

«كتبت هذه القصيدة ونشرت في جريدة السفير البيروتية عام ١٩٨٠، قبل اغتيال ناجي العلي بسبع سنوات، وهي قصيدة طويلة نورد منها مقطعاً واحداً، وتليها مباشرة قصيدة «أكله الذئب» التي كتبت بعد زيارة قبره قرب مدينة لندن عام ١٩٨٧».

\* \* \*

لأجلك بيني المقاول معتقلاً في الرمال  
ويستوردون مسيل الدموع وسيل الدروع  
وأجهزة الإلتقاط وقاضي القضاة وخير الرماة  
ومن يعقدون الحبال  
لأنك ما زلت في ملكهم  
هم اخترعوا لك هذي الكروش  
وأيديهم الطائلات لعنقك أنى تحط الرحال  
هنا كل شيء معدّ كما تشتهي  
فلكلّ مقام مقال

مكثرة الصوت في ليلة المهرجان  
وكاتمة الصوت في ليلة الإغتيال!

نشرت في «السفير» الأحد ١٣/٧/١٩٨٠

## أَكَلَهُ الذَّنْبُ

وقفنا على قبره خاشعين  
وما زال من دمه في الفضاء نداءً  
وما زال خيط الدماء على وجهه راعفاً.  
وما زال في عينه ضجّة  
كاندفاع الجيوش المسائي  
في مضرب البرق والرعد  
والوَفْدُ في روحه ما انطفاً.  
وحدثني قائلًا:

بريُّ هو الذنب من غيلتي يا مريدُ  
فذنّب البراري أجلُّ من الجرم  
والبعض أخلق أن يتعلم منه الصفات  
إذا أنصفاً.

وذنب البراري يغير ارتجالاً  
على أيّ صيدٍ يلوح  
ومن قتلوني هنا خططوا نصف دهرٍ  
لقتلي

وهم أطلقوا النَّارَ في دفتر الواجب المدرسي  
لطفلي

وفي بكرج القهوة العربية  
من كفت سيدتي في الصباح  
وفي فرحتي بالضيوف مساءً وفي حُلْمِ العمر  
قبلي

وهم أطلقوا النار  
في زهرة كنتُ أرسمها كلما طَوَّقَ اللَّيْلُ  
ليلي

وهم أطلقوا النار في شارعٍ في المدينة  
لم آتِه هاربًا من مصيري  
ولم آتِه سائحًا سارحًا في الفضول  
ولم آتِه خائفًا

وقارنُ إذا شئتَ بين الذنابِ  
وبين الذين أتوني من الخلفِ  
فالذنب يبدو أليفاً،

أنيقَ المخالبِ والروح  
حين نقارنه بالذي أطلق النار في شارعٍ  
ثم أحصى ثلاثين فضته، واختفى

بريء هو الذئب من دمعة فوق كُمِّ صغاري  
وإحراق ناري  
وتهجيج روعي بكل المنابذ من كل دارٍ  
إلى كل دارٍ  
بريء هو الذئبُ  
فلتحملوا للذئاب اعتذاري  
وما أكل الذئب يوسف يومًا  
ولكنَّ يوسف ليس الذي يحتمي بالفرارِ  
وليس الذي ينتهي راجفًا  
وقفنا على قبره خاشعينَ  
وما زال ينزف حزنًا علينا  
وينزفُ حُزنًا على شكل أيامنا القادِماتِ  
ويرمي على قاتليه التهكُّمَ والذعرَ  
حيًّا وميتًّا، ويحبسهم في براويزه الهازئاتِ  
ويمضي إلى موته صامتًا عارفاً  
وقفنا على قبره مانئينَ  
وفي قبره كان ناجي العلي واقفاً

لندن ٢/١١/١٩٨٧

## في زمني

في زمني  
شاع في الناس نعاسٌ غامضٌ  
قرب اتضاح الهاوية  
وعلى بُعد سطوحين من الديك الذكي  
والذي استيقظ حيناً  
شجّة اليأس أو الفأس، فنام  
في زمني  
حكَّ ظفرُ الخوف بلورَ النوافذ  
بهدوء وانتظام  
فتعودناه فينا  
أولَ الأمر على كُرهِ وحنقٍ  
ثم خفنا .. بانسجام  
في زمني  
لم يكن، قطُّ، مُهمًّا أن يقولَ المرءُ ما يعنيه  
أو يعني، تمامًا، ما يقول  
في زمني  
احترار أهلي  
بين عشق النخل أو عشق المغول  
في زمني  
اندلقت قطرة نَفْطٍ  
فوق أحلى لوحةٍ في مرسم الدنيا  
فحزّت ركنها الأعلى وشاخًا للحداد.  
في زمني  
ضاعت الدهشة منّا  
وتعلّمتنا استجابات الوجد  
كلّما سرنا، تعثرنا بوصفِ الخصمِ أو أوصافنا  
كلّنا سرنا، ولكن لم يصل منّا أحدٌ.  
في زمني  
ملأ الطاووسُ جدرانَ المكانِ  
وغدا الوطواطُ أعلننا مقامًا  
ووعاءُ السمنِ أبهى من «دُعاءِ الكروان»  
في زمني  
عادت البنت إلى بروازها في الحائط المهدودِ  
والبرواز مائلٌ  
لم تعد ليلى تخافُ الذئب بل جدّتها

وبني العمِّ وأشنابَ القبائل.  
في زمني  
سئم البغل من الكافيار والمخملِ  
واشتاق الفتى للقمّة الحافِ وثوب المدرسة  
في زمني رفعت كل الأيدي حُلمَ العمرِ  
وجلاذٌ وحيدٌ نكّسه  
في زمني  
سَمَحُوا بالركضِ للكُلِّ ونادانا المنادي:  
اركضوا بالسرعة القصوى كما شئتم،  
ولكن في القفص!  
٢٨/١١/١٩٩٢



طال الشّتات

بيروت - نيّوسيا ١٩٨٧

الإهداء  
إلى منيف البرغوثي

## رَجُلٌ

رَجُلٌ كَطَقَطَقَةِ الحَطَبِ  
في الموقدِ الشتويِّ  
يرتجلُ المواعيدَ الجميلةَ مع تفاصيلِ الحياة،  
شرارُ بهجتِهِ يُشَعِّشُ حَوْلَهُ  
ويوزِّغُ الصَّخَبَ المَلِيحَ على الأماكنِ والصِّحَابِ  
يكادُ يلمسُ جبهةَ الدُّنيا  
يُلاطِفُها إذا حَزَنْتْ  
يُفَرِّطُ عَقْدَ لَوْلُها ليلعبَ مثلما يهوى  
فتعبسُ، ثم تضحكُ، ثم تُشركُهُ اللُّعبُ.  
رَجُلٌ كَطَقَطَقَةِ الحَطَبِ  
في الموقدِ الشتويِّ  
ماذا جدَّ حتى يستبدَّ به  
سكونٌ غامقٌ  
مثل الرمادِ وقد تولى الساهرونَ  
وحلَّفوا آثارَهُمْ  
في جَعَلَكاتِ مَقَاعِدِ هُجِرَتِ  
وملاءَ منافضِ لم تُحَلَّ بعدُ مِنَ التَّمِيمَةِ  
والبلادةِ، والحنينِ (المرتخي دومًا) إلى وطنِ  
مقيمٍ في التَّعَبِ؟  
رَجُلٌ يكادُ يزيحُ جدرانَ المكانِ لكي يُهَيِّئَ مطرَحًا  
للَّهيبَةِ المحبوسِ،  
يَعْرِفُ ما أَلَمَ بهِ  
ويَسْحَبُ قشعريرته الأليفةَ للسرييرِ  
يشدُّ أطرافَ الغطاءِ، ويُغمضُ العينينِ  
كَي لا يَنْتَجِبَ.

١٣/٣/١٩٨٧

## رَضْوَى

عَلَى نَوْلِهَا، فِي مَسَاءِ الْبِلَادِ  
تُحَاوِلُ رَضْوَى نَسِيحًا.  
وَفِي بَالِهَا كُلُّ لَوْنٍ بِهِيجِ  
وَفِي بَالِهَا أُمَّةٌ طَالَ فِيهَا الْجِدَادُ.  
عَلَى نَوْلِهَا، فِي مَسَاءِ الْبِلَادِ  
وَفِي بَالِهَا أَرْقٌ لَهَبِيَّ الْحَوَافِّ  
وَمَا يَمزُجُ الْبِرْتِقَالَ الْعُرُوبِيَّ  
بِالْتَرَكُوزِ الْكَرِيمِ  
وَفِي بَالِهَا وَرْدَةٌ تَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ الْجَرِيحَ  
وَفِي بَالِهَا أَبْيَضٌ، أَبْيَضٌ، كَحَنَانِ الضَّمَامِ.  
عَلَى نَوْلِهَا، فِي مَسَاءِ الْبِلَادِ  
وَفِي بَالِهَا اللَّوْتَسِيُّ الْمِبْلَلُ بِالْمَاءِ  
وَالْأَخْضَرُ الزَّرْعَتْرِيُّ  
وَصُوفُ الضُّحَى يَتَخَلَّلُ فُضْبَانَ نَافِذَةٍ  
فِي جِدَارِ سَمِيكِ  
وَفِي بَالِهَا السَّنْبَلِيُّ الْمُعْصَفَرُ  
وَالزَّرْعِرَانُ الَّذِي قَدْ يُجِيبُكَ لَوْ أَنْتَ نَادَيْتَهُ  
وَالنَّخِيلِيُّ وَهُوَ يَلَاعِبُ غَيْمًا يَحَازِيهِ  
فِي كَقِّهَا النَّوْلُ، مُتَعَبَةً،  
تَمزُجُ الْخَيْطَ بِالْخَيْطِ وَاللَّوْنَ بِاللَّوْنِ  
تَرْضَى وَتَسْتَأَى، لَكِنَّهَا  
فِي مَسَاءِ الْبِلَادِ  
تُرِيدُ نَسِيحًا لِهَذَا الْعِرَاءِ الْفَسِيحِ  
وَتُرْسِمُ سِيْفًا بِكَفِّ الْمَسِيحِ  
وَجُلُجَلَةٌ مِنْ عِنَادِ.

## غِبْطَة

سِرَاعًا،  
تَعَلَّلَهُمْ ضَجَّةُ الرَّكُضِ  
لَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْخَلْفِ.  
عَاصِفَةٌ مِنْ غُبَارٍ تُلَاهِيهِمْ  
وَالزَّمَانُ مَهَامِيزُ تَدْفَعُهُمْ لِلأَمَامِ  
فَلَا وَقْتَ فِيهِ لِدْفَنِ الَّذِي مَاتَ رَكُضًا  
وَلَا وَقْتَ لِلشَّاشِ حَوْلَ الجِرَاحِ  
وَلَا وَقْتَ لِلإِخْتِبَارِ الدَّقِيقِ لَجِسْمِ الرِّيحِ  
وَرُوحِ الطَّرِيقِ، وَلَا أُذُنَ تَسْمَعُ نُصْحًا  
يَهْزُ وَثُوقَ الوَثُوقِ  
وَلَا عَيْنَ تُبْصِرُ إِلَّا أَمَامَ الأَمَامِ.  
وَلَا ضَيْرَ فِي كُلِّ ذَلِكَ...  
لَكِنَّ مَا يَرْكُضُونَ إِلَيْهِ جَمِيعًا،  
تَكْوَمُ، مُنْسَجِمًا،  
خَلْفَهُمْ.

١٤/٣/١٩٨٧

## شخص

بَنَتِ الشَّيَاطِينُ الصَّغِيرَةَ بَيْنَهَا فِي جِسْمِهِ  
فَوَضَى، مُرْتَبَةً، بِإِلَافِ فَوْضَى  
تَنْطُ سَنَاجِبُ الشَّهَوَاتِ فِيهِ  
يُرْتَبُ الدُّنْيَا كَمَا يَهْوَى  
وَيَهْدُمُ مَا تُرْتَبُهُ يَدَاهُ  
فَلَقُّ،

كَأَنَّ يَقِينَهُ الْمَفْتُوحَ  
مَفْتُوحٌ عَلَى حَقْلَيْنِ مَفْتُوحَيْنِ فِي  
أَفْقٍ يُحِيرُهُ  
لَهُ ضَوْضَاؤُهُ أُنَى اسْتَقَرَّ  
وَصَمْتُهُ صَمْتُ الْمَرَايَا فِي الظَّلَامِ  
وَيَنْتَقِي هِنْدَامَهُ الرُّوحِيَّ مِنْ ضَوْءِ الْحَرِيرِ  
وَلَا يَطِيرُ

وَلَا جَوَابَ يَقِيمَ فِيهِ مُطَوَّلًا  
وَتَجُولُ فِي شُرَفَاتِهِ  
قَطَطُ السُّؤَالِ الْجَائِعَاتُ  
وَلَيْسَ قَدِيمًا لَا وَغَدًا  
وَلَكِنْ جَدِّ مِثْلِي وَمِثْلَكَ  
سَيِّئٌ مِثْلِي وَمِثْلَكَ، مِثْلَنَا

يَمْشِي عَلَى طُرُقِ الْحَيَاةِ مُخْتَبِّئًا فِي جَيْبِهِ  
أَدْوَاتَ تَجْمِيلِ الْخِصَالِ  
يَسُوقُ أَشْنَاتَ الْمِبَاهِجِ كَالْخِرَافِ أَمَامَهُ  
وَوِرَاءَهُ مَا يَذْكَرُ النَّاسِي مِنَ الْخَيْبَاتِ  
وَالْحُزْنَ الْمَضْلَعِ كَالْحَدِيدِ  
هُوَ الْمَهْدَدُّ وَالْعَنِيدُ

هُوَ الْخَبِيثُ هُوَ الْوَدِيعُ  
هُوَ الَّذِي رَفَعَ الْيَقِينَ إِلَى مَصَافِّ الشُّكِّ  
يَخْشَى أَنْ يُضَيِّعَ فِي زِحَامِ السُّوقِ لَوْلَوْ رُوحِهِ  
وَيَرَى النِّجَاةَ يَعْرِئُ مَطْلَبُهَا  
فِيْلَهُتُ فِي مُرَاغَةِ الْمَهَالِكِ  
مُفْرَدًا فِي خَمْسِ قَارَاتٍ،  
كَلَّ بَنِي الْبَشَرِ

## باب العامود (\*)

بابُ العامودُ  
رائحةُ الأسلافِ الأولى  
قوسٌ من صَمْتِ يوشِكُ أنْ يحكي.  
ضجةُ أحفادٍ وهدوءُ جدودُ.  
حَجَرٌ صارمٌ.  
حَجَرٌ شَقَافٌ يُمَكِّنُ للعينِ  
مُشاهدةُ الدهرِ خلالهُ  
حَجَرٌ يتأملُ حالهُ  
باقٍ، لا يَزْحَلُ إلا للتاريخِ وللذكري  
وَيَعُودُ.

بابُ العامودُ  
باعةُ كعكٍ بالسَّمسم  
عَتَالُونَ وَأَطْفَالُ مدارس  
جَدَاتٌ يَسْتُرْنَ الرَأْسَ بِشالاتٍ سودُ.  
لُغَةٌ عَرَبِيَّةٌ،  
موسيقى العودُ.  
وسلالُ النَّينِ المَقطُوفِ على ضوءِ الفجرِ  
وعيدٌ لا يَأْتِي في مَوْعِدِهِ  
قلعةُ خوفٍ وبسالهُ  
سِحْرٌ يتأملُ حالهُ  
أخْلاطٌ مِنْ طِيبِ  
روحٍ للروحِ وعاصمةُ للقلبِ  
ووقتٌ لفتوحاتِ الخيلِ الأولى  
يتعَثَّرُ في وقتِ الدَّبابةِ  
كلُّ الصَّلواتِ بِكلِّ لُغاتِ السياحِ  
المنهمكينَ بضبطِ الكاميرا.  
حَدَشُ الرَّوْتِقِ في صوتِ الوحي  
بضوضاءِ «الميراجِ».  
سماءٌ عَكَرَها شيءٌ غيرِ الغيمِ  
وأرضٌ فيها أسماءٌ سيئةٌ  
بجوارِ الأسماءِ الحُسنَى.  
والعشبُ النابتُ في الأحجارِ  
نوافذُ تاريخٍ مَهْدُودُ.  
بابُ العامودُ  
تطريزٌ فَلَاجِيٌّ، وبساطيرُ جنودُ.

رشاش «العوزي» وهلالُ مُحَمَّدٍ  
والحَرْفُ العِبرِيُّ ونجمةُ داوُد.  
إِكليلُ الشَّوكِ على دمعِ الأرابيسكِ الهاديِّ  
فضَّةُ همساتِ يهوذا  
وقيامهُ روحِ المقتولِ المولودِ.  
بابُ العامودِ  
وَلَدٌ عَرَبِيٌّ  
وَلَدٌ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ كَيْفَ تَلَبَّثَ مَسْتَنَرًا  
إِلَّا حِينَ هَوَى الجندِيُّ المُتَعَطِّسُ  
مدروراً بعقابِ فدٍ  
وانتشرتْ رائحةُ البارودِ.

٩/٤/١٩٨٧

(\*) من أبواب سور القدس.



## سیدتان

سَيِّدَةٌ تَعْرِفُ كُلَّ مَحَلَّاتِ الْفِضَّةِ فِي بَارِيسَ  
وَتَشْكُو.

سَيِّدَةٌ تَبْكِي كُلَّ حَمِيْسٍ فِي خَمْسِ مَقَابِرَ  
وَتُكَابِرُ.

٢/٤/١٩٨٧

## تفسير

شاعرٌ يَكْتُبُ في المَقْهَى  
العجوزُ، ظَنَّنَهُ يَكْتُبُ رسالةً لوالدتهِ  
المُراهِقَةُ، ظَنَّتَهُ يَكْتُبُ لِحبيبتهِ  
الطُفْلُ، ظَنَّهُ يرسمُ  
التاجرُ، ظَنَّهُ يتدبّرُ صَفَقَةَ  
السائحُ، ظَنَّهُ يَكْتُبُ بطاقةً بريديّةً  
المُوظفُ، ظَنَّهُ يحصيُّ ذُيُونَهُ  
رَجُلُ البوليسِ السريِّ، مَشَى نحوَهُ ببطءٍ.

١٩/٣/١٩٨٧

## مُقَوِّمَات

الكوكاكولا، تشيزمانهاتن، جنرال موتورز،  
كريستيان ديور، ماكدونالد، شل،  
دايناستي، هيلتون إنترناشيونال،  
كنتاكي فرايدتشيكن، الغاز المسيل للدموع  
والهراوات، والمباحث، ...  
قال ابنُ خلدون:  
هذه مُقَوِّمَاتُ الدَّوْلَةِ عِنْدَ العَرَبِ.

١/٤/١٩٨٧

## أَمْنَا

تَوَدُّ الخُرُوجَ إلى كوكبِ خارجِ الأرضِ  
حتى تُرتَّبَ عالمها مثلما تشتهي.  
فهذي البلاد، وهذي الحياةُ  
جَعَلَتْ كُلَّ أشواقِها مُعْجَزَاتُ

\* \* \*

تُرِيدُ لشهقةِ رائحةِ الثومِ في الظُّهرِ  
أنَّ تجمَعِ الغائبينَ  
ويُدْهِسُها أنَّ باميةَ الأمِّ  
أضعفُ مِنْ سَطْوَةِ الحاكمينَ  
وأنَّ فطائرِها في المساءِ تجفُّ  
على شرشَفٍ لا تُنْطِنُ فيهِ الأيدي  
وهل تسعُ الأرضُ قسوةَ أنَّ  
تصنَعُ الأمُّ فنجانَ قهوتها، مُفردًا،  
في صباحِ الشتاتِ؟

\* \* \*

تَوَدُّ الخُرُوجَ إلى كوكبِ خارجِ الأرضِ  
حيث تعجُّ الممراتِ بالراكضينَ إلى غرفةٍ من سِواها  
وحيث الأسيرةُ في الصباحِ فوضى  
وكل المخذّاتِ تصحو مجعلكةً  
فُطُنُها غائِصٌ في الوسطِ  
تريدُ اكتظاظَ حبالِ الغسيلِ  
وأرزًا كثيرًا تفلفلهُ للغداءِ  
وإبريقَ شايٍ كبيرًا كبيرًا يفور على النارِ عَصْرًا  
ومائدةً للجميعِ، مساءً، يُنْقِطُ مفرشها  
سَمِسَمُ التثرثراتِ.

\* \* \*

تَوَدُّ الخُرُوجَ إلى كوكبِ خارجِ الأرضِ  
حيثُ الفطامُ حرامٌ  
وحيثُ الطفولةُ تمتدُّ للأربعينَ  
وحيثُ زواجُ البنينِ جميلٌ جميلٌ  
ولكنْ مشوبٌ ببعضِ العَطْأِ!  
وحيثُ الكنائسُ أخفضُ صوتًا  
وأعلى امتثالًا  
وحيثُ الجهاتُ جميعًا تؤدي إلى مَرْفَأِ الصِّدْرِ  
مِلءَ خَلِيجِ الدِّراعينِ

تستقبلان ولا تعرفان الوداع  
تريدُ من الطائرات الرجوع فقط!  
والمطارات للعائدين،  
تَحطُّ بها، ثم لا تُقْلَع، الطائراتُ

\* \* \*

تودُّ الخروجَ إلى كوكبٍ خارجِ الأرضِ  
حيثُ الوطنُ  
سيحتاجُ دمعاً أقلَّ وموتاً أقلَّ  
لكي تلمسَ الكفَّ أشجاره  
دون شوقٍ  
ودون اعتبارِ الطَّحينِ مِنَ الأمنياتِ.

\* \* \*

تودُّ الخروجَ إلى كوكبٍ خارجِ الأرضِ  
حيثُ تحدِّدُ أين المفرُّ وأين المقرُّ  
وأين ستدفن موتى المنافي  
وتعرفُ في أي أرضٍ ستبكي  
وعن أيِّ قَبْرِ تدافعُ حتَّى المماتِ.

\* \* \*

تودُّ الخروجَ إلى كوكبٍ خارجِ الأرضِ  
علَّ مياه الشَّرابِ  
تصيرُ حقوقاً لها مثل باقي العطاشِ  
وحيثُ تُؤمِّنُ فُرصَ الدَّواءِ  
بغير التَّدخُلِ مِنْ مجلسِ الأمنِ  
أو علَّها تستطيعُ التحرُّكَ مِنْزَلاً  
لتجذبَ جَنَّةَ جارتها من رُقَاقِ  
بدون انهماكِ الرِّصاصِ  
يسدُّ عليها جميعَ الجهاتِ.

\* \* \*

تودُّ الخروجَ إلى كوكبٍ خارجِ الأرضِ  
علَّ هُنَاكَ مِنَ العَدْلِ ما سوفَ يمنحُها  
بضعةً من قُلُوبِ لِنَحْمِلَ هذا العذابِ  
الذي لم يُورَّغِ بعدلٍ على الكائناتِ.

\* \* \*

تودُّ الخروجَ إلى كوكبٍ خارجِ الأرضِ  
لكنَّ هيَ الأرضُ يا أمُّ، ما مِنْ سِواها لنا  
ولنا أن نعيشَ هُنَا، هكذا، مثلنا  
مثل مَنْ لا حَقُّهُ طويلاً

وما عادَ مِنْ مخرجٍ عندهُ غيرَ أنْ يستديرُ  
واقفاً

في مُواجهةِ الهولِ كي يتدبّرَ أمرَ النجاةِ

\* \* \*

تودُّ الخروجَ إلى كوكبٍ خارجِ الأرضِ  
يا أمُّ لا كوكبٌ، غيرَ هذي الحياةِ.

٢١/٣/١٩٨٧

## مَوْج

تَعُودِينَ مِنْ عَمَلِ الْيَوْمِ  
مُجْهِدَةَ الْجِسْمِ وَالرُّوحِ مِثْلِي  
وَنَعْتَابُ عَالَمَنَا فِي هُدُوءِ الْغَدَاءِ.  
وَتَمْضِي الشَّوَاغِلُ، دَرَسُ الصَّغِيرِ  
انْقِطَاعُ الْمِيَاهِ، اخْتِفَاءُ الْكِتَابِ الَّذِي  
تَتَبَادَلُ فِيهِ الْقِرَاءَةُ  
تَدْبِيرُ أَمْرِ الْعِشَاءِ  
مَشَاكِلُ جَارٍ سَخِيفٍ  
وَتَهْنِئَةٌ لِلصَّدِيقِ الْمُشَاعِبِ  
بَعْدَ ثُبُوتِ بَرَاءَتِهِ فِي الْقَضَاءِ.  
وَنَسْرِقُ تِسْعَةَ أَعْشَارِ قُبُلْتَنَا بَيْنَ  
غَسَلِ الْأَوَانِي، وَإِعْدَادِ شَايٍ لَضَيْفِ الْمَسَاءِ.  
وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ  
يَرْتَطِمُ الْجِسْمُ بِالتَّعَبِ الْمَسْتَطِيلِ  
تَقُولِينَ لِي  
«طَابَ لَيْلُكَ يَا صَاحِبِي»  
«تَصْبِحِينَ عَلَيَّ أَلْفَ خَيْرٍ»  
وَنَطْفِيءُ مَصْبَاحَنَا، فِي امْتِنَالٍ لِأَمْرِ النُّعَاسِ الَّذِي نَشْتَهِي  
ثُمَّ  
يَرْفَعُنَا الْمَوْجُ مِنْ يَوْمِنَا كُلِّهِ  
يَبْعَثُ عَلَيْنَا مَلَاسِنًا فِي جَمِيعِ الزَّوَايَا  
وَيَرْمِي بِأَجْسَادِنَا فِي هَيَاجِ الْعِنَاقِ.  
١٥/٣/١٩٨٧

## مَدْرَج

هو مَدْرَجٌ للطَّائِرَاتِ  
يَظَلُّ يَحْشُدُهَا بِعَزْمٍ صَاعِدٍ، مُتَّصِعِدٍ،  
حَتَّى تَطِيرَ.  
حَرٌّ مُضَاءٌ بِالنَّدَى وَالنُّورِ صُبْحًا أَوْ مَسَاءً  
لَيْسَ يُنْقَلُهُ النَّقِيلُ،  
وَلَا تَخَافُ فِضَاءَهُ فِرْقُ الْعَصَافِيرِ الصَّغِيرَةِ.  
مُتَنَقِّي كَلِّ الْجِهَاتِ وَمُتَنَقِّي الْبَهَجَاتِ، رَاحِلَةٌ وَعَائِدَةٌ،  
رَقِيقٌ فِي مَلَامِسَةِ التَّعَلُّقِ بِالْحَيَاةِ،  
كَأَنَّمَا صَاعُوهُ مِنْ زَعْبِ الْكَتَاكِيَتِ الْوَلِيدَةِ  
وَالْحَرِيرِ.

لَكِنَّمَا...

بِالْأَمْسِ،

حَطَّمتِ الرِّيَاحُ عَلَيْهِ طَائِرَةً

وَعَطَّتُهُ الْحَرَائِقُ وَالرُّكَامُ

وَحَوَّلَتْ عَنْهُ الْمَبَاهِجُ كُلَّهَا

مُدُّ ذَاكَ، أَصْبَحَ مِثْلَ

رُوحِي.

١٣/٣/١٩٨٧



## أبو مُنيف

أدرَكْتُهُ  
وكأَنَّهُ، مُدُّ كَان، لم يَفْجِعْ بمخلوقٍ سواكَ!  
الموتُ فينا منذ آدم يا أبي  
عَمَمٌ وعاديٌّ تمامًا  
كيف باعْتَنِي، إِذْنُ، حتى العِظامُ؟

\* \* \*

يا للسذاجةِ  
هل وَهَمْتُ، كأَيِّ طفلٍ، أَنْ سحرًا ما  
سيستثنيك مما ليس يُستثنى  
وَأَنَّ الكونَ مبنيٌّ بحيثُ تكونُ فيه على الدَّوامِ؟  
\* \* \*

خَلَّفْتُ خلفي نصفَ ما في العمرِ من عمرٍ  
ونصفَ النَّفْيِ، نصفَ الليلِ  
حين تَلَعْتُمُ النَّاعي  
وأجرُحُ ما يكونُ النعيُّ لعنمةً  
وأفصحُ كلما انكسر الكلامُ!

\* \* \*

صوتٌ يرقُّ على مياهٍ مخاوفي كذوائبِ الصفصافِ  
محنِيٌّ بوطأةٍ ما يحاولُ أَنْ يُخَيِّبِيءَ أو يذيعَ  
كأَنَّمَا النَّاعي يحاولُ مستحيلًا  
مثل ترتيب الحديد على غمامٍ.

\* \* \*

ولَكَمْ خُذِلْتُ وقد تيقَّنَ أَنَّهُ حتى  
حنانَكَ  
لم يردَّ الموتَ عنكَ  
وَأَنَّ حُبَّ الناسِ حولَكَ  
لا يقي حتى من الموتِ البسيطِ  
كأَنَّ فيَّ جهالةَ الطفلِ الذي  
عَجَنْتُ أصابعَهُ قوائيمًا من الصَّلْصالِ  
حَسَبَ هَوَاهُ:  
يَدْخُلُ في البدايةِ ثم لا يرضى بأسبابِ الخِتَامِ

\* \* \*

وتموتُ في المنفى  
ومن منفى سواه  
يطيرُ وَحَشُّ النَّعيِ

من منفى إلى منفى وتبتعد البلادُ  
بخبزها وجرارها ومنمنماتِ العشبِ في  
أسوارها،  
بهشاشةِ القمرِ الذي يسري بأخضره  
على صبارها  
وندى على تين على غصن على شجرٍ  
تلاعبه العصافيرُ المصابةُ بالغباءِ فلا  
تكف عن الرحيلِ ولا تُحسُّ بضيعةِ الأوطانِ مثلَ الناسِ!  
تبتعد الطوابينُ القديمةُ  
والمسامرةُ الحميمةُ في المضافاتِ  
التي اعتادت على شتمِ الملوكِ على الحصيرةِ  
والتلفتِ من قبيلِ الاحتراسِ  
وخشيةِ الواشينِ  
تبتعدُ الدموعُ الغامضاتُ على لحي الآباءِ  
وسطاً مباحجِ الأعراسِ  
تبتعدُ الأهلةُ والقبابُ الداكناتُ  
وقوةُ الآلامِ في الأنفاسِ  
تبتعدُ القرى بطرازها القوطيِّ  
والساحاتِ والأقواسِ  
تبتعدُ الحكاياتُ التي كذبت على نعسِ الصغارِ وقد  
تمادوا في النعاسِ  
وفي اشتهاؤِ الأكلِ والطاباتِ  
تبتعدُ القرى بالناسِ إذ يتحايلون على المآسي  
بالتلاقي في المآسي،  
يجعلون الحزنَ أرشق من مشاتلِ حقلِ كُمثري  
تفضُّضَ في الظلامِ.

\* \* \*

وتموتُ في المنفى  
كأنَّ الأرضَ لم تطلُبْ بنيتها  
أو كأنَّ لم تُطالبْ مثلما شاءتُ  
ولم نُعطِ الذي قصَدتُ  
فهل تَعَبَ المُطالبُ يا أباي  
أم صارَ هذا الحقُّ قطرةَ زئبقٍ  
فتشاجرتُ كلُّ الأصابعِ فيه  
وابتعدَ المُتأخِرُ عن المرامِ؟

\* \* \*

صِيحاتُ غريبتنا تُوزِّغُ جمرَها

وتعود أبردَ من صقيع الليلِ  
حين يشفُّ شاهدة الرُّخامِ

\* \* \*

والليل حولي لا يمرُّ  
وليس حولي من يُواجعني ويكذبُ (صادقاً)  
من أجل رُوحِي  
أو يلومُ هشاشتي حتى ألومهُ!  
أما المسافةُ بين أحبابي وبينِي  
فهي أقبحُ من حُكومة!  
وعليّ تفسيرُ العِلاقةِ  
بين أعلامِ البلادِ وبين خوفي  
وعليّ تفسيرُ انتصارِ «القصرِ»  
حين يحولُ بين دموعِ أمي الذاهلاتِ  
وبين كِتفي  
بين قهرِ بعضٍ وطأتهِ كظلفِ الكركدنِّ  
على رفيفِ القلبِ في قلبي  
وبين نُباحِ كلِّ نجومِ نصفِ الليلِ خلفي  
بين داءِ البرلمانِ وبين شكلِ الإقتصادِ  
وبين أن لا يلتقي نصفِي بنصفي  
كم سَاهزُمُ من ملوكِ يا أبي  
حتى تمرَّ على جبينكِ لمسةٌ من طَرْفِ كَفِّي!

\* \* \*

فاذهبْ وحيداً يا أبي  
إذهبْ إلى منفاكِ من منفاكِ  
إذهبْ إلى قبرِ غريبٍ عن قبورِ بلادنا  
واصعدْ مقدِّمةَ الجنازةِ مُفرداً  
ولتنتظرْ أمي تعازي الإبنِ والغُرباءِ  
مع ساعي البريدِ  
واعلمْ بأننا لن نُمكنَ من وداعكِ يا أبي  
فلمنلِ هذا اليومِ لا لسواه  
ترتفعُ الكفاءةُ في مخافنا  
وتسهرُ كلُّ عينٍ في الحدودِ  
ولمثلِ هذا اليومِ، لا لسواه  
يشتدُّ التنافسُ في وزاراتِ الدفاعِ  
على احتلالِ مُنمناتِ الروحِ في رُوحِي  
وينتصرون، في زهوٍ، على قبرِ الفقيدِ.

\* \* \*

لا حقَّ لي في الحُزنِ  
لكُنِّي مُجِئٌ في العُصبِ  
لا، ليس حزنًا ما يُرَجِرُجُ زَيْرَفونَ الروحِ  
بل غضبٌ أراه مُشَّخصًا وله قَوامٌ.

\* \* \*

فاذهبْ وحيدًا يا أبي  
واتركْ لنا هذي العجائبَ والخلائطَ  
لا تَقُلْ شيئًا  
فإنَّ الموتَ في المنفى اتَّهامٌ

بودابست-ديسمبر/١٩٨٦

## البنفسج

كُلُّمَا انطبقَ العقربان على وقتنا  
ارتفعتْ شاهِدة!  
نَحْمِلُ العَمْرَ عبر امتداد المكان  
صرخةً، عرفاً، قلمًا، طلقَةً، شهقةً ثمَّ  
ترتفعُ الشاهِدة  
ثم نمضي  
وتبحث عبادةُ الشمس عن شمسيها من جديد  
هي الأرضُ تُكْمِلُ دوراتها  
والقصيدةُ تُكْمِلُ أبياتها  
والطريقُ  
على جانبيه القصائدُ والموتُ  
فيه البروقُ التي تتوهجُ  
فيه الجموعُ التي تندرجُ في مرتقاها العسيرِ  
وفيه البنفسجُ  
من نُقْشَةٍ في قماطِ الوليدِ  
إلى الشاهِدة.

٣٠/١١/١٩٨٠

## كلاشنكوف

كَمْ عَدُوًّا يَنْتَوِي شَرًّا بِكَ الْآنَ  
وَكَمْ مَوْتًا يَرِيدُكَ؟  
كَمْ مِنَ الْعَثَمَاتِ تُخْفِي أَمْرَهَا كِي تَنْقِيكَ؟  
كَمْ فَتْنَى أَعْطَاكَ مَا فِي الْكَفِّ مِنْ رُوحٍ  
وَمَا فِي الرُّوحِ مِنْ لَمَسٍ وَمَاتَ؟  
كَمْ مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْأَحْرَاشِ وَالشَّطَّانِ وَالْوَعْرِ افْتَدَيْتَ؟!  
كَمْ تَمَلَّمْتَ عَلَى كِنْفِ الْحَرَسِ؟!  
كَمْ عَرُوسًا رَافَقْتَ طَلْقَاتِكَ الْجَدْلَى إِلَى بَيْتِ الزَّغَارِيدِ  
وَكَمْ مَيْتًا لَنَا وَدَعْتَهُ حَتَّى السَّمَاءِ؟!  
كَمْ مِنَ الْأَحْلَامِ وَالْأَشْكَالِ وَالْأَسْمَاءِ زَانَتْ أَحْمَصَكَ؟!  
كَمْ مُعَنَّ تَاجَرْتَ كَفَّاهُ فِيكَ؟!  
كَمْ فَضَحْتَ الْخُطْبَةَ الْعِصْمَاءَ فِي مَثْرِينَ مِنْ أَرْضِ  
تَنَادِي: لَنْ يَمْرُوا؟!  
كَمْ رَضِيْعًا سَوْفَ تَحْمِي عِنْدَمَا تَأْتِي جَنَازِيرُ الْعَدُوِّ؟!  
كَمْ رَضِيْعًا سَوْفَ تَحْمِي عِنْدَمَا تَأْتِي جَنَازِيرُ الْعَرَبِ؟!  
أَيُّهَا الْمَكْرُوهُ مِنْ كُلِّ الْبِلَادِ  
عَمَّ صَبَاحًا!  
أَنْتَ تَدْرِي كَمْ يَدٍ بَيْنَ مُحِيطٍ وَخَلِيْجٍ  
تَشْتَهِيكَ

١٥/٣/١٩٨٧

## الغائب

في زهول المغيب  
شارعٌ يتقاطعُ مع زُرقةِ البحر  
سيدةٌ تقطعُ الشارعَ  
المتلاطمَ بالمارةِ المسرعينَ وبالريحِ  
تدخلُ مكتبةً ثم تخرجُ دون كتابٍ  
تحققُ في العابرينَ جميعاً، ولكنها  
لا تراه.  
تفحص حشداً أمام محلّ الفلافلِ، لكنها  
لا تراه.  
تميلُ إلى مكتبِ للبريدِ  
وتستوقف اثنين في لهفةٍ  
«-اعدُراني، ظننت بأنك...»  
تخرجُ من كل بابٍ وتدخلُ كلَّ زُقاقٍ ولكنها  
لا تراه.  
«كم الساعةُ الآن»، تمشي وشمشي  
تُفاجأ بالبحرِ  
يعلو ويهبطُ في ظلمةٍ هبّطت فجأةً  
وقليلٌ من المسرعين يشدّون ياقاتِهِمْ  
«هل أعود إلى البيت؟»  
«كم سنة سوف أبحث؟»  
لا بدّ لي أن أراه، فما زال حيّاً  
ولكنها نظرت للبيوتِ البعيدةِ مغمورةً بالمصابيح  
وانفجرت بالنعيبِ.

بيروت/إبريل/١٩٨٢

## لو

- لو نَجَحَ «سيزيف» في رفع الصخرة  
كنا نسيناه!

- ما أتعسَ ليلى

لو كان قيس حقًا بحاجة للنار!

- أيُّ فَشَلْ

لو وَفَّقَ اللهُ الْمُتَنَبِّيَّ في أَنْ يُعَيِّنَ وَالِيًّا!

- لو كان «لير» راجح العقل

لو كان هَمَلْتُ حاسمًا

لو نجا عُطيل من دسيسة إياجو

ولو تزوجت جولبيت من روميو

ماذا نصنعُ بشكسبير؟

- فَفَطُ

لو كان للحقيقة

قُوَّةُ الإِشَاعَةِ!

٢٠/٣/١٩٨٧



## فصيح

ينتوي شرًا ولا يقوى عليه  
ويرى خيرًا ولا يمضي إليه  
إننا نعرفه في حالتيه  
بؤسه يختبئ الآن وراء الكلمات الباسلة  
في ضجيج المهرجان.

فبراير ١٩٨٠

## قبل الأوان

إلى أمل دنقل  
كلُّ مَيِّتٍ قَتِيلٌ.  
كل موتٍ جريمة.  
حَسَنُ يا فتى  
هذه حصَّتُكَ،  
غرفة ضيقة  
والردي يتزاحم فيها معكَ  
في مآفِكِ لؤلؤةٌ لا تُرى  
في يديك الهواءُ  
لا يداويكَ طبُّ  
وأنتَ لقومِكَ بعضُ الدواءِ.  
هكذا ينتهي من عَصَى  
مفردًا كالدعاءِ.  
عاريًا كالحصَى  
هكذا ننتهي عادةً  
هكذا ينتهي من يرى:  
يجفل النجم من قرعه الطبلِ  
يصطأكَ بابُ سميكَ على طائرٍ  
تسرِّعُ الشاحناتُ التي هَرَبَتْ مِنْ رجالِ الجمارِكِ  
يستعرضُ العسكريونَ عسكرَهُمْ صاخِبِينَ  
وهذي المدينةُ لم تدرِ أنك بين الملاءاتِ في وحشةٍ  
وإلى وحشةٍ مثلها ستغدو الخُطى  
حين يستقيطُ الرُّعبُ مِنْ نومهِ  
حين لا يسمع الراكضونَ إلى عَتَبَاتِ المهالكِ  
أجراسنا  
حين يمشي الهلاكُ إلينا  
ونحسبه شجرًا ماشيًا  
حينما يصبح العمرُ لا خيرَ لا شرَّ لا بينَ بين  
حين تخشوشنُ الرُّوحُ أوجَ الصبا  
حين تغدو الحياةُ كحفنةِ ماءٍ نحاولُ إمساكها باليدينِ  
قتيلٌ هو الحيُّ فينا  
وميتنا، ميِّتٌ مرتينِ.  
هكذا ننتهي أيها اليافعُ الكهلُ  
ما من بديل  
هي جرثومة في البلاد لها الحَوْلُ والطَّوْلُ

وَالكَلِمَةَ الْفَصْلُ وَاللَّغْزُ وَالْحَلَّ  
جَمْرٌ وَيَبْتَلُ جِسْمٌ وَيَنْحَلُّ عُمُرٌ وَيَنْسَلُ  
عَدْلٌ وَيَخْتَلُّ أَرْضٌ وَتُحْتَلُّ  
وَالسَيْفُ يُسَنَلُّ مِنْ أَجْلِ أَعْنَاقِنَا  
فَلِمَاذَا الْمَرَاتِي إِذْنَ؟  
إِغْضَبُوا لِلْقَتِيلِ!

١٨/٦/١٩٨٣

## الخنزير

أملسُ الجِلدِ، بَطِينٌ وبطيءٌ وسميكَ الرَّقَبَةَ،  
وثقيلُ الخَطوِ  
عيناهُ إلى الأسفلِ دوماً تنظرانُ  
ولهُ خَطْمٌ غليظٌ ناتئٌ  
ونخيرٌ كصريِرِ العَرَبَةِ،  
كومةٌ مذهنةٌ حينَ ينامُ  
وارتجاجٌ دبقٌ في لَحَظَاتِ الهَيَجَانِ  
كونُهُ يبدأ من وجبتِهِ حتى حدودِ العَتَبَةِ،  
يحتسي قهوتَهُ الأولى على مَهَلٍ  
ويختارُ حذاءً لامِعًا  
وقميصًا ذا نقوشٍ وخطوطٍ  
ورباطًا شجريًّا للعُنُقِ  
يرتدي بدلتهُ السمنيَّةَ اللّونِ  
ويحشو جيبهُ و«السامسونايِت»  
بنقودٍ وعقودٍ وعناوين العشيقاتِ  
ويُلقي نظرةً بين المرايا  
يسكُبُ العِطْرَ الفرنسيَّ على كَفْيِهِ والخدَّينِ مرَّاتٍ  
ويمضي...

مُغَلِّقًا بابَ .. الحَظِيرَةِ.

٢٦/٣/١٩٨٢

## الحظيرة

المَمَرَاتُ من المرمر  
والقاعاتُ ضوءٌ ومرايا،  
السجاجيدُ من الحائِطِ للحائِطِ  
والأرضُ رُخامٌ  
تُحَفُّ من كلِّ فَجٍّ وَزَعَتْ بين الزّوايا  
والحشايا من حريرٍ  
حشوةٌ ريشُ النعامِ  
كُتِبَ تلمعُ في أغلفةِ الجلدِ السميكَةِ،  
إسمُهُ بالأحرفِ الأولى عليها  
وعلى كلِّ أداةٍ للطعامِ  
يجثمُ اللونُ، حشيشياً على المقعدِ  
فضياً على المسندِ  
محمراً على الموقدِ  
مصفرّاً على طول الأريكةِ،  
وعلى الحائِطِ تبدو صورةُ الخنزيرِ كالبدْرِ التَّمَامِ  
ضاحكاً والدُّرُّ منتورٌ أمامه،  
بينما ينسدُّ المخملُ فوق النافذةِ  
فاصلاً بين الحظيرةِ  
والشوارعِ.

٢٦/٣/١٩٨٢

## زوزو

انتهازيُّ يحبُّ الذهابَ إلى السينما  
اتخذَ مقعدَهُ واستعدَّ للمشاهدة.  
قَبْلَ الفِيلمِ الرِّوائِيِّ،  
عَرَضُوا فيلماً قصيراً من أفلام الرسوم المتحركة.  
البطلُ المصنوعُ من الصلصال «زوزو»  
يسير راضياً مرضياً في طريقٍ مُستقيمٍ.  
فجأةً  
يقطع صَفِيرَهُ الجذْلَ، ويقفُ  
يحكُّ رأسَهُ بطرفِ سبّابتهِ، ويفكِّرُ،  
هنا تفرَّعَ الطريقُ المستقيمُ إلى شعبتينِ  
يميناً ويساراً  
احتارَ «زوزو» طويلاً أيَّ الطريقين يسلكُ  
أخيراً، توصلَ إلى حلِّ مناسبٍ  
شقَّ جسمَهُ نصفينِ!  
سار نصفهُ الأيمنُ في الطريقِ الأيمنِ  
سار نصفهُ الأيسرُ في الطريقِ الأيسرِ  
استأنفَ صَفِيرَهُ الجذْلَ بنصفِ شفّتيهِ هُنا  
وبنصفِ شفّتيهِ هُناكَ  
بعد قليلٍ .....  
تلتقي شعبتا الطريقِ معاً ويستقيمُ مرةً أخرى.  
هُنا،  
يحاولُ زوزو أن يضمَّ نصفَي جسمِهِ ليتّحدا  
لكن النّصفينِ لا يتطابقان!  
يحاولُ مراراً، بلا فائدة،  
ومن جهات الشاشة كلّها تتقافزُ حروفٌ من الصلصال  
مُشكّلة كلمة: «النهاية».

## في القلب

في الكون كواكب  
في الكواكب الأرض  
في الأرض قارات،  
في القارات آسيا،  
في آسيا بلاد،  
في البلاد فلسطين،  
في فلسطين مُدن،  
في المدن شوارع،  
في الشوارع مُظاهرة،  
في المُظاهرة شاب،  
في صدره قلب،  
في قلبه رصاصة.

إبريل/١٩٨٢

## صورة

سماءُ زرقاء،  
غيومٌ بيضاء  
شوارغٌ ممتدة، متقاطعة، منحنية  
تتأرجح بينها الشعاراتُ  
حمراء زرقاء صفراء خضراء، متضاربة  
بيروتُ في الضُّحى،  
أمام مدخلِ البنايةِ ذاتِ الطوابقِ السبعة  
تقفُ عربةُ نقلِ الموتى  
بداخلها شيخان-  
بلحيتين كسولتين-  
استغرقا في النوم.  
سائقُ العربةِ يدورُ حولها بنفاد صبر.  
شرفة الطابقِ الأول من البناية  
شابان بملابسٍ عسكرية.  
الشرفة الثانية  
رجلان يلعبان النرد.  
الشرفة الثالثة  
صبيّةٌ تنفضُ سجادةً قديمةً  
بمضرب الخيزران  
وبين ضربةٍ وأخرى  
تنقي بيدها اليُسرى  
غيمة الغبار  
الشرفة الرابعة  
سيدة تنشر أقمطةً بيضاءً على حَبْلِ الغسيل.  
الشرفة الخامسة  
ولدٌ ينططُ طابئةً ملوَّنة.  
الشرفة السادسة  
لا أحدُ  
الشرفة السابعة  
حشدٌ من النساء.  
فجأةً يطلُّ الولدُ - مضطرباً - من الشرفة الخامسة  
يداه تمسكان الإطارَ الحديديَّ  
وعيناه تلاحقان في هلعٍ ولهفةٍ  
طابته التي راحتُ تتدحرجُ في عرضِ الشارعِ،  
حيث ما تزال عربةُ نقلِ الموتى



تنتظرُ نزولَ التابوتِ.  
بيروت-إبريل/١٩٨٢

## الطائر

تَقْرَعُ البابَ على الأهلِ  
وفي صدركَ طيرٌ  
ينقر الأضلاعَ ملهوقاً  
جناحاهُ يرقانِ  
استباقاً لانفراجِ البابِ.  
هذي لحظةٌ للمسِ والألقةِ  
تدنو  
فَقَرَّ الطائرُ مِنْ صدركَ حتى  
مقبضِ البابِ  
وريشُ الطوقِ لا يحتملُ التَّوقَ  
فيهترُّ  
تتوقُ الآنَ كي تلقى الذينَ  
انتظرتُ عيناكَ أن تبصرَهُمَ عامًا فعامًا،  
هداكَ البعدَ  
وكانت سنواتُ النَّأيِ أقسى من فُرونِ الوَعْلِ  
أو ليلِ اليتامى  
ويرفُ الطائرُ المُمسِكُ بالبابِ  
ووقع الخطو يدنو،  
تقفُ الآنَ على الحدِّ الذي يفصلُ وقتينِ  
وتُصغي:  
لمسةُ المفتاحِ تسري في سرايبكَ  
رجفاتِ  
يدور المعدنُ الداخلُ في المعدنِ  
يعلو الطائرُ الأبيضُ للسقفِ  
يسميها سماءً  
ويصير اللونُ لونًا ويصير الجسمُ جسمًا،  
ويصيرُ العُمرُ عُمرًا  
ويصيرُ الذمُّ في الدهرِ اتهامًا.  
بأن خيطُ الضوءِ في الحاقَّةِ  
وانزاح قليلًا ثَقُلَ البابِ  
تنفستِ  
وكاد الطائرُ الراعشُ يبكي...  
يُفتَحُ البابُ  
وصوتٌ باردٌ يهمس: لا يا سيّدي - كانوا،  
وراحوا مِنْ زمانِ.

كانتِ الصحراءُ حَلْفَ البابِ كُنْبَانًا ورملاً يترامى،  
وبصمتِ كَوَمَ الطيرِ جناحيه وناما  
وببطءٍ، أُغْلِقَ البابُ،  
مشيتُ، وتوقفتُ قليلاً والتفتُ:  
أيها الطائرُ في الصدرِ وداعاً  
أيها الأهلُ .. سَلاماً.

فبراير / ١٩٨٠

## الترويض

تَعَيَّرْتُ  
مِنْ بَعْضِ قَرْنٍ إِلَى الْيَوْمِ  
مَا عُدْتُ نَفْسِي.  
قَطَعْتُ الْمَسَافَةَ بَيْنَ ابْتِدَائِي وَبَيْنَ انْتِهَائِي  
بِغَمَضَةِ عُمُرٍ  
وَمَا أَغْمَضَ الرَّاكِضُونَ وَرَائِي  
وَكَانَ اسْتِهَائِي فِضَاءً  
وَلَكِنِّي سِرْتُ نَحْوَ الشِّرَاكِ!  
أَنَا الشَّجَرُ الْمَشْرَبُ إِلَى مَطْلَعِ الضَّوئِ  
جُنْتُ عَلَيَّ الْعِصِيُّ الطَّوِيلَةُ  
تَضْرِبُ أَعْضَائِي الْخُضْرَ عَامًا فَعَامًا  
فَتَسْقُطُ عَنِّي خِصَالِي وَأَوْصَافَ قَلْبِي.  
أَلَا تَسْتَطِيعُ التَّلَاقِي بِنَفْسِكَ  
إِنَّ الْمَرَايَا تَكْذِبُكَ الْآنَ،  
لَا أَنْتِ ذَاكَ الْعَفِيُّ  
الْمَزْنَرُ بِالشَّمْسِ  
وَالْمَتَلَأِيُّ - كَالْبَحْرِ عِنْدَ الشَّرُوقِ -  
وَلَا أَنْتِ كَالصُّورَةِ الْمَطْمَئِنَّةِ فِي صَفْحَةٍ فِي الْهَوِيَّةِ  
كُلُّ مَلَامِحِكَ الْآنَ مَسْلُوبَةٌ  
وَالْمَوَاعِيدُ زَائِغَةٌ مِنْ خُطَاكَ  
كَأَنَّكَ تَرَكِضُ بَيْنَ الْإِطَارَاتِ تَرْتَدُّ دَاخِلَ إِسْمِنَتِهَا الدَّائِرِيَّ  
فَمَنْ أَيْنَ تَخْرُجُ؟  
هُمُ حَدَّدُواكَ كَأَنَّ الْفِرَاعَ حَوَالِيكَ سَوْرًا،  
وَقَدْ حَاصِرُواكَ كَأَنَّ الْخَلَاءَ حَوَالِيكَ يَوْمَ النَّشُورِ،  
وَقَدْ أَفْرَدُواكَ كَأَنَّ الْبِلَادَ حَلَّتْ مِنْ سِوَاكَ!  
وَمَا زِلْتِ تَسْتَهْجِنُ الْحَادِثَاتِ  
وَتَبْكِي  
كَطِفْلِ نَجَا بَعْدَ مَوْتِ ذَوِيهِ.  
وَتَسْمَعُ عِبْرَ الْمَسَافَاتِ مِنْ غَايَةِ النَّاسِ صَوْتًا  
تَصِيحُ: «هُوَ الصَّوْتُ»!  
لَكِنَّمَا  
يَجِيءُ مُرَوِّضُكَ الْمَتَبَرِّجُ  
بِالسُّوْطِ وَالسُّكَّرِ الْمَاكِرِ الطَّعْمِ  
وَالزَّرْكَشَاتِ الْمَضِيئَةِ  
فِي ضِجَّةِ الْعَازِفِينَ

وفي بهجة المذبحة:  
على عُتْق النَّمْرِ سلسلةً من دَهَبٍ!  
على قَدَمِ الفهدِ خلخالُ فضَّة!  
تساقطت الآن كلُّ الصفاتِ عن الوحشِ  
إذُ أُنْفِقَ الرِّكْضَ بينَ الإطاراتِ  
حتى تَمَكَّنَ هذا المُرَوِّضُ أنْ يعتليه.  
فما عادَ في قاعةِ الضوءِ وَحْشًا  
وإنْ عادَ للغابِ  
أضحى فريسةً مَنْ يشتهيهِ!

\* \* \*

تغيرتُ  
رُؤِضْتُ  
منْ بعضِ قرنٍ إلى اليومِ  
- لمْ أكتهلُ -  
غيرَ أني أضعتُ صبايَ  
تساقطتِ الآن عني خِصالي وأوصافُ قلبي  
فبتُّ أرى في المرايا سوايَ  
وأستهجنُ الناطقينَ بإسْمِي  
وأبكي  
كشيوخِ نجا بعد قتلِ بنيهِ  
وما زلتُ أسمعُ صوتَ المُرَوِّضِ  
مبتهجًا  
وتعاليمُهُ مُستجابة  
يُرَوِّضُ وَحْشًا  
فيحرقُ غابةً  
وما زلتُ أسمعُ مِنْ شَجَرِ الناسِ  
صوتًا  
يحاولُ  
أنْ  
يقترِبُ

فبراير/ ١٩٨٠

## المقلع

يا ليتني طفلاً  
وفي يمناي مقلعٌ من المطاطِ  
أرشقُ حصوتي نحو المدينةِ  
كي أصيبَ غرورها العالي فتهبط  
في جوارِي.  
ثم أمسحُ ريشها وأضمُّها  
كحمامةٍ  
في راحتي  
لكنَّ أسرابَ الحمامِ تخنفي إذ اقتفيها  
أين أذهبُ  
لستُ طفلاً، لستُ صياداً  
ومقلعي يردُّ حصاهُ من كفي  
إليّ.  
وأكاد أهمسُ  
يا بلاداً لم تلممني هناك وبعثرتني  
في تجاعيد الخرائطِ  
حالةً كالغيمِ تخذله البروقُ  
شوارغُ المنفى البعيدِ عصيةً  
وعصيةً كانتُ شوارغنا الأميرةُ  
نحن سابلة الرصيفِ ونحن ملصقها المؤطر بالسوادِ  
بكل زاويةٍ وحيّ  
قد صار خصمي فيّ يا أمي  
وأصحابي عليّ.

## دقائق

- الباب الذي يأتيك منه الريح

افتحه لتستريح

- العازف ياتمر بأمر قائد الأوركسترا

قائد الأوركسترا ياتمر بأمر المؤلف

المؤلف ياتمر بأمر الحياة

الحياة هي الأمر

- جمال المرأة لا يرى

إنه يُكتشف.

- صدق البعض مع البعض فلم يتفقوا

بعد عام

كذب الكل على الكل وحلوا المشكلة

- التنقيط المنتظم من الصنوبر التالف في ركن العنبر

كاد يفقد السجين صوابه

بعد شهر

عندما جاء السباكون لإصلاحه

صاح بهم:

أتركوه ينقط .. أرجوكم.

٢٠/٣/١٩٨٧

أنتِ وأنا



## إلى رضوى عاشور

أنتِ جميلةٌ كوطنٍ مَحَرَّرٍ.  
وأنا مُتعبٌ كوطنٍ محتلٍ.  
أنتِ حزينَةٌ كمخدولٍ يقاومُ  
وأنا مُستنهضٌ كحربٍ وشيكةٍ.  
أنتِ مشتهاةٌ كتوقفِ الغارةِ  
وأنا مخلوغُ القلبِ كالباحثِ بين الأنقاضِ.  
أنتِ جسورةٌ كطيارٍ يتدربُ  
وأنا فخورٌ كجدتهِ.  
أنتِ ملهوفةٌ كوالدِ المريضِ  
وأنا هادئٌ كممرضةِ  
أنتِ حنونةٌ كالرذاذِ  
وأنا أحتاجُكِ لأنمو.  
كلانا جامحٌ كالانتقامِ.  
كلانا وديعٌ كالعفوِ.  
أنتِ قويةٌ كأعمدةِ المحكمةِ  
وأنا دَهشٌ كمغبونٍ.  
وكَلِّمنا التقينا  
تحدثنا بلا توقّفٍ، كمُحاميَيْنِ  
عَنِ العالَمِ.

٢٦/٥/١٩٨٣

## أَيِّقِظُوهُ

أَيِّقِظُوا حُزْنَكُمْ، أَيِّقِظُوهُ!  
أَيِّقِظُوا حُزْنَنا!  
أَوْقِفُوهُ عَلَى قَدَمِيهِ  
أَسْنِدُوهُ وَهَزُوهُ فِي قَسْوَةٍ  
أَوْ حَنَانٍ  
خُذُوهُ إِلَى الْمَاءِ مِنْ نَوْمِهِ  
اغْسِلُوا وَجْهَهُ  
احْلُقُوا ذَنْقَهُ  
شَدِّبُوا شَارِبِيهِ  
وَهَاتُوا مَلَابِسَهُ عَنْ عِلَاقِهَا  
سَاعِدُوهُ لِكَيْ يَرْتَدِيهَا  
وَقُولُوا لَهُ  
لَمْ يَعْذُ عِنْدَنَا مَا نَقَدَّمُهُ لَكَ، قُولُوا لَهُ  
لَمْ يَعْذُ عِنْدَكَ الْآنَ شَيْءٌ لِنَأْخُذَهُ  
أَوْصِلُوهُ إِلَى الْبَابِ فِي قَسْوَةٍ أَوْ حَنَانٍ  
وَقُولُوا لَهُ نِمْتَ فِينَا طَوِيلًا  
تُشَيِّعُ الْبُرُودَةَ فِي الرُّوحِ،  
تُلْهِي الصَّبِيَّ عَنِ اللّهُو، تُلْهِي الْعَجُوزَ عَنِ التَّرَثَرَاتِ  
وَتُلْهِي الْفَتَاةَ عَنِ الْإِنْحِرَافِ الْجَمِيلِ  
تَشَاغَلْنَا بِالكَثِيرِ الْقَلِيلِ  
تُشَوِّشُنَا بِالْخَطِيرِ الْهَزِيلِ  
تَشَلُّ أَصَابِعُنَا ثُمَّ تَغْفُو،  
وَقَدْ نِمْتَ فِينَا طَوِيلًا  
وَهَذَا أَوْانُ الرَّحِيلِ!  
ادْفَعُوهُ إِلَى خَارِجِ الْبَيْتِ فِي قَسْوَةٍ  
أَوْ حَنَانٍ .....

\* \* \*

دَعُوا الْعَيْنَ تُبْصِرَ مَسَافَاتِنَا  
ثُمَّ عُودُوا إِلَى أَيِّ شَيْءٍ  
إِلَى غَضَبٍ «صَارَ يُضْحِكُ شَيْئًا فَشَيْئًا»؟  
وَعُودُوا  
مَطَارِيدَ يَخْشُونَ أَنْ يُمَعِنُوا فِي السَّعَادَةِ  
أَوْ فِي الشَّقَاءِ  
لَهُمْ نُبْلُهُمْ هَارِبِينَ مِنَ الْيَأْسِ وَالْإِغْتِبَاطِ

وَيَمْشُونَ فِي طَرِقِ الْإِنْقِرَاضِ إِلَى سَاحَةِ الْبَقَاءِ  
اجفَلُوا مِثْلَ عَصْفُورَةٍ  
لَمْ تَجِدْ مَطَرًا فِي الْغُصُونِ وَلَا فِي السَّمَاءِ  
اجفَلُوا وَاذْهَبُوا حَيْثُ كُنْتُمْ:  
جَمَالًا يُخَالِفُ كُلَّ الْقَوَانِينِ كُنْتُمْ:  
مَهْدَاتٍ هَذِمَ الْأَلِيفِ  
وَرَجْرَجَةً فِي زَوَايَا السَّقُوفِ  
وَتَسْتَخْرِجُونَ «عَلَى مَهْلِكِكُمْ» طَائِعًا مِنْ عَصِيٍّ  
وَتَرْمُونَ بِالْخُوفِ وَجْهَ الْمُخِيفِ.  
اخرجوا مِنْ هُنَا وَاذْهَبُوا حَيْثُ كُنْتُمْ .....  
إِذَا مَا اسْتَطَعْتُمْ!

\* \* \*

وَمِنْ عَتَمَةِ الْقَلْبِ  
عَبْرَ الرَّجَاءِ الْمُهْتَمِّ  
سَيَرُوا تَجَاهَ الرَّجَاءِ،  
فِي الزَّمَانِ الْمُرِيحِ ادْخُلُوا فِي التَّعَبِ  
فِي الزَّمَانِ الْكَسِيحِ ادْخُلُوا فِي السَّبَاقِ  
فِي الزَّمَانِ الزَّجَاجِ ادْخُلُوا فِي الْحِجَارَةِ  
عُودُوا لِأَحْلَى السِّدَاجَاتِ  
«يَسْقُطُ! يَعِيشُ!»  
اجفَلُوا،  
لَا تَلُومُوا الَّذِي لَا يَلَامُ  
وَلَا تَتْرَكُوا الْخُلْمَ يَرَجِفُ بَرْدًا  
بِهَذَا الْعِرَاءِ فَيُقْنَى..  
إِذَا مَا اسْتَطَعْتُمْ  
إِذَا مَا اسْتَطَعْنَا!

١٣/يوليو/١٩٨٦

## أضع اليدَ اليمنى على الخدِّ الأيمنُ

مُمسِكًا قَلَمًا  
والمساحةَ مفتوحةً للقصيدِ  
(تبدو المساحةُ مفتوحةً للقصيدِ)  
لكنتني، بلامح هادئةٍ  
لا تدلُّ على ضجةِ الموجِ  
أو رجَّةِ الرُّوحِ  
أدركُ أنَّ المساحةَ ضيقٌ،  
كيف للبحرِ أن يدخُلَ الورقَ الآن؟  
فلتهدا العاتياتُ قليلاً  
لأسمعَ صمتي وأرسمهُ صورةً  
للحبيبِ،  
لحاصدةِ القمحِ مغمورةً بالسنايلِ،  
للصندلِ المتأكلِ،  
والمنجلِ المتأكلِ،  
للدايةِ المتهلِّلةِ الوجهِ،  
للكفِّ رافعةً حافةَ النعشِ،  
للبصمةِ الليليةِ فوق العريضةِ،  
للميجانا، يتوجعُ فيها الرُّعاةُ  
ومنَ يحرثونَ المواسمَ تصعدُ أصواتهمُ  
كزلازلٍ ناعمةٍ في البراري،  
لطابيةِ طفلٍ تنطُّ عن السِّلِكِ،  
للقهوةِ المُشتهاةِ على شُرْفَةِ الجدِّ،  
للمُصقِ الخارجِ الآن من جَسَدِ  
دافي للجدارِ،  
لمالئةِ الماءِ تحت انهماجِ الرصاصِ،  
لطالبةِ الثانويَّةِ تُتقنُ حرقَ الإطاراتِ  
والحبِّ والفيزياءِ  
وتحفظُ من ذلكِ التونسيِّ الجميلِ:  
«إذا الشَّعبُ يوماً...»  
وتحملُ في الراحةِ الروحَ،  
للقامةِ المستقيمةِ تمشي إلى المستبدِّ وتدرزه بالقصاصِ،  
وللرَّيشةِ المستقيمةِ في مرسِمِ مائلِ السقفِ،  
للقصِفِ نحو الحصونِ العدوَّةِ  
للضاحكينِ من الرُّتَبِ المُضحكاتِ  
لسورٍ يشقُّهُ الوقتُ والعشبُ

مالت مداميكهُ، فتماسك حتى تماسك إلا قليلا  
أو انهدهً فانهدهً إلا قليلا.

هنا، من هنا

يطلعُ الذاهبونَ إلى مطلعِ الضوءِ،

من بيننا، يفتحون المغاليقَ

ميتهم لا يموت، وغائبهم ليس يُفقد،

يحتملون صفات الزمان

حنونين، بينهم المتهاون

والجلفُ والمتطامنُ في ثقلِ الظلِّ

والظرفاءُ

وبينهم الأنبياءُ الذين يقولون ما يفعلون

يخافون حيناً وحيناً يخيفون

يبتدئون ولا ينتهون.

\* \* \*

طفلةٌ تتلعثم بينَ ضيوفِ المساءِ،

حدّثي يا «مها»

و«مها» لا تُحدّثُ حيناً، وحيناً تُحدّثُ،

ثم تمدُّ أصابعها للضفيرةِ، ساهمةً

و«مها» تُغلقُ الدفترَ المدرسيَّ

تشدُّ الغطاءَ وتطفئُ مصباحها وتنامُ

وفي الصفِّ ترهفُها حصّةُ الفيزياءِ

ولكنّها في اندلاعِ الظّهيرةِ

تمشي بطولِ مظاهرةِ

وتمدُّ أصابعها للرصيفِ

وتعلن آراءها في الجنودِ

وتغدو «مها» ما لها غير لهجتها

ثم تغدو الفصاحةُ ذلكَ الحجرِ.

\* \* \*

ولّد يُقلقُ الوالدينَ.

والدُّ يكتُمُ الاعتزازَ

ووالدةٌ لا تبوحُ بما يخلعُ القلبَ حينَ يغيبُ الولدُ

ولدٌ ولهُ ولهُ بالكتبِ

ولّدٌ ولهُ ولعٌ باللعبِ.

وحينَ تُباغتهُ نظرةُ الجدِّ بالإرتيابِ

يخادعهُ بالكذبِ.

ناحلٌ، أجدُّ الشّعيرِ، في حدِّه شامةٌ

ولهُ شاربٌ من زغبِ

وَلَدٌ،  
حِينَ عَادُوا بِجَنَّتِهِ  
كَانَ فِي صَدْرِهِ مَخزَنٌ مِنْ رِصَاصِ الْجُنُودِ  
وَفِي عَيْنِهِ نَظْرَةٌ مِنْ عَتَبٍ.

\* \* \*

قَمَرٌ عَلَى الْقَدْسِ اشْتَهَى  
بِنْتًا أَطَلَّ عَلَى طِفُولَتِهَا بِأَزْرَقِهِ الْمُفَضَّضِ  
ثُمَّ ضَاعَتْ..  
هَلْ مَضَتْ كِي تَطْلُبُ الدُّنْيَا - فَتَطْلُبُهَا الْمَبَاحِثُ  
تَطْلُبُ التَّعْلِيمَ - يَطْلُبُهَا الْعَرِيسُ  
وَتَطْلُبُ الْأَطْفَالَ - تَطْلُبُهَا الْقَذِيفَةُ  
أَمْ أَصَابَتْ حِكْمَةَ الْقَنَاصِ جِبْهَتَهَا  
وَيَا قَمْرًا عَلَى حَيْفَا  
إِذَا أَبْصَرْتَ عُشْبًا أَحْمَرَ الْأُورَاقِ  
فَاعْلَمْ يَا جَمِيلَ الْوَجْهِ أَنْكَ تَلْتَقِينَا

\* \* \*

قَمَرٌ عَلَى عِكَ الْقَدِيمَةِ يَشْتَهِينَا.  
مَنْ أَيِّ عَامٍ كَانَ يَعْرِفُنَا صِغَارًا فِي الْأَزْرَقِ  
لَا نَطِيعُ الْأَهْلَ، يَزْجُرْنَا كِبَارُ الْحَيِّ  
عَنْ لَعِبِ «الْبِنَانِيرِ» الَّتِي كَانَتْ لَنَا كَنْزَ الطُّفُولَةِ  
بَيْنَمَا يَتَوَجَّعُ الْقَمَرُ الَّذِي مَا كَانَ يَجْهَلُ مِنْ يَبِيعُ وَيَشْتَرِينَا.  
تَرَكْتُ لَنَا الدُّنْيَا مَنَابِذَهَا الشَّحِيحَةَ  
وَالسَّمَاءُ هِيَ السَّمَاءُ وَأَنْتَ أَنْتَ وَلَا سِوَاكَ!  
وَتَدُورُ  
لَكِنَّا نَرَاكَ عَلَى الْمَخَافِرِ - لَسْتَ أَنْتَ  
عَلَى الْمَشَانِقِ - لَسْتَ أَنْتَ  
وَقَدْ نَرَاكَ تَدُورُ فِي رُومَا الَّتِي لَمْ تَلْتَفِتْ لِدُمُوعِنَا  
وَمَسَاءَ بَارِيسِ الْمَخْضَبِ أَوْ أَثِينَا  
مَنْذُ كَمِّ عَامٍ وَنَحْنُ نَدُورُ حَوْلَكَ  
نَشْتَهِيكَ وَتَشْتَهِينَا

\* \* \*

ذَهَبَ الزَّمَانُ بِضَوْنِكَ الرَّعَوِيِّ  
مَنْسُكِبًا عَلَى وِلْدٍ وَبِنْتٍ  
يَرْكُضَانِ عَلَى السَّنَابِلِ حِينَ يَكْتَشِفَانِ  
نَغْبِشَةَ الْمَحَبَّةِ فِي مَسَامِيهِمَا  
وَيَنْتَظِرَانِ غَلَّةَ مَوْسِمٍ، وَالخَاتَمِينَ  
وَدَبَكَةَ تَرْتَدُّ مِنْ أَقْدَامِ صَفِيِّ الرَّجَالِ

إلى النجوم

\* \* \*

ببأغتنني «البعيد»  
وقد أخافُ، وقد أصارعُهُ طويلاً  
ويظهر لي «القريب»  
فاطمئناً  
يمدُّ كفاً للسلامِ عليَّ  
يُتبعها عناقاً  
ثم يتركني قتيلاً

\* \* \*

طفلةٌ نائمة،  
إنهم يكملون الخطاب..  
طفلةٌ نائمة،  
إنهم يتقنون الخطاب..  
طفلةٌ نائمة،  
إنهم يكثرون مع الليلِ  
أعينهم تتلصص من كل باب..  
طفلةٌ نائمة،  
بعد كم ساعة سوف تصحو؟  
بعد كم ساعة يبدأون  
علاققتها بارتياح المقابرِ كلَّ خميسٍ  
ببأقة زهرٍ، وأسئلةٍ  
من سذاجتها قد يُطلُّ الجنونُ

\* \* \*

مثل شيخٍ تعودَ فقدَ البينُ  
سأهمُ وطني، مُوغلٌ في السنينِ  
كلُّ زيتونةٍ فيه تذكرُ زارعها  
كلُّ حنونةٍ فيه تعرفُ قاطفها  
والمحاريثُ تعرفُ أثلامها في الحقولِ.  
منذُ أن حَسرتْ ماءها عن مداهِ البحارِ  
وتجلَّتْ تضاريسه:  
رشةُ العطرِ في رَفةِ العرسِ  
مِحْرمةُ الراقصينِ  
وَجُرُنُ المضافةِ، نقشُ الحصيرةِ  
والصخرُ والنهرُ، والتربةُ التَّيرُ  
والموتُ والشَّعرُ، والنِّدُّ والوَعْدُ  
والبِدُّ والحَصْدُ، والتينُ والزيتُ

والفِتْيَةَ النَّبْلُ، والنسوةُ الفُلُّ  
والبائعُ النَّدْلُ، والسُّحْبُ الهُطْلُ  
والحَبْسُ والدُّلُّ، والسهلُ والتُّلُّ  
يُغزَى وَيُحْتَلُّ، لكنه واقفٌ

وطني

مثل شيخ تَعَوَّدَ في الحَرْبِ فَقَدَ البَنِينَ،  
قَادِرٌ .. وحزينٌ.

\* \* \*

أضغُ اليَدَ اليُمْنَى على الخدِّ اليمِينِ  
وأودُّ لو أني أرُنُّ الصوتَ في الساحاتِ  
لكني أُعيدُ يدي إلى ورقِ القصيدةِ  
صامتًا

وكانني الراعي وقد ضاقتُ عليه «الميجانا».

١٩٨٢

طال الشتات



طَالَ الشَّتَاتُ وَعَافَتْ خَطُونَا الْمُدُنُ وَأَنْتَ تُمَعِنُ بَعْدًا أَيُّهَا الْوَطَنُ  
 كَأَنَّ حُبَّكَ رَكُضٌ نَحْوَ تَهْلُكَةِ وَنَحْنُ نَرُكُضُ لَا نُبْطِي وَلَا نَهِنُ  
 يَقُولُ مَنْ لَمْ يَجْرُبْ مَا نُكَابِدُهُ كَأَنَّ أَجْمَلَهُم بِالْمَوْتِ قَدْ فُتِنُوا  
 وَلَوْ حَكَى الْمَوْتَ بِالْفُصْحَى لَصَاحَ بِنَا كَفَى ازْدِحَامًا عَلَى كَفِّي وَاتَّزَنُوا  
 يَهْوِي الشَّهِيدُ وَفِي عَيْنِهِ حَيْرَتُنَا هَلْ مَاتَ بِالنَّارِ أَمْ أَوْدَى بِهِ الشَّجَنُ  
 لَكَ اتَّجَهْنَا وَمَوْجَ الْحَلَمِ يَجْمَعُنَا فَبِعَثْرَتِنَا عَلَى أَمْوَاجِهَا السُّفُنُ  
 ارْجِعْ فِدَيْتُكَ إِنْ قَبْرًا وَإِنْ سَكَنًا فِدْوَنَكَ الْأَرْضُ لَا قَبْرٌ وَلَا سَكَنُ

نحن مَنْ لَمْ نَمُتْ بَعْدُ  
 نملك أن نعتني بالخيام الجديدة  
 شهرًا فشهرين عامًا فعامين  
 نألف قهوتنا في الشتات  
 ونصبو إلى مستحيلاتنا الخارقات  
 كأن يكبرَ الطفلُ  
 أو يطعنَ الكهلُ في السنِّ  
 أو يلتقي غائبان وتلتئم العائلةُ.  
 نحن مَنْ لَمْ نَمُتْ بَعْدُ  
 نملك أن نتشاجر حول المعاني الصغيرة  
 معنى الغصون التي ظللتنا  
 ومعنى الظلال التي ضللتنا  
 ومعنى تفاصيلنا المُحرجاتِ  
 ومعنى تفاصيلنا الرائعاتِ

وجدوى المعاني الكبيرة  
جدوى النجاة من الموت،  
جدوى السماء التي شاهدت كل شيءٍ  
وظلت، كعادتها، عاقلة.  
نحن من لم نمت  
لأن نطيل العتاب  
ولكننا حيث كنا على طول هذي البلاد الخراب  
أولفاً، مئات الألوف ملايين  
في لحظة واحدة،  
سوف نرفع أيدينا للجباه، ونطرق  
كي نتدبر شكلاً لشكل العقاب.  
نحن من لم نمت بعد  
كم مرة سوف  
نحمل ذاكرة للشواهد  
تسطع فيها جميع المشاهد  
يأمن بين يديها الشهيد الذي شكلنا صوته  
والذي عدنا بيته  
والذي صوتنا صمته  
والذي سوف ينهض حين نواصل  
لكنه حين نهجر أو صافنا سوف يقتله موته

أهَذَا صَوْتُكَ الْمَخْذُولُ نَادَى؟      أَمْ أَنْتَ قَدْ يَسْتَمِنُ مِنَ الْمُنَادَى؟  
أَمْ أَنْتَ فِي الْمَدَى أَنْسْتِ نَارًا،      وَحِينَ قَصَدْتَهَا حَالَتْ رَمَادًا؟  
لَقَدْ وَدَّعْتَ يَا سَكَ ذَاتَ يَوْمٍ      وَكَنْتَ ظَنَنْتَهُ وَلَّى فَعَادًا  
وَوَافَّتَكَ الْفَوَاجِعُ فِي جُمُوعٍ      وَمَا رَحَلْتَ جَمُوعًا أَوْ فِرَادَى  
فَهَلْ دَمَكَ الْمَوْزِعُ فِي بِلَادٍ      سَيُتْرَكُ كَيْ يَعِيدُ لَكَ الْبِلَادَا؟  
لَقَدْ خَذَلُوكَ حَيًّا ثُمَّ مَيِّتًا      بِمَا خَافُوا انْتِبَاهَكَ وَالرُّقَادَا  
وَيَأْسُكَ لَمْ يَهْزَلْ لَهُمْ قِنَاءٌ      وَقَدْ هَزَّ الْمَقَابِرَ وَالْجَمَادَا  
فَأَنْتَ السَّيْفُ فَاَنْبَذَهُمْ غِمَادَا      وَأَنْتَ السَّقْفُ فَاجْعَلْنَا عِمَادَا  
وَلَا تُطْعِ الْقِرَابَةَ فِي عَدُوِّ      وَعَانِدُ مِنْ «تَرِيدُ» لَهُ عِنَادَا

أعطني حذاءك أيها الشهيد  
أعطني نطاقك العسكري  
أعطني مطرنتك الفارغة  
أعطني جوربك المشيع بالعرق  
أعطني نصف الصفحة المتبقي من رسالة خطيبتك  
أعطني ملابسك المبتلة بالأرجوان  
أعطني رشاشك الذائب  
أعطني نظرتك الأخيرة، هاجسك الأخير  
شجاعتك، ترددك، ندمك  
رغبتك العابرة في الهرب  
قرارك بالبقاء  
رعتك عندما مرقت الطائرة رفيقك  
أعطني دمعتك اللتين لم يلحظهما أحد  
أعطني عنوان بيتك في المحيم  
سوف أبحث بين بقية البيوت

بين بقية الناجين/ عن بقية عائلتك  
سوف أخبرهم كم كنت وحيدا  
سوف أحدثهم عنك  
سوف أعطيهم أشياءك كلها  
هذا إن لم يكونوا ماتوا في المذبحة

\* \* \*

كومة من جُنت  
كومة من قلوب  
كومة من رُكام  
كومة من حنين  
كومة من تراب  
كومة من طموح  
كومة من حطب/ نسوة صبيئة وشيوخ حطب  
جثة لحصان يحاول إتمام شربته  
أم ترى .. جثة لخيول العرب؟  
كومة من سقوف  
كومة من علاقات عمر تضيع  
كومة من قماطات طفل رضيع  
أين جثته وسط هذا الحطام؟  
أين تلك التي اختارت الاسم واحتفلت «بالسبوع»  
وحين بكى أخرجت ثديها فاحتواه ونام؟  
كومة من أواني الطعام  
كومة من مباحج مسحوقة  
كومة من حديد البناء  
صندل في الفناء  
أين تلك التي اختارت الحجم واللون والنقش  
بعد الطواف وبعد التذكي على البائعين  
هوت في الفناء وصندلها طار نحو السماء!  
كومة من صراخ  
كومة من سكوت  
كومة من بقايا البيوت  
كومة من مقاعد، أين الذي فتح الباب مبتسما للضيوف  
وطاف بقهوته بعد أن فرغوا من طعام العشاء؟  
كومة من حبوب الدواء  
أين تلك التي لم تمل التأكد  
مما إذا كان بعد الطعام  
وأكد أحفادها كلهم «جدتي هو بعد الطعام»

كومةٌ من دفاتر محروقةٍ  
كومةٌ من دُروسِ الحسابِ  
كومةٌ من لُعبِ  
كومةٌ من تَعَبِ  
كومةٌ من غَضَبِ  
كومةٌ من مواعيدِ  
والموتُ يهبطُ مثلُ غطاءٍ من البُقْتِ أبيضِ  
ذي بُقعٍ من هُدوءِ  
وتصفرُّ رِيحُ  
وفي الريحِ تخفقُ رايثُ عشرينَ مملكةً للعَرَبِ!

وطلبنا جُرْعَةَ المَاءِ فقالوا نحن شئنا لكن الماءُ أبى  
وطلبنا الخُبْزَ قالوا قد عَجْنَا وغفلنا فنسينا الحَطَبَا  
وطلبنا في انقطاعِ الضوءِ شمعاً نصحونا أن نضيءَ الكَهْرَبَا!  
وطلبنا سيفَهُم قالوا اعذرونا كلُّ سيفٍ بين أيدينا نَبَا  
غير أننا عندما جئنا إليهم، عن طريقِ البحرِ، صاحوا مرحبًا!

عجبي (ولا عجيبي) على بلدٍ وجمرتُهُ تُحرِّقُهُ فيمسحُ حَرْقَهَا  
بِرَمَادِهَا

لبنانُ يا مستوحداً في ليلةٍ  
طفقتُ تضيءُ سوادها بسوادها  
وكانَ موجاً يقنفي موجاً يموجُ  
كانَ جيشَ الجنِّ جنَّ جنونُهُ  
وكانَ كلُّ غرائزِ المحوِ الحبيسةِ  
أفلتتُ في يومك المشهود من أصفادها  
وكانَ كلُّ قبائلِ الهَمَجِ العتيقةِ  
داهمتك بخيلها وعتادها  
حملتُ عليكِ أشرَّ من ألفِ الرِّمانِ من العدى والأصدقاءِ  
كانَ هذي الأرضُ لم تُنجبِ سوى أوغادها

وكانَّ معجزةَ احتمالِ العَيْشِ هَدَّهَا الضياعُ  
وَقُمتَ كالحَيِّ الوَحيدِ تَجَدُّ في اسْتِرْدادِها  
ورفعتَ ساعدَكَ اليسارَ إلى ذَوِيكَ  
فكنتَ يا لَبنانُ مثلَ فريسةٍ تشكو إلى صيِّدِها!

\* \* \*

لَبنانُ مقبرةُ الكَذِبِ  
لَبنانُ مُخْتَبِرُ السَّرابِ  
لَبنانُ وَحْدَكَ مَنْ كَتَبَ  
وَهُم الهوامِشُ في الكِتابِ  
لَبنانُ جُلُجْلَةُ التَّعَبِ  
بوابةُ الحُلْمِ المُصابِ  
تَعَبُ الغِزاةُ وما تَعَبُ  
لولا ممالِكُنا الخِرابِ  
لَبنانُ في الدَمِ إن دَهَبَ  
باقٍ يَجِلُّ عن الدَّهابِ  
لَبنانُ يا خيَطُ الذَهَبِ  
والكَثرةُ الأخرى تُرابُ

\* \* \*

لَبنانُ مقبرةُ العِباةِ التي كَذَّبَتْ على أجسادِها  
لَبنانُ مقبرةُ الفِصيحِ القومِجِيِّ  
وكفُّ صاحِبِهِ تُنَبِّتُ خيَمَةً  
وبكفِّهِ الأخرى يهَيِّطُها على أوتادِها  
لَبنانُ مقبرةُ المُصَلِّي حين يسجُدُ للصلاةِ نُفَى  
وينفُشُ نَجْمَةَ الأعداءِ في سَجادِها  
لَبنانُ جِرْحُ اللَّفتى الأَمَمِيِّ، فضحُّ اللقريبِ وللقصِيِّ  
مِسلَّةُ الشُّهداءِ، قائِمةٌ من الدِّينِ العِصِيِّ  
وما تَقَدَّم غيرُنا لسدادِها  
لَبنانُ قد يمضي بنا العُمُرُ القصيرُ ولا نَفيكُ  
لَبنانُ إن قالتِ فلسطينُ اصطفوا الخَلَّ الوَفِيِّ سنصطفيكُ  
وكفِّ دليلاً للمحبةِ أنهُ  
ما رَدَّ موتَكَ عنكَ غيرَ الموتِ فيكَ

\* \* \*

نحنُ مَنْ لَمْ نَمُتْ بعدُ  
كَمْ مرَّةً سنموتُ  
لنمنحننا من تعانِدنا كَفَّها؟

نَفَرْتُ. فَإِنْ نَادَيْتَهَا لَمْ تَلْتَفْتُ، وَإِذَا ابْتَغَيْتَ لِحَاقَهَا لَمْ تَلْحَقِ  
عَزَّتْ عَلَى عُشَّاقِهَا وَتَرَفَّعَتْ وَعَلَّتْ مَدَارِجُهَا أَمَامَ الْمُرْتَقِي  
حَتَّى إِذَا احْتَضَرَ الْفَتَى هَمَسَتْ لَهُ مُتً فِي الْمَسَاءِ وَفِي الصَّبَاحِ سَنَلْتَقِي!

عندما نلتقي  
سأقفُ أمامك مذهولاً  
عندما نلتقي  
سألمس جسديك برفقٍ كما تلمسُ أوراقَ الخريفِ الأرضِ.  
عندما نلتقي سأندفعُ نحوك  
كحفيدٍ يغوصُ في عباءةٍ جدّه.  
عندما نلتقي سأنتحبُ.  
عندما نلتقي سأبحثُ عن عصا من الخيزران وأضربك بقسوةٍ  
على اليَتِّكُ،  
سأضربك كحليمٍ فقدَ صَوَابَهُ.  
عندما نلتقي عليك أن تخبريني لماذا تهزبتِ مني طوالَ العمرِ،  
كلّما أوْشكتُ أن ألمسك اختفيتِ،  
وكانَ بوابةً رهيبةً ماثلةً بيننا،  
وكانَ مفاتيحي صدئةً أو مثلومةً.  
أورثني حبُّك تشقُّقاً في القدمينِ، ورجَّةً في الرُّوحِ  
مات أكثرُ جسمي ومات أكثرُ المحتشدين في.  
أيتها الكاملة المكتفية بذاتك،  
أما علّمتِ أبداً بتلك الأهوال؟  
كان الهواء يتحوّل إلى تمثالٍ حجريٍّ من الهواء  
هكذا يحسّ الناجون من المذبحة  
عندما تنغلُقُ الفجوة الرائعة بين اللهاة والحلقِ  
وهل أطلّقتِ سرباً من الكلابِ خلقنا لنواصلَ الركضَ نحوك  
على سلّمٍ  
من الفواجع لا ينتهي؟  
أسماءُ أصدقائي تجمدتُ على شواهد القبورِ  
والأقلّ حظاً فُبروا في الأخاديدِ  
أيتها الشرهة، كمسقطٍ شلالٍ  
أيتها القاتلة، كسقفٍ يهوي في أوج الاحتفالِ  
أيتها الشغوفة بالمراثي

وهي تَغْطِي القَتْلَى بِالخُوصِ الأشهبِ المبتلِّ،  
ما كان أجدرَ بناتِ الثانويَّةِ بقصائِدنا  
وهنَّ يسمرنَ أجسادنا على الطُرقاتِ  
بمشيتهنَّ القادرةَ على تثبيتِ البرقِ!  
ما كان أجدرَ حقولِ عبادِ الشمسِ  
بالإنفاتِ إلى وجوهِ أمهاتنا  
لَوْ لَمْ تُهَدِّمْ ملامِحَهُنَّ المَصائِبُ  
يا مَنْ تجمعينَ الضحايا كحاطبِ ليلِ  
سأعاقبكِ على إفسادِ العمرِ الوحيدِ الذي مَنَحْتَهُ  
لي أمِّي

سأعاقبكِ على عنادكِ الشبيهِ بعنادِ البغالِ  
سأضربكِ كما يضربُ المَطْرُ السقيفةَ.  
سأضربكِ كما تضربُ أجنحةَ الدجاجِ عيدانَ القَفْصِ  
وسأصلي لكِ في صمتِ كصمتِ ناقوسِ المعبدِ بين دَقَّتَيْنِ.  
سأقبلُ جبينكِ سبعَ مرَّاتِ  
سأقبلُ يديكِ سبعَ مرَّاتِ  
سأقبلُ خاصرَتَيْكِ وسأقبلكِ،  
سأمسحُ خصلاتِ شعركِ،  
سأشتمُ رائحتكِ،

ستستعيدُ مسامي وخلاياي رائحةَ حقلِ لوزٍ يفضي إلى حقلِ  
ليمونٍ يفضي  
إلى كهوفِ الساحراتِ وهنَّ يجرشنَ التوابلَ ليصنعنَ رُفِيَّةً  
لصبيِّ مَسَّهُ  
العِشْقُ

سألتم أطرافَ أصابعك  
وسأتكورُ بين ذراعيكِ كالكنغرِ الصَّغيرِ  
أو

سأقفُ إلى جواركِ معتدلَ القامةِ  
وأرفعُ يدكِ اليسرىَ عاليًا عاليًا  
وأتركُ دموعي تسيلُ  
حتى تُلامسَ ابتسامتي  
فقط .. لو ألقاكِ  
أيتها الحُرِّيَّة!

\* \* \*

نحن من لم نَمُتْ بعدُ  
كَمْ مرَّةً سنسمي الخرابَ خرابًا  
ونجعلُهُ واضحًا كالخرابِ؟



وكم مرةً سنموت لنحيا  
 نفورين من كرمِ الصبح والمغفرة؟  
 بماذا فكَرَّ الشيخُ الذي ذبحوه قبل الذبح؟  
 هل ذَكَرَ البلادَ أم الطفولةَ أم أقاربه؟  
 هل استعصى الصراخُ عليه  
 أم فَقَدَ التَّخَيُّلَ والرَّجاءَ؟  
 وهل ذكر الزنازين العديدة  
 أم أحسَّ بحاجةٍ للبؤل لو سمحوا له  
 أم ظنَّ مِنْ عَدُوِّ التواريخ العتيقة أن «معتصمًا» سينقذه  
 أم التَمَعَتْ بخاطرِه صفوفُ النسوةِ القتلى أمام الماء؟  
 أليقن أنه سيموت  
 أم ظنَّ الذي هو فيه كابوسًا  
 سيصحو منه بعد دقيقةٍ  
 لتناول الإفطار مع أحفاده الخبثاء؟  
 أم ارتعشت يداهُ  
 إذ استعادَ فراقَ أبناءِ بكى فبكوا على كتفيه وارتحلوا  
 يُودِّعُهُم رذاذ الأرز يتبعُهُ رذاذ الطلِّ يتبعُهُ رذاذ الدَّمعِ في الميناء؟  
 وهل رَجَّتْهُ خاطرةٌ تُسائلُهُ:  
 بِكُمْ أرضٍ وَكُمْ بَلَدٍ سَيُدْفَنُ بَعْدَنَا الأبناء؟  
 هل ارتَجَفَتْ مَفَاصِلُهُ؟  
 هل استقوى على هَلْع؟  
 هل امتدت أصابعُهُ إلى حجرٍ وأعياءُ تَنَاقُلُهُ؟  
 وهل ذَكَرَ العواصمَ وهي خارجةٌ لنجدته  
 على موجاتها الوُسطى بذبذبةٍ تقولُ له،  
 هُنا العَرَبُ، هُنا العَجَبُ  
 هُنا الشرطيُّ ممتشقٌ هراوتَهُ  
 ويصرخُ: ماتَ شيخٌ في المُخيمِ عاشتِ العَرَبُ؟!

ولما استنجزَ الموعودُ وعدًا      تصايحتِ المُلوكُ بأن فداكَ  
 أغاثوه بمرثيةٍ ونَدبٍ      وبئستُ تلكَ من غوثٍ وذاكَا  
 ودَمَعُ الحاكِمينَ له لُغاتٌ      وأفصَحُها يُريدُ لنا الهَلاكَا  
 (إذا اشْتَبَهَتْ دموعٌ في حدودِ      تبيِّنُ مَنْ بكي مِمَّنْ تباكى)

نحن من لم نمت

قَدْ فَتَقَدْنَا الرَّضَا  
وَالْعَفِيُّ بَدَتْ فِي الْمُلَمَاتِ أَعْطَابُهُ  
اذكروا وَلَدًا كَانَ فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ يَصْرُخُ  
لَا شَيْءَ يَحْدُثُ فَجَاءَهُ!  
وَلَا شَيْءَ يَسْقُطُ فَجَاءَهُ!  
وحتى الزلازلُ تبدأ من باطن الأرض حتى سقوفِ القُرى  
اذكروا وَلَدًا كَانَ فِي ذُرُورَةِ الْإِحْتِفَالَاتِ يَرْبِكُهُ مَا يَرَى  
اذكروا وَلَدًا وَاقِفًا وَسَطَ هَذَا التَّصَدُّعِ يَصْرُخُ  
كَيْفَ تَزَلَزَلْ هَذَا الْجِدَارُ وَلَمْ يَنْسَلِخْ عَنْهُ لِبَلَابِهِ!

\* \* \*

قُلْ لِلخَطَايَا كَمْ كَسَرْتِ مِنَ الْمَرَايَا  
يَا مَرَايَا كَمْ كَسَرْتِ مِنَ الْوُجُوهِ  
وَيَا وَجُوهُ كَمْ احْتَرَقْتِ مَعَ الْأَكْفَبِ  
وَيَا أَكْفُ كَمْ احْتَرَقْتِ مَعَ السَّلَاحِ  
وَيَا سَلَاحِي كَمْ حَجَلْتِ مِنَ الطُّغَاةِ!

\* \* \*

قُلْ لِلْمَبَاحِثِ طَابَ يَوْمُكَ يَا جِرَادُ  
وَيَا جِرَادُ كَمْ انْتَشَرْتَ عَلَى الْجِرَائِدِ  
يَا جِرَائِدُ كَمْ كَذَبْتَ عَلَى الْمَطَابِعِ  
يَا مَطَابِعُ كَمْ كَذَبْتَ عَلَى الْأَصَابِعِ  
يَا أَصَابِعُ كَمْ عَقَدْتِ مِنَ الْمَشَانِقِ  
يَا مَشَانِقُ كَمْ مِنَ الْأَرْضِ اسْتَعَدَّتِ مِنَ الْعُرَاةِ؟

\* \* \*

يَا أَيُّهَا الْجُوعَى تَعَالُوا  
سَوْفَ نُخْرِجُ قَمَحَنَا الْقَمْحِيَّ مِنْ هَذَا الزُّرْأَنِ  
هَاتُوا الْعَرَابِيلَ الدَّقِيقَةَ ثُمَّ هَرِّوْهَا ثَقِيلًا أَوْ خَفِيفًا  
قَدْ أَفْسَدُوا مَاءَ السُّوَاقي وَالْمَزَارِعَ وَالسَّنَابِلَ  
وَالْمَطَاجِنَ وَالْعَجِينَةَ وَالرَّرْغِيفَا  
يَا أَيُّهَا الْغُرْبَالُ لَا تَهْدَأْ  
فَإِنَّا مِنْذُ دَهْرٍ لَمْ نَذُقْ خَبْرًا نَظِيفًا!

\* \* \*

نَحْنُ مِنْ لَمْ نَمُتْ بَعْدُ  
بِاقْوَانِ كَيْ نُصَلِّحَ الْكَلِمَاتِ  
سَنُغْسَلُهَا مِثْلَمَا يُغْسَلُ الصَّحْنُ مِنْ دَهْنِهِ  
وَنُرَدُّ الْمَعَانِي إِلَى أَصْلِهَا  
وَنُرَدِّدُ يَا كَلِمَاتُ اسْتَعِيدِي مَعَانِيكَ وَلْتَمَسِكِيهَا بِحَرِصٍ وَعُودِي لَنَا مِثْلَمَا كُنْتِ:  
حَيْثُ «الْحَبِيبُ» تَسَاوِي «الْحَبِيبُ»:

وحيث «العدو» تساوي «العدو»  
 وحيث «المحاكم» تعني المحاكم لا «المشقة».  
 وحيث «الصلاة» تفيد بشيء سوى «الزندقة»  
 وحيث «السموم» تساوي السموم وليس «الإذاعة»  
 وحيث «الرخاء» تساوي «الرخاء» وليس «المجاعة»  
 وحيث «صيانة مكتسبات البلاد» تدلّ على عكس أن البلاد «مباعة»  
 وحيث «لموهبة البيغاوات» معنى سوى «جلسة البرلمان»  
 وحيث «احتضان العدى» لا تساوي «أخي جاوز الظالمون المدى»  
 وحيث «الفكاهة» تعني الفكاهة لا «خطبة للرئيس»  
 وحيث «لعضوية الحزب» معنى سوى «سفر للنقاهة»  
 وحيث «طلّعنا عليهم طلوع المنون» تساوي الهجوم وليس الفراز  
 وحيث «نُرَجَّبُ بالقادمين» تفيد بشيء سوى «ذلنا» في المطار.  
 وحيث «الهزيمة» تعني الهزيمة لا «الانتصار»  
 وحيث «المواطن» تعني المواطن ليس «الحمار»  
 وحيث «الصمود» تساوي «الصمود»  
 وحيث «الظبا» لا تساوي «القرود»

وطني حصارك لم يزل في أوجهه      والطوق حولك كامل لم ينكسر  
 ما أكثر الأمراء حولك إنما      مرني أطعك وليس غيرك من أمر  
 أنا من عصاهم في الكهولة والصبا      وهبت صوتي عبرة لمن اعتبر:  
 لا تنقذ الموقدة الكف التي      ما أتقت شيئاً سوى حفر الحفر  
 والله إن حجارة الأطفال في      بلدي لتخجل من قصورهم الحجر  
 أناراكض الدهر اللحوح أصبح من      خيم الضيافة والجحيم المستر  
 ومن المطار من القطار من العوا      صم والقفار من الموانئ والجزر  
 سأصبح صيحة من يعاند موته:      لا بُدَّ من بلدي وإن .....

## لي قارب في البحر

لي قارب في البحر روعي أبحرت معه،  
كفائي مجذافاه والعينان قنديلاه والأضلاع أضلعه،  
لا النجم لاح لمبحريه ولا بدا لنواظر الأحباب مطلعاه،  
تندافع الأمواج ضد مساره وأنا بنبض القلب أدفعه،  
كم من فتى مستصوب إبحاره عرقاً  
لو أدرك التيار بعض خصاله ما كان يصرعه،  
وصبية هتكت قميص الريح عازمة  
عزماً يعم على بلاد لو توزعه،  
دمها يكاد يعاتب الأسماك مرتعشاً  
ونداؤها لو أصغت الأفلاك ليلاً سوف تسمعه،  
والإستغاثه لم تصل لمغيثها  
إن ضاع غوث المستغيث فما له شيء يضيّعه.

\* \* \*

لي قارب في البحر لو عدّ العدى ربّانهُ لتحيرا  
إن ردّ موتاً ظاهراً ما ردّ موتاً مضمرأ  
وعدّ تهشّم قَبْلَ أن يعدّ المدائنَ والقرى  
لا جدتي تروي الحكاية والقصائد لا تحيط بما جرى.  
يتنابذ التاريخ في هذي البلاد كأنه ملّ الحكاية كلها،  
ملّ الدّم المسكوب من جيلٍ لآخر والرجوع القهقري!  
هل كل هذا الموت يخلو من قيامة؟

وهل المرّجى ضاع ضيعة «خاتم في الثّرب» أم أنا سترشدنا علامة؟  
وهل المُسافر ملّ أخطار الطريق أم أنّه ملّ السلامة؟

\* \* \*

لي قارب فيه النبي وفيه شيطان رجيّم.  
فيه المعذب والمعذب والنعيم مع الجعيم.  
مع كاشف الطرقات والأعمى وأفذاذ، وأميون، مبتكرو مخارج، موقدو  
أملٍ ومرتكبو مباحج، ظالم فظ ومظلوم حليم  
لي قارب فيه الشجى مع الخلي  
مع المُخرّب والعفي  
مع الأغاني والضجيج المدفعي  
مع الصبايا في الحذاء العسكري  
مع المُقدّم روحه والصيرفي  
مع الغرير مع الحكيم  
لي قارب فيهِ الرصاص وفيهِ ملاحون مصطرعون، فوقهم النجوم كأنها  
موتى وحولهم الرفاق الميتون

كما النجوم.  
يا أيها الماء انتبه!  
هذا هلاك كالهلاك!  
هل أنك الضد النبيل فصار مهزومًا نبيلًا؟  
أم غير الماشي السبيل أم أنه ضلّ السبيلًا؟  
أنا لا سرير يدوم لي  
لا سقف بألفني طويلا  
أما الأحبة لست ألمسهم، وإن قالوا «الإقامة» قلت بل قصدوا «الرّحيل»..  
ويجيء بالأخبار راويها فافزع قبل أن أصغي له أو أن يقول..  
تلد الحوامل ثم تدفن، ثم تشهق فرحة بوليدها وتعود تدفن،  
ثم تدمن  
حزنها جيلًا فجيلًا  
وأكاد أسمع دمع جدات فقدن الصبر يهمس مُرهفًا «صبرًا جميلًا»  
وأنا محاولة البقاء وكل ما حولي يحاول أن أزولا  
الوقت ذو نابيين يكمن لي  
وأهلي يهدمون يدي، أضيف يداي أخطأنا كثيرًا أو قليلا  
وطني سماحك لم أصل في مواعي  
الموت أخرني قليلا.  
أنا من سيبي يأسه بعناية  
ويقيم فيه مُحصنًا ضد الغبار الحلو، ضد الإبتهاج المر والصدأ الخفي،  
وسوف أخرج منه مجلًا صقيلا  
لا وهم يقتعني طويلا!  
لا نجم يخدعني طويلا!

\* \* \*

قل إنني مهدد يقاتله ضريح.  
قل إنني اليأس الفصيخ.  
قل إنني الخطأ الصحيح.  
قل إنني ولد وكفت الموت ملعبه الفسيخ.  
قل إنني مزج عصي بين بارود الخنادق والمسيخ.  
\* \* \*

لي قارب في كل بحر، خطوة في كل برّ والمدى سكني  
جسدي مظاهرة، وفرقتها الخصوم  
ولا أظن العمر يكفي كي يلممني  
صرت التبعت في البلاد  
وكثر الأوطان تعني قلة الوطن!  
جسدي خزنة كل ظلم الأرض،  
جسدي سقوط العدل من عليائه وسقوط سرّ الله في العلن:

جسدي انهماكُ الروح في إعدادِ نَقمتها:  
متكرراً مثلَ الظهيرة، مثلَ حَبِّ القمح، مثلَ حكايةِ الجدّات،  
مثلَ مطالبِ الأطفالِ، مثلَ اللُّغْمِ  
أكمُنُ في الزمانِ، ومن يُعِدُّ القبرَ لي يخشى انتباهي وهو يدفنني!

قل إنني العاجزُ

قل إنني القادرُ

قل إنني العاديُّ والنافرُ

قل إنني بقعُ من المستقبلِ انتشرتْ على الحاضرِ

قل إنني الصَّلَفُ الحزينُ بما عصيتُ وما أطعتُ

وأنا الذي حاولتُ جعلَ الله أحلى ما استطعتُ

وأنا الذي حاولتُ جعلَ الأهلِ أهلي، ما استطعتُ

سُدَّتْ جميعُ طرائقي ونُهيئتُ، لكن ما انتهيتُ.

قل إنَّ فيَّ عواصفاً خجلى

وشهواتٍ مكبلةً الأيادي

قل إنني مهرٌ بلا برِّ

وشبهني بإطراقِ المنادى حيث لا أحدٌ ينادي!

قل إنني جمرُ المواعدِ في شتاءِ الله غطاني رمادي.

وأنا بلادُ الروحِ تبني لي كهوفاً من سرائرها،

بلادِ الله تنكرُ خطوتي فيها،

بلادِ الموتِ تفتح لي حدوداً دون أختامٍ وتستنصني على عيني بلادي.

وأنا عنادٌ فاجعٌ وأنا عيونٌ أجَلُ التاريخِ دمعتها، وكلفها التيقظُ في الظلامِ.

أنا نظرةُ الإلحاحِ في قومي إذا عزَّ الكلامُ

أنا حارسُ الصحوِ انتبهتُ من الفطامِ إلى الحُطامِ.

أنا حارسُ الأبوابِ والأسوارِ ساقطةٌ وتقتربُ الذنابُ

ناديتُ، لم أسمعُ، فخالجني ارتيابُ

أنا حارسُ الفلواتِ، يا قتلايَ قوموا!

(لا يقومُ الميتونُ)،

كذلك الأحياءُ حولي لم يقوموا حين أدمتني الجرابُ

يا بومةَ العَرَبِ انعقي وتجوّلي، عمَّ الخرابُ!

وأنا جِئامُ هزائمِ العربي وهو هزيمتي الأولى وعاري طائئةُ

قل إنني من يُخرجُ الأشكالَ من أضدادِها

يبني ويهدمُ ما استطاعتُ كفه ومعاولُهُ.

قل إنني شقٌّ نحيلٌ في جدارِ الوقتِ -

يكمن في انتشاري هوْلُهُ وزلازلُهُ.

قل إنني الدربُ الحرامُ ومن مشاهُ ومن هدتهُ مشاعِلُهُ

قل إنني من يحفظُ القَسَماتِ حتى لو تقنَّعَ قائلُهُ.

قل إنني سكُّبُ الغمامِ، على أواخره تهلُّ أوائلُهُ.

قل إنني نَزَفُ الحمامِ إذا هَوَتْ عندَ الحُدودِ زواجلُهُ  
قل إنني ساعي البريدِ من الشهيدِ إلى الشهيدِ لكي تُصانَ رسائلُهُ.  
قل إنني من كان من غاياته نسجُ الحياةِ كما القميصِ - وإنْ بدا أن القبورَ وسائلُهُ.  
وأنا البشاشةُ والوجومُ - أنا التراجعُ والهجومُ - أنا السؤالُ وسائلُهُ.  
قل إنني من لَوْ تكادُ يداهُ أن تتصافحا مع مستبِدِّ، «لم تُطِعْهُ أناملُهُ».  
قل إنني البنْتُ الجموحَةُ أفلتتُ من سجنها القَبَلِيِّ - تُدْمِي كَفَّها أفعالُهُ وسلاسلُهُ.  
قل إنني سأموتُ دون مداخلِ الوطنِ الذي تعطي الحجارَةَ والصغارَ مشاتلُهُ.  
قل إنني بحرٌ تتالي فيه غرقاهُ الكثارُ وما بدتُ للمبحرينَ سواجلُهُ  
قل إنني المجنونُ، أبصرُ موتَ حلمِ رائِعٍ وأواصلُهُ.

## عُرْفُ الرُّوحِ

ما الذي يسلبُ الرُّوحَ ألوانها؟  
أرجوانَ البهاءِ  
وسُمَّاقها المخمليَّ وناريَّها،  
شهقةَ اليوسفيِّ،  
وأخضرَها المتموجَّ منذُ السياجِ  
وحتى الأبد؟  
ما الذي طالَ نرجسها الهشَّ  
حنُونها الحرَّ في الوعرِ  
أشهبها العنبيِّ الموشى بحزنٍ طفيفٍ  
وغيميَّها المتحيرِ في شكِّله  
والرضى الفستقيَّ المشوبَ بدكنته  
(دائمًا، للرضا ما يشوبُ الرضا)  
ما الذي قبلَ أن تستقرَ بداياته،  
إنقضى؟  
ما الذي حدَّشَ اللؤلؤيَّ المضاءَ بأعماقها  
ورمى حجرًا صوبَ مرآتها وابتعد؟  
ما الذي مسَّ قمحيَّها البيدريَّ  
وحيليَّها الصاهلَ، الشبقَ، المتقدِّ؟  
كيف ما عاد يذهلها  
الرَّغبُ المشمشيُّ المنورُ  
ما بين نهدي فتاة، يمرُّ عليها  
حريزُ المغيبِ وكفُّ الولد؟  
ما الذي قسَّم  
الحلمَ والموتَ نصفين فينا  
كأننا نرى الناسَ راحتَ هباءً،  
وظلَّ الرُّبْدُ؟  
مَنْ سيرسم في دفترِ الرسمِ قصرًا  
ويهدم دارًا تضحُّ بسكانها؟  
لا أحد  
سوف ينجو من المسألة  
لا أحد  
سوف ينجو من الأسئلة  
لا أحد  
ما الذي أورثَ الرُّوحَ أوجاعها  
ما الذي، غيرَ قصفِ الغزاةِ أصابَ الجسدَ؟



\* \* \*

أُغَادِرُ كُلَّ رَغْبَاتِي. وما عِنْدِي  
مبَاهِجٌ، غيرَ كَوْنِ الهَمِّ يُحْتَمَلُ  
وَبِي أَمَلٌ، وَلَكِنِّي أُرَادِفُهُ  
بِشَأْنِكَ مُجَرَّبٍ لَمْ تُغْرِهِ الحَيْلُ  
إِذَا بِمَجْرَدِ الأَمَالِ عَاشَ فَإِنَّهُ  
حَتْمًا يَمُوتُ بِبِأْسِهِ الرَّجُلُ  
وَحَاطِبِ لَيْلٍ اجْتَمَعَتْ بِرَاحَتِهِ  
مَعَ العِيدَانِ أفعَى سُمُّهَا عَجَلُ  
فَلا بَرَقَتْ لَهُ نَارٌ عَلَى جَبَلٍ  
وَلَا اسْتَهْدَى بِهَا فِي اللَّيْلِ مُرْتَجِلُ  
لخَيْرٍ مِنْ دَلِيلٍ فِي تَحَبُّطِهِ  
يُضِلُّ، أَهْلُهُ وَالصَّبْحُ مَكْتَمَلُ  
فَلَيْتَ ذَوِي العِشَاوَةِ، وَحَدَهُم، طُوِيَتْ  
صَحَائِفُهُمْ لِيَنجُو كُلُّ مَنْ عَقِلُوا  
وَلَكِنْ تُنْظِمُ الأَوْهَامَ فِي نَسَقِ  
وَكفُّ المَوْتِ، إِذْ تَجْتَاخُ، تَرْتَجِلُ  
وُقَيْتَ الوَيْلِ يَا وَطَنِي، فَأَقْسَى مِنْ  
بُطُولَتِكَ الحَزِينَةِ حَزْنُكَ البَطْلُ  
مَا الذِّي رَجَّ رُوحَ البِلَادِ مِنَ الحَدِّ لِالحَدِّ  
رَجَّ اللُّحُودِ مِنَ اللُّحْدِ لِالحَدِّ  
مِيزَانُنَا مَالٍ فِي يَدِنَا:  
كَفْتَانِ، فَلا اسْتَوْتَا، حَيْثُ شِئْنَا  
وَلَمْ تَرَجِحِ الكِفَّةَ الرَّاجِحَةَ.  
قَالَ لِي صَاحِبِي:  
«لَا تُفَاجَأَ بِشَيْءٍ»  
وَقَلْتُ لَهُ:  
«لَا تُفَاجَأَ بِشَيْءٍ»  
وَقَدْ فَاجَأْتُنَا، كَلِينَا، التَّفَاصِيلُ  
كُلُّ الذِّينِ قَدْ تَوَقَّعْتُهُ  
الآنَ فَاجَأَنِي  
وَهُوَ فَاجَأَهُ مَا تَوَقَّعَهُ البَارِحَةَ  
لَمْ نُصَبِّ بِالجُنُونِ  
وَلَكِنْ أَيْدِرُكُ مِنْ يَعْقلُونَ  
لِمَاذَا تَظَلُّ الخِرَافُ إِلَى مَعْقَلِ الذَّنْبِ  
غَادِيَةً رَائِحَةً؟  
وَلِمَاذَا النِّجَاةُ تَضِيَعُ فِرْصَتَهَا فِي النِّجَاةِ

وتحظى المهالك بالفرصة السانحة؟  
أينما كان عنواننا في البلاد  
يريدون عنواننا الأضرحة  
رفعوا صورته عاليةً  
وأمالوا كَفَنَهُ  
يهجمُ الطَّلُقُ على الأمِّ ولا تدري  
لماذا تخطفُ الطَّلقاتُ منها بَدَنَهُ  
كانت الطَّلقاتُ لا تعرفُهُ  
عَرَفَتْ ماذا يريد:  
كان يبغى نَجْوَةً  
مِنْ هلاكٍ،  
كان يبغى وَطَنَهُ.  
حفرةً وابتعدوا  
صاح شيخٌ مُقَعْدُ  
ليتهم لم يولدوا  
لرصاصاتِ الغزاة  
وزنادِ الحَوَنةِ  
حفرةً وابتعدوا  
عَدَّ مَنْ يعرفُهُم قَتلى  
وتاه العَدَدُ  
رفعوا صورتهُ  
وأمالوا كَفَنَهُ  
يهجمُ الطَّلُقُ على الأمِّ،  
كما فاجأها  
قبل عشرينَ سَنَةً! .....

يَرُجُّ الطَّلُقُ مَرَقَدَها  
تلوبُ لثَمِيبِكَ اللاشيءَ  
عشرُ أصابعٍ لترُدَّ هذا الويلَ  
في صمتٍ  
وتقوى. ثم لا تقوى  
تَقْدُ هواءَ عُرْفَتِها  
تَقْدُ ملاءةَ الدُّنيا  
يدور الوجهُ في دَهْلِ على الجنبيين  
ملحٌ جَفَّتِ الشَّقَتَيْنِ  
بابٌ مُحَكَّمُ الإغلاقِ  
ألوانٌ يلاحقُ بعضها بعضاً  
يدٌ مذعورةٌ وَتَدُقُّ ثُمَّ تَدُقُّ

لا جَدوى  
تدورُ الدارُ دائرتَيْنِ، تُظلمُ فيهما الأوجاعُ ثم تضيءُ  
يطفو العُمرُ فوق ضبابيةِ كالظلِّ أو أوهى  
وصاحتُ دايةً «وَلَدٌ»  
ولا أحلى ولا أبهى  
وصاحَ الطِفْلُ في يديها...

\* \* \*

يفرُّ مُدرِّسُ الإنشاءِ مذعورًا وأبلةً  
حين يبصرُ ما بنا  
وتفرُّ سيدهُ الخواتمِ والحليِّ  
ويرتبكُ المهنيُّ والمُعزِّي  
ففي أوجاعنا كِبُرُ  
وفي أعراسنا شيءٌ من الحُزنِ الخفيِّ  
ونربحُ كلَّ شيءٍ ثم نخسرهُ  
فتستعصي خسارتنا على  
وصفِ المُفَوِّهِ والعَيِّ.  
ونحن اثنان شئنا أم أبينا  
ومذراةُ الزمانِ إذا رمثنا  
على جهتين يتضح الحبيبُ من الدَّعيِّ  
لكلِّ مواطنٍ موتٌ، ونحن لنا  
بل مدينةٌ موتٌ.  
لكلِّ مُواطنٍ حاكمٌ  
ووحداً أنتَ محظيٌّ بعشرين من الحُكامِ  
في عشرينَ عاصمةً  
فإن أغضبتَ واحدَهُمُ  
أحلَّ دماءك القانونُ.  
وإن أَرْضيتَ واحدَهُمُ  
أحلَّ دماءك الباقيون  
تَهْدَبُ عندَهُمُ عشرينَ تهديباً  
بحيثُ تُهانُ مبتسماً، وحيثُ تهونُ  
تهدَّبُ يا فلسطينيُّ حيثُ تكونُ  
وباركُ رِقَّةَ الطاعِي  
وأثنِ على جِجَى المَجنونِ  
وأثنِ على اعتدالِ الجوّ طولَ العامِ  
من مايو إلى إيلولِ أو تشرينِ أو كانونِ  
تَهْدَبُ يا غريبَ الدَّارِ حيثُ تكونُ  
تعلِّمُ حكمةَ الطاعةِ

تعلّم حكمة الطاعون  
تهدّب ميثًا أيضًا  
ولا تُزعج مطارات البلاد  
بجثة تستلطف الطيران  
من ليلٍ إلى ليلٍ ومن بلدٍ إلى بلدٍ  
خبثٌ أنت  
صرت نُقلدُ السيّاح ميثًا - أيها الملعون  
أما كنت انتظرت هبوب مجزرة  
ومقبرة جماعيّة  
وأنت الميث المشبوه قبل الموت، عند الموت،  
أو بعده  
تشاغل دافنيك هُنيهةً  
لتصيح: حُرّيّة!

\* \* \*

تعددت المَهالكُ والممالكُ والحدودُ  
تعذرُ الحزنُ العظيمُ  
تعذرُ الفرحُ العظيمُ  
ومات مع مات مألوفُ الكلام  
وخابت اللُغةُ التي ازدحمت بها العاداتُ والكُتبُ  
فلا لومٌ ولا عتَبُ  
على حبسِ الدموعِ ولا على من مات ينتحبُ  
ولا لومٌ ولا عتَبُ  
إذا ذهبَ قصيدتنا  
مذاهبَ غير ما رسمت لها الأعرافُ والعربُ  
ولا لومٌ ولا عتَبُ  
إذا جمعتُ في كفي حجارَتكمُ  
لأرجمكمُ  
لنا لغتان،  
واحدةٌ تعيش هنا  
وأخرى اغتالها «الأدبُ»

\* \* \*

في زمانٍ غير هذا، من زمانٍ  
كان للشاعر أن يختارَ جواً للمراثي  
ربما صفافةً مالت كما عُرِف الحِصانُ  
ربما صمت المَكانُ  
ربما يأتي على وصفِ رُخامٍ نام فيه الأُقحوانُ  
ربما يهمل حفار القبور

ربما يعطي له جمجمة  
ثم يلقي في وقارٍ مسرحيٍّ  
مقطعاً عن حكمة الموت وعن آنية الدنيا

وينعى  
مُضجِك القصر ومولاهُ معاً  
ويساوي بين ذلِّ العبد والسيد  
والشهوات والحرمان من كلِّ شهيٍّ  
ربما يرسمُ غيمًا مائلاً بيكي  
ويحكي عن فتاةٍ فَدَّت الثوبَ  
وألقت جسمها فوق الصبيِّ  
غير أنني عندما أكتبُ في الموتِ أراني صامتَ الوجهِ  
ومعقود اللسانِ

وكأني أسمعُ المَخْفِيَّ فيَّ  
وكأني لا أقولُ الشَّعرَ من أن لأنَّ  
وكأنَّ الشاعرَ الحَقَّ عدوُّ الشاعرِ  
أيها القتلى فَلَستُمُ جُنُثًا  
إنني منكم، ومن ينظرُ إلى روعي يَجِدُ  
في كلِّ ركنٍ جَدَثًا.

تبصرُ العينانِ ما يُبكي على الباكي عليكم  
إن جَرَى دمعٌ على مَنْ حَنَّنَا  
أيها القتلى أتدري رُوْحُكُمْ ما حَدَثَا  
قيل ننساكم لكي نحيا ...

ولكن عَبَثَا  
قيل ننساكم ونبكيكم وننساكم  
ولكن عَبَثَا

أيها القتلى أما يُفَلِّقُكُمْ شيءٌ عَلَيْنَا  
طَمَنُونَا مَنْ سِوَاكُمْ سوف يعطينا الأمان؟

\* \* \*

في زمانٍ غير هذا، من زمانٍ  
قَبْلَ أن يَدْخُلَ في ثوبي عَدُوِّي  
قَبْلَ أن يُصْبِحَ للأخطاءِ أخطاءٌ تُدَوِّي  
كان رامي السهم يرميه إلى صدرِ سواه  
كان باني البيت لا يهدمُهُ  
كان قلبُ المستجيرِ  
مطمئنًا أن من يُؤويه لا يُسَلِّمُهُ  
كانت الوالدةُ الملهوفةُ العينينِ  
لا ترضى بتقسيمِ الوَلَدِ

أيها القَتلى بكلِّ الحَقَبِ  
هل رأيتُم في عباآتِ مرآثِكُم مريبًا  
إنَّ عندي ربيبي  
أيها القَتلى أما يُفلقكم شيءٌ عَلينا؟  
طَمَنونا  
مَنْ سِواكُم سوف يعطينا الأمان؟  
كَمَدُ الأحياء من حيِّ لحيِّ يكتملُ  
وانذهالُ الناس من بيتِ لبيتِ  
قال لي قلبي وقالت لي الطريق  
إننا نَعَجَبُ من مستعجلِ أعمى يَصِلُ!

\* \* \*

هذه مقبرةٌ حقًّا ولا شِعَرَ ضروريًّا لها  
إنها تصحو على القَصَفِ وفي الفصحى تنام  
كيف يا قَتلى تنامون هنا  
لتقولَ امرأةٌ تغرقُ في الأصباغِ عنكم «يا حَرام»!  
يكتبُ الشاعرُ مرثاةً لينساها  
وتنساها خطى تنسى الكلام:  
سئِمنا كلُّ مرثيةٍ  
سئِمنا أننا حالةٌ  
سئِمنا أننا رُحَلٌ  
سئِمنا أننا يُمشى بنا في كلِّ مُفترقٍ ولا نُسألُ  
سئِمنا أننا نمشي  
فيمشي آخرُ الأخطاءِ فوق صحيحنا الأولِ  
ولا عَجَبُ  
تعددتِ الحرائقُ والبلاؤُ  
كما يعدُّ الإصبعُ المخفيُّ تحتَ ضمادِهِ الأخطاءِ  
هل عَلِمْتنا يا جُرْحُ كيف الصَّحُّ يَرتكَبُ!  
تعددتِ المباهجُ حولنا وتعددتِ أغلالنا  
فيها الذي بالموتِ كَسرها، وفيها من يُكسرها  
وفيها من تَعوَّدها  
وفيها - الآن - من أغلاله دَهَبُ

\* \* \*

ويا امرأةً كأنَّ بها مزيجًا  
من الرِّعدِ المُلَوَّنِ والعَمَامِ  
جموحٌ في وضوحٍ في غموضٍ  
ومبيضٌ في فضاءٍ في ظلامٍ  
ويطعنُ حُرُنُها سنًا وتلحو

برغم الحُزْنِ مِنْ عامٍ لعامٍ  
وكم حَدَعَتْ هَشاشَتُها عدوًّا  
فإنَّ الوَيْلَ عاقبَةُ الرَّهْمِ  
وكم حَدَعَتْ صلابَتُها حبيبيًّا،  
فكم أخفت دموعًا بابتسام  
وما احتملتُ سوى ما قد أطاقَتْ  
وما كانتُ تطيقُ على الدَّوامِ  
ومن دَهَشِ النَّوى تزدادُ صمتًا  
فلا تشكو بمألوفِ الكلامِ  
وكم ضحكتُ على المنفى ببيتِ  
فَهْدَمَ مثلَ أعشاشِ الحَمَامِ  
ترى في نومها ولدًا جميلًا  
بباب الدَّارِ معتدلَ القَوامِ  
تقولُ: أعادهُ المولى سليمًا  
وتركضُ للعِناقِ وللسَّلامِ  
فَمَنذا قد أمالكُ يا حبيبي  
كجذع السرو ملقى في الزحامِ  
وما في صمتِ صحتك من جوابِ  
وإن نَطَقوا، فما نَفَعُ الكلامِ  
ترى في نومها عربيًّا أغاروا  
وخيلاً في احتشادٍ واضطرامِ

تقول أتى الخلاصُ وحين تصحو ترى الإف ١٤ والإف ١٥ والإف ١٦ وطائرات الإنذار المبكر وحاملات الطائرات، الهائلة الحجم/يتعين عليها أن تميز بين أشكال القنابل/تتذكر أن العرب يمتلكون شيئاً لرد ذلك غير الخيول والمشانق/تتذكر كيف ضربها مدرّسُ الإنشاء/بالمسطرة/ثلاث مرات/لأنها تلعنمت وهي تُسمع (وَعَرَّكُم طولُ الجيوش وعرضها/ عليّ شروبٌ للجيوش أكو) ويخطر ببالها وهي تشاهد أولادها القتلى تحت أغطية النايلون والذباب/أن لتلك القنابل صوتاً يشبه الصهيل/كيف يسهل ما ليس خيلاً؟/خصوصاً حيث لم يعد المرء يرى الخيول تركض/على الأوتوسترادات/ولا في قاعات فنادق المدن/التي تسهر طويلاً على موسيقى الرّوك والمواويل العثمانية/وتصحو على الصُّحف/المبسوطة من كلِّ شيء في البُلْدُ .....

وتدفنُ نصفَ من وُلِدَتْ بِكفٍ  
وبالأخرى تشيرُ بالإتهامِ  
تقول كفى وتبكي ثم تبكي  
وتبكي ثم تخطو للأمامِ  
وداعاً يا فصاحتنا، سئنا  
ويا عينِ البلاغةِ فلتنامي

\* \* \*

لم يعد صالحاً للمقام المقال

لم يَعُدْ أَوَّلُ الشَّيْءِ أَوَّلَهُ  
لم يعد آخر الشيء آخره  
لم يَعُدْ واضحًا ما يُرى  
لم يعد واضحًا ما يقال  
لم يعد واضحًا مَنْ عَدُوِّي  
وأين جداري الأخير

\* \* \*

بنادقنا في الأيادي  
ولكننا لم نُسَدِّدْ على  
شَرِّنا

\* \* \*

بنادقنا في أكَفِّ  
نساءٍ من الرَّعْدِ وَالْوَرْدِ  
لكنها المرأةُ الشَّيْءُ  
يصنعها الرَّجُلُ الشَّيْءُ شَيْئًا فَشَيْئًا  
فتغدو كما يشتهيها  
وتفقد ما تشتهي  
ثم تهبطُ في سُلْمِ العُمرِ  
عامًا  
فعامًا  
فعامًا  
وفي القاع تبكي ...  
ولكنها لا تُعَلِّمُ طِفْلَتَهَا  
أن ... تطير!

\* \* \*

بنادقنا في أيادي الرجالِ  
ولكنَّه الرَّجُلُ الشَّيْءُ  
يحيا بعقلِ المُسَدِّسِ.

\* \* \*

أوصافنا في اتساع السُّهولِ  
وبين يدينا تقوُّمُ الجبالِ  
وقد حَمَلَ الدَّهْرُ أَكْتافَنَا  
مثلما حَمَلَ اللهُ آدَمَهُ  
إرثَ أرضِ وَدُرِّيَّةِ  
حَطُّونا سوف يُرسي لها مالها مِنْ مصيرِ.  
لنَسْتَنْفِرَ الزَّعْبَ الفُستَقِيَّ على قَاجِلِ الأَرْضِ  
نَرشِقُ فوق الغصونِ براعمَ شهباءِ



نبعثُ في حُضرة العُشب حَنُونَةً  
وَدَّ أَصْفَرُها لو يسيرُ .  
ونحمل دلوًا يفيضُ بألواننا  
ثم نطلقُ آلَنا في الذوائبِ  
نُعطي المساحاتِ ألوانها  
نتحمَلُ في صمتنا هولَ فصلِ بليدٍ  
لنُطَلِقَ زلزلةً في الجُدور .....  
\* \* \*

غير أننا/هنا/هنا حيث تزدحم النواهي/والتعاليم/هنا حيث السُّلْطَةُ تقيمُ فِخاخَها الجميلة/شجرةً تتدلى  
منها أسماء العائِلة/مشنقةً تتدلى منها الثمار/مباهج تتلألأُ وهي تستدرجُ العصاة/هنا حيث الضجيجُ  
يحيطُ بكلِّ همسةٍ/هنا حيث يقنعونك/حيث الطُّرُقُ مُقامةٌ سلفًا/والمجهولُ مُكتشفٌ/فلا حاجةٌ لملاحقةٍ  
غامضٍ/ولا حاجةٌ للأسئلة!

\* \* \*

شيء تَسرَّبَ مِنْ أصابعِكَ الجميلةِ يا فتى  
شيء تَكَسَّرَ في يَدَيْكَ  
وفي زخارفِكَ الرقيقةِ  
في ملامِحِكَ المُقيمةِ  
في الزمانِ  
يا أيها العربيُّ يا سِحَرَ البَيانِ  
مَنْ يُبصرُ المَخْفِيَّ في أرجاءِ روجِكَ  
ها هما خَطَّانِ في الرادارِ  
خطُّ النارِ يقطعُ خَطَّكَ الكوفيَّ  
نَمْ يُسِدِّدانُ!

\* \* \*

ما الذي ارتجَّ في عُرفِ الرُّوحِ  
أيُّ الكُسورِ تَبَدَّتْ بأعتابِها؟  
مَنْ يَمُدُّ اليَدَيْنِ لِيُلقي مِنَ الشُّرُفاتِ  
سجاجيدَها الدافناتِ  
ويطفئُ فيها مصابيحَها  
ويهمُّ بتقويضِ أبوابِها؟  
لُوحَةٌ الاسمِ مشبوكةٌ في الجدارِ  
بمسماها الواحدِ المتبقي  
ومخلوعةٌ من ثلاثِ زوايا  
كأني بها سوفَ تسقطُ عن حائطي  
ما الذي دار في عُرفِ الرُّوحِ؟  
في عُرفةِ الإرتعاشِ  
وفي عُرفةِ الإندهاشِ

وفي عُرفَةِ الخوفِ في غرفةِ المبهجاتِ  
وفي عُرفَةِ الإِنْتِقامِ المُعْطَى بِبُرْدَايَةِ  
من حريِرِ الحِصافَةِ والانتظارِ؟  
ما الذي دار في عُرفِ الروحِ  
ثرثرةٌ في مرايا حوائِطِها أم جوازٌ؟  
كان صوتٌ يبشِّرُ بالفَرَحِ المُستَتَبِّ:  
«لماذا التباكي  
تسيرُ الأمورُ على ما يرامُ  
فلَمْ يرتكبْ أحدٌ خَطَأً قاتِلًا بعدُ  
هل ييأسُ الشعراءُ؟ اطمئنْ فإنَّ النهارَ...»

...

يقاطعُه الآن صوتٌ:  
«سئمت طلاوةَ ترنيمَةِ النومِ  
طوقُ النِّجاةِ الذي ظلَّ يرميه راميهِ  
قد شدَّني للقرانِ  
وإني...»  
يقاطعُه الآن صوتٌ:  
«كأنَّكَ تحملُ سَلَّتْنا كَلِّنا  
ثم إنك لولا...»  
يقاطعُه الآن صوتٌ:  
«لَعَلَّ الحَقِيقَةَ أنَّ التداخُلَ بينِ الصوابِ وبينِ الخطأِ  
دقيقٌ، لعلَّ على المرءِ...»  
صوت يقاطعُه الآن:  
«مَنْ قالَ إنَّكَ أنتَ الطبيبُ؟  
ستمشي الشوارعُ طبعًا كما شاء إسفلتُها.  
وستمشي الجنازةُ طبعًا كما قرَّرتْ لجنةُ الدِّفنِ  
والرأيةُ المستقيمةُ سوفَ ترفُ  
بمقدارِ ما ستهبُّ الرياحُ  
سينطرُحُ النَّمْرُ أرضًا على ظهرهِ  
في انتظارِ مخالِبِ أعدائِهِ  
حينما لا يُتاحُ انتصارُ له أو فرارُ،  
ولو شئتُ...»  
صوت يقاطعُه:  
«ألفِ شكرٍ لهذي المَواعِظِ  
ماذا يقولُ لنا الشَّعْرُ  
أم أنه مولعٌ بالمَواجِعِ يُكْتَبُ حتى نصفِّقَ  
في موتنا لِجمالِ الرثاءِ الجميلِ؟

لماذا يرى الشعراء الذين..»  
يقاطعه الآن صوتٌ، وصوتٌ يقاطع صوتاً  
يقاطعه آخرٌ  
عُرِفَ الرُّوحُ تكتنُّ بالكائناتِ الشريفةِ  
حيثُ السَّجَّاجيدُ تُلقَى من الشُّرفَاتِ  
وحيثُ المصابيحُ، والعنَّباتُ، وأبوابها  
تتهاوى...  
ولكنَّ أَسْمَنَّتْها لم يَزَلْ صالحاً لاحتمالِ  
ارتجاجاتها المُقبِلةُ  
عُرِفَ الرُّوحُ تحتشدُ الآنَ بالأسئلةِ  
لا إجابةَ في الشعرِ أو في السكوتِ  
ولا في ثلاثين ألف مَكْبَرِ صوتِ تصيحُ  
ولا في يدِ تمسحِ الدمعةِ المُهمَّلةِ  
ستركضُ أسئلةُ الروح من عُرفِ الروح  
حتى تلامسَ طينَ الرُّقاقِ  
وتنتثرَ حيرتها في يقينِ الرفاقِ  
تشكِّكُ في الفرقِ  
بين الخلافِ وبين الشقاقِ  
وفي الفرقِ بين الهوى والعناقِ  
وفي الفرقِ بين فُتاتِ المسائلِ والمسألةِ.

\* \* \*

نعاسٌ من الريشِ  
يهبطُ حولي، وظلِّي ينامُ  
ضبابٌ من الفستق اللين اللونِ  
طَوَّقَنِي حينَ طَوَّقْتُ سيدتي  
مثلما وَرَقُ الوردِ المتداخلِ  
في بعضِهِ وانتشاءُنا تتصاعدُ من قاعِها  
نحو أكتافنا، مِنْ حدودِ الأصابعِ  
حتى الجبينِ ومنهُ إلى رعدةِ الروحِ في كهرباءِ  
تُميِّتُ وتحيي العِظامَ  
يطيرُ النُّحاسُ رقائقَ شفافةِ  
والمزاليحُ تَسْفُطُ في الرَّمْلِ دونَ رنينِ  
ولا بابَ يُعَلِّقُ أبوابَهُ دوننا،  
كلُّ سرٍّ يقولُ لنا الآنَ مُرِّوا عَلَيَّ  
افضحوني  
ولا سورَ يرفعُ أسوارَهُ بينا.  
أستطيعُ من الآنَ أن أكتبَ الشعرَ

عن ضَجْرِي، أو كما يكتب الدنمركي عن غابة  
في الضباب وأكتب شعراً كما تشتهي  
اللجنة الملكية في النرويج الآن أو في السويد،  
فيسقط نُقَادُنَا جُرْمَ تسييسنا للقصيدة!  
... إن التوازن مكتمل/كيف تأتي الكتابة؟  
إن التوازن مكتمل الإختلال/كيف الكتابة!  
أدرك أنني أقيم بقنطرة بين هذا وذاك  
فلا الموت مكتمل في يدي، ولا الإنسجام.  
سأكتب نفس الكلام، ولكنني  
سوف أدخله في ثراب الحياة  
لأخرجه من سراب الكلام  
فسيدتي امرأة ذات هم  
تخطي القناطر في حذر متعب  
من زياراتها للمقابر حتى الوظيفة  
حتى هبوب الظلام.  
سيمرّق سهم وآخر من بيننا  
إن سيدتي (وهي ليست بأحلى النساء جميعاً،  
ولكنها حلوة) تتمنى انتصار المباح  
لكننا لم نعد مثلما تشتهينا القصائد  
عطرًا وريشًا ومشطًا وكوم جواهر  
أو كومة من هيام.  
فإن الحياة لوح، ولا تتأجل من أجلنا،  
نحن ممثلان بها نشوة وانكسارًا /جنونًا وعقلًا /حنانًا وخبثًا/  
وهل يشهق العشق في جسد أجوف  
نحن أنني مشينا لمسنا النقائض كفا بكف  
فنسأل، هل من أساس تبقى لنا  
تحت هذا الحطام  
لنبنى ممالكنا المرتجاة، ونسقط ما يُتَوَلَّى الروح عن عرشه  
ثم نمضي (وهل نستطيع) من الحزن للحب  
من حَجَرٍ للغمام.  
نعاس من الريش يهبط حولي وظلي ينام  
نحاس يطير رقائق شفافة في اخضرار السحر.  
طلقة في الشجر  
قتيل يموت بأعدائه  
قتيل يموت بأخطائه  
طلقة في جدار الصفيح، وأخرى  
على حُلْمٍ من حَجَرٍ

صغيرٌ يخافُ الجنازةَ  
يمشي ويبكي وينقسمُ الكونُ نصفين في خطوه  
وهو يسألُ جدتهُ هل سنُهزمُ في الحربِ أم ننتصرُ؟  
ومن سوف يسقي نباتَ الحديقةِ في ساعةِ العصرِ عند الرحيلِ  
ومن سوف ينشئُ مكتبةً في ثلاثين بيتاً وسجناً  
ومن سوف ينعسُ عند انتظارِ الصبيِّ  
الذي لم يعدْ، والقذائفُ تهمي ويهوي المَطْرُ  
نحاسٌ صغيرٌ خطيرٌ يطيرُ  
وسنجابةٌ تستديرُ على العُصنِ طامعةً في النجاةِ  
فتهربُ من أمنها للخَطْرُ  
/طلقةٌ في الشَّجَرِ/ طلقةٌ بيننا . .

\* \* \*

جسمي يعرفها بمنطقِ جسمها ويدلُّها عما بداخلها  
وهي التي تعطي لأوصافي ملامحها  
وكأنا - باللمس - مكتشفان  
تَهْمِرُنَا مجاهيلٌ ونُطْلُقُنَا كمدعورين  
نحو غوامضِ فينا نُوضِّحُها  
وَنَسْتَهْدِي على أسرارِ جسمينا  
فنكتُمُها ونفضحُها  
جَسَدَانِ كُلُّ مِنْهُمَا يحكي بلهجتهِ  
فتصعدُ فيهما لغةٌ لها الأوها  
من تَأْتَاتِ الكَفِّ حتى شهقةِ الكتفينِ  
حتى غمغماتِ النَّمْلِ فوقَ عَمُودِنَا الفُورِيِّ  
من يُقْصِي صفاتِ زماننا عَنَّا، ويحمينا؟  
فلسنا اثنين في قمرٍ خصوصيِّ  
نريدُ سقوفنا وبلادنا، ونريدُ بيتنا  
كي يعرفَ جسمها جسمي بلهجتهِ  
فهل لا بُدَّ من خَوْضِ المَعَارِكِ كي تكونَ  
لرِيشَةِ الروحينِ رِيشَتُها  
وكي تصفو نقوشُ الوَقْتِ ثَانِيَةً  
بفسنقها وألئكها وفضتتها،  
ونخلعُ عن أمانينا بلاهاتِ التمنيِّ  
ثم نطْلُقُها  
وهل لا بُدَّ من خَوْضِ المهالكِ كي ننالَ الحقَّ  
في كسلِ الصباحِ وفي التثاؤبِ في سريرِ الجدِّ  
في تحديدِ عَطْلَتِنَا،  
وحقَّ وقوعونا في أفدحِ الأخطاءِ

حقّ اللّهُو والتجوال،  
حقّ كتابة الأشعارِ دون خنادقٍ تكتنظُ بالأعمارِ  
حقّ الإختلاف مع الحبيب، مع الرّعيمِ  
وحقنا في الموتِ بالأمراضِ  
حقّ النارِ بالأخشابِ  
حقّ البابِ بالمفتاحِ  
حقّ الجدِّ بالأحفادِ  
حقّ البحرِ بالأمواجِ  
حقّ العاشقينَ بما ستفرضُهُ مساماتُ الهياجِ  
وفي إطاعةٍ لا أحد؟

\* \* \*

غرّفُ الرّوحِ تكتنظُ بالكائناتِ الشريدةِ  
حيثُ السجاجيدُ تُلقى من الشرفاتِ  
وحيثُ المصابيحُ والعتباتُ وأبوابُها تتهاوى بصمتِ  
وصوتُ يصيحُ بقلبي، سَقَطْنَا،  
وصوتُ يصيحُ بقلبي، قِيَامُ!  
أواخر ١٩٨٥ / أوائل ١٩٨٦

قصائد الرصيف  
بيروت ١٩٨٠

الإهداء  
إلى رضوى عاشور



## الشُّرفة

شُرْفَةٌ واسعةٌ قَرَبَ المحيطِ  
وضبابُ الصبحِ يأتيها بلونِ  
ورذاذِ الليلِ يأتيها بلونِ  
وصِدَامِ الصخرِ والأمواجِ لا يتركها للنومِ أو للإرتياحِ،  
شُرْفَةٌ أنْسَهَا الموجُ، وما زالت تخافُ الموجَ  
هذا هُوَ قَلْبِي

\* \* \*

شُرْفَةٌ واسعةٌ قَرَبَ الجبالِ  
يَشْرَبُ العالَمُ فيها قهوةَ الصبحِ  
وتستأذِنُ منها الومضةُ الأولى لقرصِ الشمسِ  
أنْ تعبرَ أسوارَ المدينة،  
فَمَنْ استعدى عليها الضوءَ حتى فاجأتها  
طلعةُ الصبحِ بغيِمِ  
وبقرصِ داكنٍ يطلع من خُلفِ الجبالِ؟  
شُرْفَةٌ لِامْرَأَةٍ  
شُرْفَةٌ لِلأصدقاءِ  
شُرْفَةٌ يَسْقُطُ فيها كُلُّ غصنِ كسرتِهِ العاصِفةِ،  
ورفوفِ الطيرِ هل تبحثُ فيها عن حُبوبِ؟  
هل هي الغابةُ؟ من يركضُ فيها؟  
مَنْ على أطرافها الكثةُ ليلاً يستغيثُ؟  
ها هم الأطفالُ فيها قد تَمادوا في النزاعِ  
يطرحون الأسئلةَ  
ويموتون ويحيون وأيضاً، يطرحون الأسئلةَ  
هل هو الهمس الذي خافَ  
فأضحى صاخباً؟  
أم هو الصوت الذي خافَ  
فأضحى هامساً؟  
ومن القادم نحوي  
هادئِ الوجهِ وممدودِ اليدينِ؟  
هل أرى طيفَ صديقي  
أم أرى طيفَ عَدُوِّي،  
أم هي المِرْأَةُ وانشَقَّتْ بكفِّي قطعَتينِ؟

\* \* \*

شُرْفَةٌ تبحثُ عن منزلها المهْدومِ  
هذا هُوَ قَلْبِي.

## قصيدة الرصيف

سكونٌ مفاجئٌ  
وفي أسفلِ الجدولِ الضحلِ  
نام الحصى مُتعبًا،  
ضِفَةٌ، عُشْبَةٌ، جسدٌ، وارتطامٌ  
وخيطانٍ من دَمِهِ  
والرياح التي وعدت أهلها بالهبوب العظيم  
تحطُّ على الأرض خافتةً  
كقطارٍ يحاذي الرصيف قبيل الوقوفِ  
وأهمسُ:  
هل ضيعتنا الطريقُ الطويلةُ؟  
أم أننا قد أضعنا الخُطى؟  
هل هو القصدُ؟  
أم أن بين النوايا وبين اليدين  
هواءٌ بعيدًا، وهذي الدماء القريبة؟  
سؤالٌ  
يواجه هذا الصقيع وحيدًا  
وتهمسهُ النفس للنفس  
بين الحدود التي راوغتني  
وبين المدى والركامِ  
هو الهول في أوجه، والسؤالُ  
يلجُّ على النَّفسِ:  
من أين أبدأ ثانيةً، بعد هذا الختام؟

\* \* \*

سكونٌ يفاجئُ غيري  
قطارٌ يغادرني  
واقفًا، في اختلاطِ الرصيفِ  
بقربىِ أحمالٍ عمري،  
مكثتُ على جانبٍ من رصيفي طويلًا  
فصرت رصيفًا، وأنهكتُ تحت اختلاط الخطى  
سينقضُّ هذا الصقيعُ عليَّ  
وهذا الجفافُ  
يصارع روعي:  
(سأحمل روعي على راحتي)  
(وألقي بها في مهاوي الردى)  
(فإما حياة تسرُّ الصديق)

وإما ممات يغيظ العدى)  
لعمرك هذي حياة «تغيظ الصديق»  
وهذا ممات «بسر العدى»  
لأن «الحكومة» تحمل روجي  
وتلقي بها في مهاوي الردى.

\* \* \*

مناخ يباغت من يطمئن إلى صخوه  
وماء كثير، وحبل تنصل من دلوه  
فمن سوف يسقي؟ ومن أين يسقى  
سأسأل حتى يكون الجواب  
وأسأل حتى أكون الجواب  
فهاتي يديك امنحني زماناً جديداً  
وهاتي يديك لأعطيك مني زماناً جديداً  
ولا تتركيني على ضفة الماء ملقى  
فئننت بك الآن، سيدتي،  
مثلما دائماً، ترقين مثل السراج الوحيد،  
وتفسين ثم تصيرين شمساً  
لك الكُل، والكُل منجذب في مدارك  
حتى تلاقى عليك النفاضة في أوجها  
حُلوة مرّة، مرّة مرتين  
فمن سوف يُفليتك منك؟ وأين؟  
رمانا جفاف مفاجئ  
ونام الندى في مساء مفاجئ  
وران سكون مفاجئ  
ولا شيء عندي مفاجئ

\* \* \*

ويا حلوتي نحن لسنا سواء  
وما أنت محبوبة للجميع  
ولكن منا حبيباً  
رماه الرصيف إلى بعض هذا الرصيف  
ومنا حبيب دعي  
ومنا حبيب عدو  
ومنا رجال البلاط  
ومنا يد  
لاختبار السياط  
على ظهرك المتوجع/باسم المحبة  
أشهد أني أحبك

لا للجمال ولا للقداسة  
لا للأمومة لا للحنين  
ولكن  
لأنني إذا لم أحبِّك، متُّ على الفور  
فوق الرصيف  
١٤/٥/١٩٧٨

## السِّيَاح

بعيدًا عن الوطن الممكن المستحيل  
قريبًا من الساعة المفزعة  
فَنِّي سَاهِمٌ:  
«يا بلاد الحنان قسوتِ عليَّ  
وحَمَلْتِنِي اللهجة الموحجة  
وحَمَلْتِ رِيحِي معادنَ نذرِ ثقيلِ  
ولم تبصريني نسيماً تموج مناديلهُ  
أدوبُ بغصنِ يرفُ،  
أموتُ على جيدكِ المتعالي  
وحين تمرُّ البناتُ أدوبُ هوى.  
ويثقلُنِي جَبَلٌ أرْتقيه إِلَيْكِ  
وتثقلُنِي قطرةٌ من نَدَى.  
أنا الكاسرُ المستنْفِرُ الذي يرهبونُ،  
وتأبى المدينةُ أن تسمَعَهُ  
وما علموا  
أنتي أطلقُ النارَ كي لا يهبَّ عليَّ البكاء»

.....  
بعيدًا عن الغرفة الدافئة  
قريبًا من الانفجار الوشيك  
وفي داخلِ اللحظة المفزعة  
فَنِّي  
مالٌ للأرض، مخترفًا بالرصاص  
ومال السِّيَاح مَعَهُ.

٣٠/٤/١٩٧٨

## السّاحة

ساحةٌ في أولِ الصبحِ  
مظلاتُ المحطاتِ، وبعضِ الواقفينِ  
رقمٌ للباصِ، تخطيطٌ لأقدامِ المشاةِ  
صحفِ اليومِ، وأولادٌ حُفاةِ  
ألّفوا بعضَ العناوينِ  
ويَعُدُّونَ إلى كلِّ اتجاهِ  
الحوانيتِ الكبيرةِ  
لم تزل أفعالها تغفو بإهمالٍ  
كجرذانٍ قتيلةِ.  
قام شحاذون من نومٍ قصيرٍ في الزوايا  
ثم ضاعوا في هديرِ الحافلاتِ  
ينحني الطاعنُ في السنِّ على بعضِ لفافةِ  
ويسيرُ..  
يركضُ الشابُ الذي ألصق منشورًا  
على الحائطِ،  
والصمغُ يغطِّي راحتيه  
تكبر الشمسُ على الشرقِ  
ويزدادُ وضوحُ اللافتاتِ:  
مكتبٌ للإستشاراتِ، محامٍ، وطبيبٌ،  
قارئُ الكفِّ، ومقهى، بنكُ روما  
بنكُ شيكاغو، وسيطٌ للعقاراتِ  
وملهى العائلاتِ،  
وعلى طولِ جدارِ «السينما»  
يقفُ «الكاوبوي»  
والكفّانُ فوقِ الخاصرةِ  
وعلى مدخلِ دربِ جانبي  
يقفُ الخادمُ في الصفِّ أمامِ الخضراواتِ  
ثم.. يشتدُّ الزحامُ  
وتمرُّ الشفروليه  
ويمرُّ الجنرالُ

... ..

إنه مطلع يوم عربي!

٣١/٣/١٩٧٨

## القبائل

قبائلنا تسترد مفاتها:

خيَّامٌ خيَّامٌ

خيَّامٌ من الحَجَرِ المستريح، وأوتادها مرمرٌ أو رخام.  
نقوش على السقف، والورق المخمليُّ يغطِّي الحوائط،

والصور العائليَّةُ و«الجيوكاندا»

تحاذي حجاباً لردِّ الحسود،

بقرب شهادة ابنٍ تخرَّج في الجامعة.

إطاراتها دَهَبٌ يعتليه الغبارُ.

خيَّامٌ، ونافذةٌ من زجاج

هي الفخُّ ترتعدُ الفَنَيَاتُ المطَّلَاتُ منه

إذا ما الصغيرُ وشى للكبارُ.

بخارٌ من الشاي يصعد، صودا وويسكي،

«ولا أستسيغ النبيذ» و«معذرة»،

هل نجحتَ مع الزوجة الرابعة؟»

خيَّامٌ خيَّامٌ

تضيء الثريَّات فيها الأثاث الوثيرَ

ويمرِّحُ فيها ذبابُ الكلامِ

وأبوابها من نحاسٍ تُجرُّ عليه السلاسلُ

قبائلنا تسترد مفاتها

في زمان انقراض القبائل

١٧/٤/١٩٧٨

## هُم

جَفَّتْ

فلا ثمرٌ على شجرٍ  
ولا عشبٌ على نهرٍ تخضَّرُهُ الضِّفَّافُ

جَفَّتْ

سقيناها نفوسًا والعلاقاتِ الجميلةِ والأحبَّةِ والطفولةِ  
وانسكَبْنَا

قلنا: نكون لها الغمامة، وانسكَبْنَا

نسقي، نوزع ماءنا/دَمْنَا

ونحلم بالمواعيدِ البعيدةِ والقطفِ

فإذا بها سبَعُ عجافٌ بعدها سبَعُ عجافٍ

هل من مزيدٍ تبتغين هطولهُ؟

من أين سمَّنتهم إِذْنُ؟

... لسنا نعاتبُ

نحن من جننا خفافًا - لا مغانمَ نُثَقِّلُ الأكتافَ - ندري

أنَّ سرَّكَ أخضرٌ،

لكنَّ من سرقوا الغمامة،

عاتبوكِ على الجفافِ

١٧/٤/١٩٧٨



## زقاق

زقاقٌ طويلٌ  
كتبنا على حائطيه: «نسيرُ إلى ساحةٍ»  
وغنى المغنون فيه الفضاءاتِ  
والشمسَ والبحرَ والأسلحةَ.....  
فيا ساحةَ الأضرحةِ!  
كفالكِ اتساعاً!  
ويا عمرنا امتدَّ، يا أهلَ أطفالنا  
أرضعوهم حليباً كثيراً،  
أعدُّوا لهم ما استطعتم من الضوءِ  
أبقوا لهم كلَّ عودِ ثقابٍ  
وخلُّوا القناديلَ، والزيتَ  
فالليل ينوي الإقامة فينا طويلاً.

٥/٥/١٩٧٨

## احتمال

أتمّوا مهمّتهم

أفقدوه فوّاه.

وما قال آه.

ولما استعادوا فوّاهم،

وعادوا إلى الجولة الثالثة،

رأوه يحاول أن يفتح الفم لكنّه ما استطاع

ومات

فهل كان، لحظّتها، يحاول

أن يتّقيهم، ويصرخ «آه»؟

١/٤/١٩٧٨

## خدعة

قالوا له: إن المدينة التي تُريدها  
تَبْعُدُ ألف ألف فرسخٍ  
فسار ألف ألف فرسخٍ وراءهم  
ولم يجدْ مدينةً!  
تفرستْ عيناه في وجوههم  
أراد أن يلومهم  
لكنه  
لكنهم  
كانوا - جميعًا - يلفظون آخر الأنفاس.  
٣/٤/١٩٧٨

## وردة

فاجأتنا الطائراتُ  
اقتربنُ  
وأنحفَصنُ  
ومَضنُ مبتعدة.

.....  
قريبة؟ أم جنة؟

جنة؟ أم جمرة؟

ماتت الأحجار والأشواقُ ماتتُ  
وعلاقاتُ المحبين، ولم تنجُ الدجاجاتُ  
ولا الماعزُ فوق التلَّة الجرداءِ  
لكن:

في ركامِ المشهدِ الموغلِ في الصمتِ  
وفي الريحِ التي تصفر من حينٍ لحينٍ  
فاجأتنا

وردةٌ منفردة!

١٣/٤/١٩٧٨

## ظلام

مَن الجميلةُ التي تُلحُّ كي ترى وجوهنا؟  
وتحفظُ الملامحَ المحدَّدة،  
الشَّعرَ والجباةَ والعيونَ والشفاهَ  
والملامحَ المحدَّدة؟  
أما ترينَ شدةَ الظلامِ يا سيِّدتي؟  
أما ترينَ أننا نموتُ في سبيلِ شمعةٍ  
لعلنا في ضوئها نراك؟

٧/٤/١٩٧٨

## تحضير

هذا أوان «الوشوشة»  
هذا أوان الساعة التي تنازلت دقائقها  
عن بهجة الرنين  
لكن قلبها يدق دائماً  
أوان من يزور في المساء  
ويدعي - أمامهم - بأنه قضى المساء نائماً  
أوان بضعة من الرعوس قد تقاربت  
في كل حارة وكل حي  
وراء باب مغلق  
وموعد مدير بدقة  
واستغرقت في «الوشوشة»  
سيروا حفاة كاللصوص في مداخل البيوت  
وقلّوا أخباركم  
وكتروا أسراركم  
فوشوشوا ووشوشوا  
وليكن الصراخ من نصيبهم  
في الساعة التي تدقُّ عاليًا  
كان  
صوتها  
علم.

٨/٤/١٩٧٨

## إلحاح

تعال الآن  
نعم، في هذه الليلة!  
تسلل من أزقتنا  
ومرّ على مخاوفنا، مجاعتنا،  
على جنديتنا المجهول، مرّ على شرود عيون  
صبيبتنا، على أرجوحة الصبر  
التي تعلقو  
وتهوي  
بين أيدينا، ومرّ على مواجعنا  
فواجعنا، قصائدنا. ترددنا  
وضعها كلها في كيسك الخيشي  
ثم اركض بهذا الليل، واقذف كيسك  
المكتظ، فجز ما به فينا  
وفرقتنا، كما لا بد أن تفعل،  
وجمعنا، كما لا بد أن تفعل،  
تعال وبعثر الأسرار بين «رعاع» هذي الأرض/أحلى أهلها  
انشرها على «الدّهماء»/هذا اللؤلؤ البشري  
يا زمني، تعال الآن  
نعم، في هذه الليلة  
وحيث غيابك الدهريّ مكتمل  
ونحن نهبيّ الطرقات كي تأتي  
فهل تدري كم اغتال الردي منا  
وكيف يساند المجروح مجروحاً  
لكي نبقى على قيد الحياة لساعةٍ أخرى؟  
وتعلقو خلف هذا المرمر العربيّ  
حفلة أهلنا القتلة؟  
تعال الآن!  
نعم، في ذروة الحفلة  
نعم، في هذه الليلة.  
٣٠/٣/١٩٧٨

## ندم

ولمّا خرجتُ لألمسَ أعشاب بريّتي في المساء  
تجمّع حولي خلقٌ كثير  
... نسيثُ التفاصيلَ لكنتني  
أذكر الآن  
أني ضُربتُ  
وسال دمي في التواء الطريق  
وميّزتُ بعض الوجوه، تذكرتُ أنّي  
أنا - بيدي - كنتُ أعطيتُهم في زمان الصداقةِ  
بعضَ الذي ضربوني به  
وأذكر أنّي ندمتُ  
وما زلت رغم التوجّع والنزفِ  
أرغب في لمس أعشاب بريّتي  
في المساء  
وما زال حولي خلقٌ كثيرٌ  
وعينٌ تراقبني في الخفاء.

٩/٤/١٩٧٨



## اشتقاق

لغة تنهارُ فينا  
والقواميس الجديدة  
أنشبتُ في لحمنا إيقاعها الموتى  
تمحو ما كَتَبْنَا  
يا اغترابِ الألفةِ الأولى  
تبدَّى الآن ما كان معمى  
زاغتِ الأجسامُ عن أسمائها  
ونأى عن إسمِهِ كُلُّ مُسمَى  
لغةُ نهارٍ فيها  
والبداياتُ لها طعمُ النهايةِ  
صار للموت الذي يطلبنا عشرون إسمًا.

٤/٥/١٩٧٨

## يقين

بطيئةً يد المساء وهو يغلق الأبواب،  
بطيئةً يد الفتاة وهي تغلق النوافذ،  
وتسحب الستائر الثقيلة،  
وتجمع المنافض التي تراكمت بها الأعقاب.  
تدنو بوجهها من المرأة لحظةً  
«تأخروا.. تأخروا كثيراً»..  
عادية دقائق ساعة الجدار  
بطيئةً خطواتها إلى سريرها  
وباردٌ هو المساء  
وملمسُ الملاءة.  
تشدُّ فوق جسمها الغطاء،  
وتترك الحجرات كلها، مُضاعةً.

١٥/٤/١٩٧٨

## سهرة

سأوقظُ هذا المساءَ شهيدًا من القبرِ  
أصحابُهُ في شوارع هذي المدينة،  
سأبقي عليه الدَّم المتخثِّر والوجع المستديم  
وذكرى احتياج، وذكرى التخلّي  
وأبقي بأذنيه صوتَ الرصاص الذي  
رجَّه رجَّه رجَّه  
ثم أرداه فينا وأقصاه عنَّا  
سأسندهُ

بذراعي وأوقفكم:

«حدِّقوا فيه

هل تجرؤون؟»

وأعلم يا إخوتي أنكم تجرؤون  
وتستكملون التزيُّنَ للسهرة التالية.

٦/٤/١٩٧٨

## استثناء

جميعها تصل  
النهر والقطار.  
الصوت والسفينة.  
الضوء والرسائل.  
برقية العزاء.  
بطاقة العشاء.  
حقيبة السفارة.  
مركبة الفضاء.  
جميعها تصل/لكن خطوتي إلى بلادي..

.....  
١٢/٤/١٩٧٨

## ملاذ

قاسمینی تعبی یا مُتَعَبَة  
إننی أحتاج صدرًا موجعًا أبکی علیه  
إنَّ بی - مثلك - شیئًا من زجاجِ  
و صدور المطمئنین رخامُ  
نحن لا نشکو لمن أضعفنا  
ضعفنا.. سیدنا  
قاسمینی تعبی یا مُتَعَبَة  
فالذی یشکو إلى الأقوی  
یذلّ

١١/٤/١٩٧٨

## لمسة

جَمَعَتْ بِكفِهَا الحنان من الحقولُ  
نثرته في شِعري وفي صدري  
كما فلاحَةٌ نثرتُ إلى سربِ الطيورِ شعيرَها  
صوتٌ يجيءُ من البعيدِ إليَّ  
تقتربُ المسافة، إنَّه الخطرُ الجميلُ  
من فرطِ رقتِها أقول، فسَوَّتْ،  
لا يتحملُ الجسدُ المعذبُ  
بحر رقتك الذي يأتي بفيروزاته ليلاً إليَّ  
ومدُّه حبُّ يموجني ويغمُرُ قامتي فرحاً  
وعند الجزر يسحب خلفه تعبي الطويلُ.

١٢/٥/١٩٧٨

## علاقة

يدها اليمنى على نافذة الباص البطي.  
كانت المرأة في استغراقها الموجل  
لا تبصرني،  
غير أنني، عندما أو غلُتُ  
في استغراقِي الموحش  
ألقيتُ برأسي، هادئًا  
في كنفها اليسرى...  
..... توجَّسْتُ  
وظلت هادئة!  
ساعةً أو ساعتين  
لم تباعدُ كنفها عني،  
وظلت هادئة.....!  
وافترقنا في الشوارع.

٤/٤/١٩٧٨

## طير دافئ

بين التماعات العيون وبين تسليم اليدين  
بين اختلافات الأحبة  
واختلاق مبررٍ للصالح بعد دقيقتين  
بين ابتسامتك الجميلة والغضب  
بين المواعيد الشهية والتعب  
ومن التلاقي للرحيل  
ومن العناق المرتجى حتى العناق المستحيل  
سأظلُّ أدعوك: اغمريني بالحياة  
كأنما جسدي حصاةٌ  
وحدها  
مغمورة بمياه آلاف السيول

...  
في لحظتين أكون جدًّا هادئًا  
وأكون طفلًا نافرًا  
وأكون أنثى عاشقة  
وأجيء، بين تعدد الحالات، نحوك  
مثل طيرٍ دافئٍ ملَّ السَّفرَ.

٣١/٣/١٩٧٨



## منجل

تواصلنا، تواجنا، حكينا  
بكيث، بكت، ولكنا هداونا  
وفي شغف  
تلامسنا كسنبلتين  
في حقل بعيد  
وفي صمت تبادنا العناوين البعيدة  
وافترقنا.

١١/٤/١٩٧٨

## انفرادي

من الذي ينتظر الوحيد؟

في الغرفة الوحيدة؟

حيث الملابس المبعثرة

والمقعدُ المحدّد الزوايا

ولوحةُ التقويم في الجدار

مائلة، وتحتها منفضة مكتظةٌ

وكوب ماء

من الذي ينتظر الوحيدُ

في الغرفة الوحيدة،

حيث السرير مكتفٍ بذاته

وحيث قرر المساء أن يجيء كل يوم؟

١/٤/١٩٧٨

## جَسَدُ

مثلما المنزل عند الفيضان  
جَسَدِي تحتلُّه الفوضى  
فمن أحكم أفعالي عليّ؟  
هل ترى يا صاحبي بابًا ثقیلاً  
حشد الأطفال أكتافاً  
فأعيانهم وما زالوا يريدون الدخول؟  
هل ترى في الجانب الآخر  
أطفالاً وراء الباب،  
أعيانهم، يريدون الخروج؟  
كلُّ هذا جَسَدِي  
أه، من أحكم أفعالي عليّ؟

١٢/٤/١٩٧٨

## اشتہاء

حزامه الجلدی  
معلقٌ علی الجدار  
حذاؤه المتروکُ صار یابسًا،  
قمصانه الصيفية البیضاء  
لم تزل تنام فوق رِفِّها،  
أوراقه المبعثرة  
قالت لها: سیمعن الغیاب  
لكنها هناك لم تزل علی انتظار  
ولم یزل معلقًا  
حزامه الجلدی  
وكلما مضى النهار  
تحسَّستُ خاصرةً عاریةً  
واستندتُ إلى الجدار.

۳/۴/۱۹۷۸

## الشجرة

وحشيةً، عاليةً الأغصانُ  
مكتظةً بالثمر الطيبِ والديدانِ والأولادِ  
وبالطيور الآمنة  
وبالأفاعي الكامنة  
زاهيةً، وإذ تشاء داكنة  
ساكنةً، وإذ تهبُّ الريحُ ماجنة  
تشققها رصاصه الصيادُ  
نُفدُ من أعوادِها الراياتُ والمشانقُ  
ويحتمي بها اللصوصُ والعشاقُ والفلاسفةُ  
والملكُ المطرودُ من سلطانهِ  
في ليلةٍ جاحدةٍ وعاصفةٍ  
لكنني وقد تشابكتُ أغصانها عليّ  
عهدتها لا تمنح الأمانُ،  
أعلنتُ خوفي للفتى الصغيرِ  
إذ لمحتُ راحتيه  
ممدودتين نحوها.....  
لكنني أراه راکضًا  
يريد أن يعانقَ الأغصان!

١٣/٤/١٩٧٨

## تميم

نما واحتمى بالجمالِ وأجَلَ حَوْفي  
وعاجَلَنِي الشوقُ فِي بُعْدِهِ  
وأصدقُ لو قُلْتُ إِنَّ النوافِدَ  
والضوءَ والعشبَ تشبهُهُ  
وإنَّ القصائدَ لا تستطيع اللحاقَ بِهِ  
فما زال يعدو ويعلو  
وللشعر عكَازتان!

١٣/٦/١٩٧٨

## أرْكُضْ نَحْوَكِ .. أَرْكُضْ مَعَكَ

كَبُرْنَا عَلَى مَفْرَقٍ بَيْنِ مَنْفَى وَمَنْفَى  
هَوَتْ مِنْ يَدَيْنَا الطُّفُولَةُ عِنْدَ اخْتِلَاطِ الدَّرُوبِ  
كَمَا تُسْقِطُ الرِّيحُ شَمْسِيَّةً فِي الْهَبُوبِ الْمَفَاجِي  
هَذَا انْعِطَافِي إِلَى مَا سَيَبْقَى  
وَمَا يَغْلِبُ الرِّيحَ، حُبِّكَ  
هَذَا الَّذِي لَا يُرَدُّ وَلَا يَتَمُوسَمُ، كَيْفَ  
اسْتَطَالَتْ بِهِ قَامَتِي، يَا سَقُوفَ الْمَنَافِي  
- وَأَنْتِ الْخَفِيضَةُ -

نَجَّرْتُ نَافِذَةً فِي سَمَائِي،  
وَأَطَلَلْتُ نَحْوَ الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ  
نَحْوَ تَرَابِ الْوِلَادَةِ، نَحْوَ الْوَجْهِ الرَّفِيقَةِ  
قَلْتُ: الَّذِي سَوْفَ يَأْتِي سَنَاتِي بِهِ أَوْ  
تُعَيِّبُهُ، هِيَ ذَاتُ الْيَدَيْنِ  
تَدِيرُ الْكُؤُوسَ فِيمَا لَمُوتِ يَلْحُ  
وَأَمَّا لِشَهِدٍ يَصِحُّ بِهِ كُلُّ ذِي عِلَّةٍ،  
هِيَ ذَاتُ الْيَدَيْنِ تُمَدُّ لِتَعْلِقَ نَافِذَةً أَوْ  
لِتَشْرَعَها لِأَخْضِرَارٍ فَسِيحٍ وَتَلْوِيحَةٍ مِنْ أَيْدِي  
وَهَذَا انْعِطَافِي تَجَاهَ يَدَيْكَ  
أَنَا الرَّاكِضُ الدَّهْرَ نَحْوَ التَّفَاصِيلِ:

عَنَوَانَ بَيْتٍ، وَسَقْفٍ، وَضَيْفٍ، وَجَارٍ يُزَارُ  
وَمَشْوَرَةٍ فِي شَوَارِعِ تَقْبَلُ خَطْوِي عَلَيْهَا  
وَأَنْ يَطْرُقَ الصَّاحِبُ الْبَابَ لَا شَرْطَةَ اللَّيْلِ  
لَمِّي عَلَيَّ رِدَاءَكَ

وَلِتَنْشُرِي خَضْرَةَ الْأَرْضِ حَوْلِي  
أَخْبِيَّ خَطَايَ وَخَضْرَةَ جَسْمِي فَيَعْمُونَ عَنِّي  
وَنَكْمُنُ حَتَّى نَوَاصِلَ هَذَا الطَّرَادِ الطَّوِيلِ.  
أَرَانَا تُلَاجِقُ مَا لَا يُنَالُ بِعُمَرَيْنِ  
فَاسْتَعْرِقِي فِي خَطَاكَ  
لِنَسْتَأْنِسَ الْوَقْتَ

يَا حُلْمًا يَرْتَدِي ثُوبَهُ فِي الصَّبَاحِ  
وَيَشْرَبُ قَهْوَتَهُ مِنْ يَدَيَّ وَمَنْزَلَهُ مَنْزَلِي  
وَمَا ضَاعَ نَمَشِي إِلَيْهِ سَوِيًّا.

## دائرة

اكبري يا دائرة  
لامسيني واجذبيني لاتساعك  
وأحيطي بي ودوري وخذيبي في مدارك  
سبعة العالم ضاقت بي وضاقت  
فرماني  
مثلما العين رمت قطرة دمع واستراحت  
فاكبري يا دائرة  
اكبري بي  
وسأدعو العالم الواسع  
أن يدخل في جسمي النحيل.  
١٢/٤/١٩٧٨



## حديقة

أنت لا تبصرها  
حفرةً للموت بعد العتبة،  
كيف لا تبصرها؟  
حفرةً للموت يخفيها ارتفاع العشب  
هل تبصرها؟  
لست ريحًا أيها المثقلُ  
حتى تتفادى السقطة المرتقبة  
أيها الموعِل فيها  
أيها المُحجِم عنها،  
أيها المطرودُ منها،  
أيها الطاعنُ في الحقّ وفي الشوق إليها  
أنت يا مالك هذه الجنة المستلبة  
أنت لا تملكُ إلا أن تكون  
حيث يأتياك الخطرُ  
أو  
وحيدًا تذرِفُ العُمَرَ أمام العتبة.

١٢/٤/١٩٧٨

تحرّر

الآن حُرّاسي جميعًا هَجْرُونِي،  
إنها حريتي والموتُ  
جاءاني معًا.  
١٢/٤/١٩٧٨

## قيد

لمثل هذه الحياة كان ينبغي  
أن يولد الإنسان  
وكفّه بحجم تلة  
أكتافه بحجم تلتين  
لسانه بحجم ساحة  
عيناه ألف عين  
خطوته بألف ميل  
لكننا كما ترون - هكذا -  
والموت وحده سيسقط القيود،  
أو يوقظ السؤال  
٥/٤/١٩٧٨

( ! )

لأننا نعيش ما نعيشه  
لأننا نرى الذي نراه  
لأننا نفعل ما نفعله  
سأنبش الأوراق كلها  
صحيفة قصيدة، مقالة، رسالة ونشرة، وخطبة  
أزيل منها كلها  
علامة التعجب.

٦/٤/١٩٧٨

## النافذة

يمدُّ يدًا.. ويزيحُ الستارة:  
بعضُ الندى عالقٌ بالزجاج  
وشرخٌ يميل كقوسِ المحاربِ  
تخطفُ عينيه حنونةً في ابتداءِ التفتُّحِ  
بيضاءَ صفراءَ وسطِ اخضرارِ الحشيشِ  
الذي موجَّته الفَراشات بالرقصة الفاتنة  
وبعضُ العصافير تصطف فوق السياجِ  
كمستقبلين استعدَّوا لمقدمِ ضيفٍ  
- تباغته بالفرار المفاجئِ  
ثم تهتز كافورةً بالنشيدِ  
وكان رذاذُ الصباح يبوح بألوانه الغامضاتِ  
وما كان أخفاه شيئاً فشيئاً تجلَّى  
تلوح خطى الباكرين إلى الرزق مثقلة بالتعودِ  
لكنها مسرعة  
ويسمع شيئاً يداعب طفلاً  
وأيًا من الذِّكر يُتلى بمذيع مقهى بعيدٍ،  
تغني العصافير أعلى  
ويختلط الظل بالضوء بين الغصونِ  
هو الكون يُعلنُ فتنته  
أراد النزولَ فَعَطَّلَهُ جُرْحُهُ من جديدِ  
أزاح الضماد قليلاً، فأوجعه، ثم أرجعه،  
ثم عاد يطل من النافذة:  
رأى داخل القفص المعدنيِّ على شُرْفَةِ الجارِ  
أنَّ الكَنَارَ يحاول شيئاً.  
وعند انحناء الطريقِ  
رأى بضعةً من رجالٍ يجرون شخصاً  
- وقد قيده -  
(وكان يحاول أن يتقي ضربهم بالصراخ)  
وأبصرهم حين ألقوه في الشاحنة

.....  
يمدُّ يدًا، ويشدُّ الستارة،

يومٌ.. جديدٌ..

٢٤/٤/١٩٧٩

## قصيدة الثلج

للأفق لونٌ هَجَّ مَنْقَلَتًا من القاموس  
للتلآت أزرُقها الدخاني المموجُ  
لم تُصَوِّرَ ما يشابهه يدُ.  
للغيم لونٌ جاء من مصهور آلاف الخواتم والأساور  
ثم شَفَّ وفرَّ من أشكاله الأولى  
فهذي غيمة روحٌ، وهذي غيمة جسدُ.  
لشوارع الإسفلت دُكْنَتْهَا،  
وللشرفات بهجة وردها اللهبِي،  
للغابات أخضرها وأصفرها وذاك البرتقالي  
المعشوق بالأشعة إذ تمرُّ على الغصون يدُ الهواءِ  
وللبرونز على القباب الطاعناتِ  
توالد الفيروز من مَطَرِ القرونِ  
وعلى قراميد السطوح يميل ذاك المشمشي معنقًا  
وعلى امتداد الأرصفة  
لمعاطف الجدات لونُ الكستناء...  
ودَهَبَتْ إذ كان الخريف ملوحًا  
يدعو بأطراف المناديل السماء:  
هاتي ثلوجك وانشريها في المدينة  
والمدينة لم تكن وطني، بردتُ  
وظلَّت النُدْفُ الصَّغيرة كالطيورِ  
تُنقِرُ الألوانَ في دأبِ  
وتترك فوقها هذا البياض المستتبَّ توحدًا وتوحشًا  
وكان ألوان المدينة مثل آلاف النوافير المضيئة في الظلام  
ومدَّت الدنيا يدًا لتقصَّ سلك الكهرباءِ.  
وبعيدة أنتِ  
استطاعتك المسافةُ  
في بلادٍ تستفرُّ بنا المحبَّة والأسى،  
في البُعدِ، ندنو من دواخلها  
ونُدْخُلُها، فتُبْعِدُنَا وتبتعدُ.  
وأنا استطاعتني الخرائطُ كلُّها،  
من موطن شهد انهدامي قبل تسميتي  
إلى كل المنابذ/كلما ركزتُ خيمة يومنا التالي  
تطيحُ بها الرياحُ، ويُفْلَعُ الوتدُ.  
غادرتُ/ثلجٌ في المدينة  
والمدينة لم تكن وطني

برَدْتُ، كأنني في الأرض واجِدُها  
وروحي، وحدها، في الثلج تَنَقَّدُ  
أَتَعَبِّتِي يا دورةَ السَّنواتِ في البَلَدِ الغريبِ  
أَتَعَبِّتِي يا دورةَ المِفْتاحِ في البابِ الذي ما خَلْفَهُ أَحَدٌ.

١٨/١١/١٩٧٩ بودابست

## قتل

مرَّ الرصاصُ من الغصونِ  
ذَهَبَ الرصاصُ إلى الرئةِ.

\* \* \*

الأحمر العفويُّ يسري في اخضرار العشبِ  
يا زمنًا من الموت العجولِ  
جعلتنا جيلًا قليل العمرِ  
كلُّ رصاصيةٍ قبرٌ نحاسيٌّ صغيرٌ  
ذاهبٌ نحو الجذورِ

\* \* \*

وَقَفَ الفتى في شبه جملته القصيرة عن خلاف الرأيِ  
أَكْمَلَ شبه جملته وباقي العمرِ ما بين السجونِ.

\* \* \*

قال الفتى شيئًا عن الطبقات،  
أُسْكِتَ،  
غير أنَّ بقيةً من جسمه عثروا عليها  
(بعد آخر غارةٍ)  
مدفونةً تحت السقوفِ

\* \* \*

مر الرصاص من البنوك  
ذهب الرصاص إلى الرئةِ

٢٧/٨/١٩٧٩



## مَسْؤُول

يده تُمَوِّجُ رغوة الصابون، تبعث عطرها  
يده تشدّب شاربيه أمام مرآة أنيقة  
يده تعدّل ربطة العنق الحريري على القميص الأبيض الرسميّ  
ينتصف المثلث لا يميل إلى يمين أو يسار  
ويمدّها للسكرية،  
قطعتان ونصف قطعة  
ويقلب الشاي المعطر، ينتهي،  
ويقبل البنت الصغيرة والفتى  
ويضم زوجته، وتعطيه الحقيبة  
قال «والمنديل»  
رقت عينه اليمنى وصار الأبيض المطوي في يده  
ويذهب للوظيفة..  
رجل وسيمٌ مُتَقَنَّ في المقعد الخلفي  
بعضُ شئون منصبه  
اقتيادُ العاشقين  
من الغيوم الرائقات  
إلى حبال المشنقة.  
١/٧/١٩٧٩

## بطء

يمرُّ بطيئًا أمام عيون الجميع  
يمرُّ بطيئًا ويُلقى قنيتًا جميلاً  
ويختار من بينهم من يريد.  
يحاول بعضهم الإنقراضَ  
ولكنه ظل يمشي بطيئًا  
وألقي قنيتًا جديدًا أمام الجميع.  
وما زال يمشي.

١٥/٢/١٩٧٩

## الحراس

حراس صاحب الجلالة الملك  
حراس صاحب الجلالة الرئيس  
على البروج بعضهم  
وبعضهم على السروج  
معتدلون في وقوفهم  
وينحنون في مهابة لدى الدخول والخروج  
وبعضهم يراقب الطعام  
وبعضهم يراقب الخدام  
وبعضهم حراس بعضهم  
وبعضهم يُملي على الجريدة الجريدة  
وبعضهم يؤلف القصيدة  
وبعضهم يوزع التصفيق في خطابه  
وكلهم ذوو كياسة  
وخفة للمساة السلاح في جنوبهم  
وقدوة في السير والسلوك  
وكلهم لهم مالِك، وكلهم ذوو جلاله  
وكلهم ملوك.

٢١/١١/١٩٧٩

## بَرِّيَّةُ الشَّرْقِ

أطوفُ بَبَرِّيَّةِ الشَّرْقِ  
حيثُ الكواسر تحملُ اسمَ الفريسةِ  
والقاتلون ضحايا  
ومن يُصدر الأمر في الجهر يُؤمر سِرًّا  
وحيث تغيب النجوم مساءً  
وتطلع ظُهرًا  
وحيث الذين يرون يموتونَ  
يالطعنةِ السافرة،  
وبالقبلةِ الغادرة.  
هنا في المساء المتوجَّج بالشرطيةِ المستتبيةِ  
في الصاحبِ المطمأن إليه،  
وفي الجارةِ المشتهاة،  
وفي كلِّ ما تحفظُ العينُ والذاكرةُ  
رأيتُ بعينيَّ سبعَ حرائقَ في دائرةٍ  
بداخلها امرأةٌ لا تكفُّ عن الرقصِ  
كانتُ طبولَ الشياطين ترفعُ أقدامها  
عن خليطِ الحصى والصخورِ  
وتنزلها بين حينٍ وحينٍ لنلًا تطير  
تعزَّتْ وسبعَ حرائقَ توقد في حدقتيها النهار  
وصاحتُ  
لقد حاصروني  
وأرهُفْتُ، حتى غدا جسدي  
بعض هذا الحصار.  
سقيت القبور بإبريقِ جدِّي  
نما حولها العشبُ حتى استطالَ عليَّ  
فصرتُ كمينًا  
ومن يستقرون في الأضرحةِ  
هم الأسلحةُ  
أقول، وأمري إلى عشبِ هذي القبور:  
«سئمنا التغمي بهذا العثار»  
أعوذ بكِ الآن من كلِّ فخ يريدكِ  
من كلِّ خوفٍ يردُّكِ أو يرتديكِ،  
ومن كلِّ صوتٍ يحاول أن يدعيكِ.  
لبَرِّيَّةِ الشَّرْقِ قبرٌ سيدخلُه الكلُّ  
إلا العرايا

فدوري برقصتك الآن  
حتى تذوب بنارك  
كل الزخارف والرتب الذهبية والأوسمة...  
لبرية الشرق قبر فسيح  
ولكن حفاره متعب وكسول».

٢٦/٩/١٩٧٨

## تَهافتُ التَّهافتِ

يأتي زمنٌ تمشي فيه الغابة،  
يأتي زمن تتحرّك فيه الأشجار،  
يأتي الخطر/الدائرة المكتملة.  
وسعيد القروي يسافر  
في الأسئلة الموصلة إلى خوفٍ  
أقسى منه الإطمئنان.  
الزورقُ الملعون يُنكر ماءه  
المشهدُ الجبليُّ يُنكر سفحهُ  
وأقولُ: «يا نفسُ اطمئني  
إنه الوقتي، والأوجاعُ ذاهبةٌ إلى أضدادِها».  
غير أنني لا أردُ توجُّعي  
ما زلتُ أملكُ دهشتي، وسط اعتياد الانهيار،  
ما زلتُ ألمسُ صدمتي بأصابعي  
فتهزّني، وأهزّها:  
«تتسلّين إليّ ذات فُجاءةٍ  
وأمرٌ منك إليّ،  
هل هذا انتهاءٌ، أم سِجالٌ؟  
متشبتنا «بالباقيات» سألتُ  
لكنّ «الطواري» جاوبتني بانهيارات الجبال.  
يستدرّكُ الوجعُ الذي في النفس  
يبحثُ عن ردودٍ في الشوارعِ والطفولةِ والمدى  
وأعود للوجعِ الأليفِ، يردّني  
أفقٌ عدوّ حيثُ تنكمشُ الرحابةُ  
إنّه الوقتُ المدججُ بالأبوةِ واغتيالِ الأسئلة.  
وبقلبي ذلك الطفل الذي ينهضُ مع جيش السنين  
جدُّنا الموعغلُ في الجوع، ومجدد الإحتمالِ  
سمّه ما شئتُ لكني أسميه سعيد القروي  
وسعيد  
مُفرّد مثل شجيرة  
وجماعيّ، كغابة  
وهو من جيلٍ لجيلٍ  
جَعَلَ العمرَ سؤالاً،  
والردى بعض الإجابة  
أقولُ أكثر؟ أم أروضُ خوفَ نفسي؟  
المشهدُ الجبليُّ يُسلّمُ نفسه لمسائه

متهافتًا قبل التماسك، أو أقول  
متماسكًا قبل التهافت

انتبه!

وأنا الذي يخفي الكثير لأنه يدري الكثير  
أدري - لعلمك - أن سيف حبيبتي  
هو أقربُ الأسيافِ من عُقي  
وأني قابضُ جمرًا،  
وأكظمُ بعضَ غيظي ما أزال  
المشهدُ الجبلي مالٌ  
يا خوفَ سعيدٍ مما تخفيه الأيامُ  
وسعيدٌ يدري

أنَّ المألوفَ مفاجأةٌ  
والفجأةُ أمرٌ مألوفٌ

يتمررُ: إن حبيبة عمري تنكرني  
ولها نافذةٌ

تتعاطى منها لغةً عدوي حين أنام!  
ويصيح: يا جدي عز الدين القسامُ  
أزمانُ خديعتنا تتشابهُ

هذا زمن تمشي فيه الغايةُ

هذا زمن، تتحرك فيه الأشجار نهارًا، والناس نيامً  
يا أيها القلق العظيم تعال، كُن متواصلًا  
المشهد الجبلي بعض ترابه جسدي، وأجساد الأحبة  
جنثٌ أدعو للولادة ضدَّ هذا الانقراض.

يظهرُ القسامُ في شمس القرى

يظهرُ القسامُ في ليل العواصمُ

وأنا أحميه من موتٍ جديدٍ

بعض موتانا يذوقون المنايا مرتين

بعض ما نبنيه يهوي مرَّةً، أو مرَّتين

يا سعيدُ القروي

قلت لي يومًا: «دعنتي حلوة النبع إليها فأتيت»

قلت أيضًا: «صديءُ الراحلُ للأرض، ولكن

جرسُ الرحلة لم يصدأ، وناداني، أتيت»

«كلما قالوا انتهى، فاجأتهم أني ابتدأت»

قلت: «باق، مثلما الفلقة نصفها هما ضدُّ وضدُّ»

وأنا الآن أناديك من الآني،

هذي لحظةٌ تطلبُ رأسينا معًا

والجنازات تُعدُّ

يا بديل الموت، كُنْ موتًا بديلاً  
يا بديل الموت، كن موتًا لنا فيه اختيار!

\* \* \*

يا أيها الزمنُ المحاصرُ بالأبوةِ  
واغتتيالِ الأسئلةِ  
ما زلتُ أملكُ طرحَ أسئلتِي  
وللوطنِ المحددِ، أنْ يجيبَ  
ويجيئني صوت، يهددُ نَفْسَهُ:  
«هي ساعة الضد المدجج بالبداية  
فَلنُكُنَّها  
وليجرِّحنا هَواها، ولنمُتْ إلا قليلاً  
ولنكنْ ضِدًّا جَميلاً».

١٠/٢/١٩٧٨



## قصيدة إلى شعب مصر

أروم اكنملاً عصياً  
وأنشُدُ إصلاح ذاتي  
ونفضُ الشوائب عني، لأصفو  
وأغدو جديراً بأن أطرقَ البابَ ليلاً عليكِ.  
وأعلنُ حبي المبكّرَ  
قبلَ انتظارِ العلامةِ  
قبلَ انفجارِ القيامةِ  
قبلَ انهماجِ الدليلِ  
أجيبك في ليلك الصعب بالحُبِّ،  
أعلمُ أنّ الجميع سيأتون بعدي نهاراً،  
ولستُ بمن ينتحي شاطئاً ويقول «المياه روكذ»  
لكنّ جسمي وجسمك في مائنا الواحد اجتمعا  
ورأينا بلمس المسامات غير الذي شاهدته العيون.  
وأمدحُ فيك كوامنك الموغلاتِ  
كخيطٍ من الشمس في عتمة البدر أبصرتهُ  
يا النحيل الذي تطمئنُ على كفه العافية  
لقد علّمتني نواميسُ قلبي  
أنّ ألمس الساعة الآن، وأنّ ألمح الساعة التالية.  
وما أفقدتني المحبة عيني لكنني  
ألمحُ الثمرَ المُشتهى  
وهو ما زال بين اللحاءِ الطريِّ وبين الترابِ  
وقبل انتشار الغصونِ  
وأبصر بين عروق يديك الشوارعِ  
في بهجة المدِّ  
تنثر لؤلؤها الأدميَّ  
وتطلق ألوانها في القتامة  
وأبصرُ في القصر نعشاً  
وفي الجوع جيشاً  
وبين غيوم المخاطرِ  
عصفورةً للسلامة.  
ولمّا ادعى صاحبي موتك الواضح  
انصعتُ للحبِّ إذ قلتُ:  
هذا غموض القيامة.  
وأبصر حشداً  
من الدمع والجوع

في ساعة للتأهب قبل الهجوم الجميل  
ولست بسباق يومي  
ولا قارئاً للغيوب  
ولكنك الآن تكتم أمراً  
ومن مرمرونا سويّاً  
لهم ساعة مُرّة يا حبيبي.  
٢/٤/١٩٧٩

## مِشْنَقَةٌ جَدِيدَةٌ لَزَهْرَانِ

بين قوسين أقول:  
أسلمونا ذات فجرٍ أبيض اللونِ إلى سُلْمِ تلكِ المشنقةِ  
بين قوسين اعتراضنا:  
«نحن لن نَصْعَدُ»  
ولكنَّا صَعَدْنَا  
ووصلناها، على كُرهِ، ولكنَّا وصلْنَا.  
بين قوسين أضيف:  
كان إعلاننا هُتافًا واعتراضًا، مُعْجَبًا بالمشنقة!

\* \* \*

أهدم القوسين كي أدخلَ في صلبِ الكلام:

\* \* \*

دنشواي اتَّسَعَتْ  
خرجتُ من حقلها القطنيِّ كي تدخلَ في كلِ الحقولِ  
حَبْلُهَا الوحشيُّ أضْحَى عربِيًّا  
والذي يَقْتُلُ أضْحَى الآنُ مِنْ أَهْلِ القَتِيلِ  
دنشواي اختَلَفَتْ  
موقعُ للشنقِ ما أبصرُ؟ أم بوابةُ للبنكِ؟ أم حبرِ الجريدة؟  
أرْصِيدُ السيدِ الموسرِ هذا الكَشْفُ؟  
أم قائمةُ القَتلى الجديدة؟  
دنشواي اختَلَطَتْ  
أهي طابورِ جنودٍ ضدَّ طابورِ حمامٍ؟  
صفِ جلادين يقظى ضدَّ ثوارِ نيامٍ؟  
جيشِ أعداءِ أحبَّاءٍ، وأكوامِ نقودٍ وعظامٍ؟  
دنشواي...  
لنا في جوفكِ المنسيِّ أجسادُ  
دفنَّاها

ومن يومٍ إلى يومٍ  
تركناها تذودُ البردَ عن زهرانِ  
ومن غيمٍ إلى غيمٍ تُقَطِّرُ من ضفافِ النهرِ  
كوبًا من مياهِ الوردِ تحمله إلى شفثيه  
وكنَّا، أهله الأحياءُ  
نصنعُ شايه اليوميَّ  
نأخذُ من صبايا الحيِّ سَكَّرَهُ  
ونأتيه بخبزِ الدارِ حينِ يجوعُ  
وناشدناهُ:

يا زهرانُ لا تبيسْ ولا تهرمْ  
ولا توغل بهذا الموتُ.

\* \* \*

سأعيد القوسين الآن

\* \* \*

إن حراس بلادي انتزعوا زهرانَ من ميتهِ  
ذاتَ ليل أبيض اللونِ  
وساقوه قتيلاً نحو حبل المشنقة

\* \* \*

هل علينا الآن أن ندخل في صلب الكلام؟

٤/١١/١٩٧٩

## الشاعر

يبدو كوجه النهر هادئاً  
يقضي شئون يومه  
كالجدّة التّعبى، وبائع الحليبِ  
والصبيّ والعاشقة الملولِ،  
والمسافر العجول والسيدة الوحيدة.  
وفجأةً

يُلقى به منفرداً  
على شجيرة شائكة  
تلتفت حوله فروعها الهائشة المدببة  
فبيداً التملل الملحّ للفكاك من وُخزاتها العنيدة  
وكلما استطاع أن يزحزح الشّباك  
توهجت من حوله الألوانُ والغيومُ والطُرُقُ  
وحين يكمل الإفلاتُ  
يكون مرهقاً، لأنه  
يكون أكمل القصيدة.

١٩/١١/١٩٧٩

الأرضُ تتشرُّ أسرارَها  
بيروت ١٩٧٨

## سعيد القروي.. وحنوة النبع

افتتاحية

نتغيّر، يتغيّر ماء النهر إذا نحن عبرناه  
ولكل الأشياء طفولتها  
أمطارُ الميلاد تصبّ بأنهار الموت  
لكنّ الأمطار أبدُ  
من رجم الأمّ الأولى تبدأ  
من قبرك تبدأ  
وتصيرُ الإنسانَ الحجرَ النارَ الريحَ العصفورُ  
فانهض يا ابن الأمطار الأبديةِ  
واذرع كل الطرقات  
وتناثر!  
ستجمّعك مصابٌ نائية لا تعرفها  
إنهضن وابدأ.  
تُمْسِكُ في كَفَيْكَ دوائرَ  
منها ينبثقُ التديُّ المُثَقَّلُ،  
والفهدُ الخارجُ من أنثاهُ،  
وتعريجاتُ الغيمِ الأسودِ،  
والكَلِمَةُ فوق الشاهدةِ الحجريةِ،  
والأكتافُ العاريةُ،  
البريةُ والبحرُ  
وأفخادُ الحطّابِ المُشعِرةُ  
وعذو الأفراسِ البيضاءِ  
ودلُّ البئرِ  
وشيءٌ ما يكمن في الداخلِ  
يحيا ويموتُ  
ويُقسَمُ ضدّين  
وتكمن حربُ  
فجرَ لحظتها  
خُضها وابدأ!  
قم يدعوك الناقوسُ  
فإمّا عُرْسًا أو موتًا  
لكنّ فمُ  
أشواق سعيد القروي  
دعني أخرجُ للرؤيا  
أفقرُ في اللامعلوم

ودعني أطلع عاري الصدر  
إلى ممكلة الوعر  
وهات يدبك الراعتين  
وأبلغ عني  
إني سأسمي الغيمة بحرًا  
وأسمي الجذر المدفون بأعماق الأرض  
ثمارًا في الريح  
وأذيب الأزمان جميعًا  
في زمن اللحظة  
وأمر بعربي  
في قطرات الماء  
أبل بها حلقًا جففه رمل الصحراء  
وغبار خيول فقدت خلف الكثبان أصالتها  
أبلغ عني  
أن الكون سؤال متّصل  
وأطالب  
أن أطرح كل الأسئلة ولا أقتل  
فاتسعي يا عيني تألق يا عربي  
في قطرات الماء  
وامتدي يا كفي  
كي يسقط بين خطوطك  
نجم لهبي  
يفشي سرّ الطرقات لقلبي  
وأمر  
أصير الرحلة والراجل  
وأصير السر وكشف السر  
أبحث  
عن تلك الحاملة جميع الأضداد -  
فتاة النبع الأول.  
أفتح عيني -  
على شهوات حرّمها القيصر  
أبلغ عني  
أني أمتلك الممنوعات جميعًا:  
الأسئلة، الحب، السيف، المنشور...  
وتمر بعيني قوافل جلادي  
وصيحات العرقى.  
أبلغ عني



أن الراجل قد يهلك  
لكن الرحلة تبقى  
أبلغ عني  
أني سأخوض في الماء  
وأني سأسمي حفار قبور الشهداء  
باسم القابلة  
وأدخل بين الأسود والأبيض  
أرفع ألوان الطيف  
وأجعلها علمًا  
في رحلة كَشْفِي المغضوب عليها.  
أبلغ أن خرائطنا  
لم ترسم بعد  
وأني سأسمي النبع مصبًا  
وأسمي الخطوة في الوعر  
بلاغًا أول.  
أبلغ أني أخطو  
في العنم  
وأني أبدأ  
وأرى أثر المخلب في الأرض  
وأبدأ.  
يدعوني الغامض  
يدعوني الشائخ أن أتأمل  
ما يولد منه فنيًا  
أبلغ أن الفلقة نصفان  
فنصف ضد النصف الآخر  
إن يتحطم جسر فوق النهر  
يظل الشط الأيمن  
متصلًا بالشط الأيسر  
ويواصل بينهما التيار هديره  
فانهض  
يا ابن الأمطار الأبدية،  
وأبدأ  
إصعد كي تتعرف بالسفح الآخر من جبل الدنيا.  
ما من نهر يشبه نهرًا  
لكن قبور القتلى في الحرب جميعًا تتشابه  
تمتد صفوفًا في الصحراء  
وتحمل أرقامًا

لا تحفظ رقماً  
فالقتلى ليسوا إحصائيةً مصنع كبريت  
غص في قاع القبر  
اسأل كل قتيلٍ عن قصته  
وابحث عما لم يُحك  
قبيل دخول الطلقة في صدره  
اسأل عن ليلاه وعن فاطمته  
اسأله عن الطين القروي  
وعن لقمة والده  
لما سَقَطَتْ - ساعة موته -  
في الهوة ما بين الكف وبين الفم  
اسأل عن حيٍّ خرَجَ بكامله  
ليعدّد  
كل محاسنه  
وحميد صفاته،  
لا تقرأ ما كتب الأحياء على الشهادة  
اقرأ لطم الخد  
اقرأ قد الثوب  
اقرأ وحشة غرفته  
بَرَد سريره،  
اقرأ كيف اهتزت  
روعته في الريح.  
واقرأ مزج الكاكي  
بالأحمر والأبيض والأصفر والأخضر والأزرق  
واقراء تاريخاً لا رقماً،  
وتنصت لمعلمة التاريخ  
تقول لأطفال القرية:  
كان هنا  
في هذي الأرض عدو، وهزمناه.  
سعيد القروي، يبدأ الرحلة

(١)

كل أرض تُقْلني  
ليدي بصمة بها  
ولخطوي بها أثر.  
أمزج النار بالرياح  
والمواعيد بالخطر.

(٢)

طالعاً من حلم أطفالي  
ومن صوت جدودي  
حاملاً وعدًا بموتي، ووعودًا بالحياة  
خادمًا للبندق الطيفي  
فعلي سيدّ

وجبيني عبء جيل  
مُزقت أطرافه من قبل أن آتي  
وضاعت  
صارت الأرض عذابًا للذي يأتي  
أتيت!

وأنا هذي المرقّ  
جمعتني ريح أهلي  
كلُّ سوط رسم الجرح على ظهري أنا  
رسم الحدّ على وجه الخريطة  
وأُتيت.

أعرف الشيء وضده  
بادئًا من آخر الخطو وفي ريح الفصول  
زارعًا شتلاتي الخضراء  
في ريح الفصول  
تركنتي حلوّة النبع بلا وعدٍ  
وضاعت في الزمان  
قلت: مَنْ أجدُر منّي بالجميلة؟  
وخطوت

باحثًا عن وجهها الراضي  
ولم ترضَ  
ابتعدت

وألحّ العشق في قلبي خطوت  
صرت حُلماً، حلوة النبع، وقد طال ارتحالي  
علني ألمح عينيك  
وثنيات الجديلة  
وأُتيت

حلم عينيك ينادي كل عاشق  
قلت، من أجدُر منّي بالجميلة؟

(٣)

أحمل يومي كما يحمل طفلٌ صغير  
حقيبة الكتب التي ينوء بها  
طول الطريق إلى المدرسة النائبة

أمشي مع الأيام والأصوات تتبعني:  
إن أنت لم تمش فالأيام ماشية وحدها  
وإن رجعت فإن الدرب لا يرجع.  
سعيد القروي «أيلول ١٩٣٥»  
سيدي القسّام أحضرتُ رغيفاً فلتشاركني العشاء  
سبعَ حبات من الزيتون  
شاركني العشاء  
وعليها سوف أُقسِمُ  
أنّ سرّ النار محفوظٌ بقلبي  
أنّ من حنطة أطفالي نصيباً للرجال  
هات كفاك

أيها الشيخ وشاركني العشاء  
ألمحُ الليلة نجماً لاح في الأفق  
كما قطرةً فضّه  
والعصافير التقت بعد ارتحال  
أسمع الليلة يا شيخُ صدّي  
وأرى ما لا يرى  
هات كفيك وشاركني العشاء.  
سعيد القروي «تشرين أول ١٩٣٥»  
شجرات البر لا تعرف ما نبيغي ولا هذي اليمامة  
ورذاذ المطر الليلي لا يدري ولا أم البنين  
ساحة الدار خلا منها الحطب  
يسمن البردُ برعشات صغاري الآن يا أمّ البنين  
هل توددت له هذا المساء؟  
شاغليه

بندقية  
خندق، ليل، وصوت  
بندقية  
تعرف القصة من أولها:  
سفن تُلقى على الشط الغزاة  
ونعاس القوم ميناءً وريحٌ في القلوغ  
أبطيء الخطوة يا ليلُ  
سيأتون قريباً  
واهدأي  
لا تفزعي من طلقات النار يا هذي اليمامة  
وضعي معطفي البالي على الأطفال  
يا أم البنين

سعيد القروي «تشرين الثاني ١٩٣٥»  
سيدي القسّام حوصرنا فما درب النجاة؟

زخّة من قصفهم تتبع زخّة

«سيدي القسّام.. أه..»

بعثرت صرخته جسم الفضاء

خرج القسّام من خندقه

«كشفوا موقعنا يا شيخ هيا ننسحب»

جاء صوت الشيخ: «موتوا شهداء»

سعيد القروي «١٩٣٦»

أفقرت كل الشوارع

بدأ الفعل، دموعًا في وداعك

أمة من قبرها قامت تقاثل

منحتها حلوة النبع يديها وابتسامه

أوقدت في ليلها كل القناديل وقالت:

وُلدت لي فيكم اليوم علامة.

سعيد القروي «١٩٤٨»

أنقذ الشيطان اثنين

الأرض انقذت أرضين

الجرح سيوغل منذ اليوم

وأناك زمان السبي ففتش عن خيمة

الكل جريح يا جدي، الكل جريح

كل الأيدي تقبض ريحًا

والأوجه تذروها الريح

سكت الصوت،

ومرّ بنا موت مرسوم بأصابعهم وأصابعنا

سقطت كشهاب ممدود الذيل للعبة

فقد الأطفال طفولتهم من ذلك اليوم

سعيد القروي «١٩٦٧»

ألقت أعيننا شكل القضببان وزيّ الشرطة

لم يغمرنا وهج الأرض الطيب

وامتدّت فينا الصحراء

سرقوا منا الطرقات

وقالوا

هذا الموت مبارك

قلنا إن الوطن رجالٌ ونساءٌ

قالوا إن الوطن

بيانٌ رسمي!

قالوا هذا الموت مبارك!  
فخرجنا للريح وقلنا  
«كوني يا ريح الصيف سلامًا  
فوق وجوه القتلى  
ذودي عنهم  
وحش البر وجوعى الطير  
أزيحي الكتبان على الأشلاء  
وغطبها  
بأناة يا ريح الصيف  
فما من قبر في هذي الأرض المنسية نعرفه  
ما من قبر  
لا تحصن القتلى يا من تحصيهم في هذي الحرب  
القتلى ليسوا عددًا  
لا تحفظ رقمًا  
غُص في قاع القبر  
إسأل كل قتيل عن قصته  
وابحث عما لم يُحك قبيل دخول الطلقة في صدره  
إسأل عن ليلاه وعن فاطمته  
إسأل عن لقمة والده  
لما سقطت - ساعة موته -  
في الهوة ما بين الكفّ وبين الفم  
لا تقرأ ما كتب الضباط على الشهادة  
إقرأ لطم الخدّ إقرأ قدّ الثوب  
إقرأ وحشة غرفته، برد سريره  
لا تقرأ رقم الشهادة  
إقرأ كيف تصلّب كفاه على الرمل  
إقرأ كيف يحدّق فيك  
إقرأ  
غُص في قاع القبر!

\* \* \*

سعيد القروي «١٩٧٠»  
خرجت للبر وحوش البر  
وأطبق كفّ الأيام  
مسحوا أسماء الشهداء المنقوشة  
فوق سلاحك يا جدي

.....

خارجًا نحو المنافى

كان ذاك الحزن أنثى

تلد الحزن

تساءلت

لماذا خطواتي لم تصل؟

جاءني صوتك يا شيخ وقال:

«كل وقت صالح للبدء فابدأ

إنما الحاضر ماضٍ

وإلى مستقبل الأيام نمشي».

سعيد القروي، يواصل الرحلة

أنا سيد يوم لم يغمرنى فيه الموت

أتناسخ في هذا الكون الهارب مني

والأحقه

أتعثّر

أبدًا

أولد

إن تسقط شمس الصبح على الحنطة

أولد

إن يصهل مهر فضي فوق التلة

أولد

أفتح في الريح ذراعيّ

وأرسم بالجسد دوائر شوقي للمحبوب وأولد

وأنادي شر الكون

بنبض القلب

وأعلى صوت:

أنا سيد يوم لم يغمرنى فيه الموت

\* \* \*

صوت ١- الوردة فأس وتراب ويد ومطر

صوت ٢- الدنيا مزرعة الموت

أما الموت ففلاح صخري الكتفين

ويضرب في الصخر

صوت ١- وأرى بين الصخرين ينابيع

\* \* \*

تلك قوافلنا

تتبدّل في درب مسيرتها

أسماء الأمصار

وأسماء الموت

يسقط من فوق الصهوات رجال

تتحطّم بعض الخيل  
ويومًا ما  
بعض منّا سوف يصل  
وينادي في الناس تعالوا!

\* \* \*

أرتقي لي جوربي  
ثم اتركيني  
أفتح الباب وأمضي  
باحثًا عن عملٍ  
عند الزوابع

\* \* \*

جرس الرحلة لم يصدأ  
وناداني أتيت  
عدت لا أملك إلا ما تواتيه يداي  
ومن الفعل إلى الفعل مررت  
حلوة النبع سنأتيها العلامة  
أنني أجدر من يعطي هواها عمره  
وينادي باسمها في الغابة السوداء  
من موت لموت  
آه، من أجدر مني بالجميلة؟  
وهي تدري  
أنني العاشق  
إن لم أعطها قبلة الحب  
فموتي في هواها  
قبلة الوجد الطويلة  
جرس الرحلة لم يصدأ وناداني أتيت  
كلما قالوا انتهى فاجأهم أني ابتدأت

\* \* \*

افتتاحية أخرى  
يلد الدّم دماءً  
وسعيد القروي  
طلع الليلة من دمّ الجميع  
باحثًا عن حلوة النبع،  
بكفيه دوائر  
مرّ من كل الطرق  
حلّ في كل العناصر  
وسعيد القروي



طلع الليلة من حلم الجميع  
بادئاً من آخر الخطو وفي ريح الفصول  
زارعاً شتلاته الخضراء في ريح الفصول  
مزج الأزمان في اللحظة  
وامتدت خطاه  
في حفاقي الوعر  
صار الكاشف الباقي وعطشان الأزل  
وسعيد القروي  
خرج الليلة من موت الجميع  
ورأى فيما يرى  
حملاً يرضع في المرعى  
وفهداً لا حقاً أنثاه في ضوء القمر  
وفتاةً عربية  
كشفت في الوعر ثديها النحاسيين.  
تعدو  
لملاقة الحبيب

## عكا.. وهدير البحر

لا موعد لمرورك بين الحالات  
لكن مواصلة الخطوات هي الموعد  
المشهد مضطرب في كل الساحات  
والأحزان انتشرت في كل تفاصيل المشهد  
سيظل علينا النذر بأن نسعى  
والحزن على الأعتاب  
نسعى والحاضرُ فينا يبكي من غاب  
لم نُسْقِطْ بابًا يفضي للفرح الغالي  
إلا سقط الأعلى فينا بجوار الباب

\* \* \*

هذي أسرارك يا وطني  
والأسرار إذا كانت في مثل جمالك  
تغري بالبوخ  
فالسيف يكون بإعمال السيف  
والرمح يكون بإطلاق الرمح  
يا وطني، يا سيد نفسي، أسرارُك تُغري بالبوخ  
فيك الأشباه الأضداد وفيك الأضداد الأشباه  
فيك الزنزانة والبيدر  
كل يفضي للآخر  
ونواصل رحلتنا بينهما  
فينا أشواقك كاملة  
لكن العمر له باب، والهَمّ مدى  
والوقت ردى  
وتغالبُهُ..  
تبدو إذًاك فجائئًا  
لكن لا فجأة عندك يا وطني:  
الصحوة فيك تخبيّ طائرها في الرقدة  
والرقدة فيك، جناحان انضما،  
قبل التحليق.

\* \* \*

هذا هو البحر  
أمواجه تهوي وتهوي، إنه الهجوم  
وأدركت عكا التي تلازمت وشطّها  
أن الهواء خائن، وأن ما تخبيّ النجوم  
مدجج بشرّه، وفادح إذا بدا

تناثرت في فزع ممالك الطيور  
وكان صامتًا  
وكان موحشًا  
وكان موصدا  
ضحك الذئب،  
ضحك الطاووس  
المشهد يدخل في اللون الداكن  
الأخطاء انتصرت فينا  
زمن الأفراح بعيد الموعد  
ولهذا  
سأحدّث عن فرح يملك أن يأتي  
حتى لو كنت حزينا.  
لم تُغلق دائرةً لنهايات الأشياء  
إلا انفتحت دائرةً لبدايتها  
من آخر خيط في ثوب الموت  
شرعت عكا في نسج قماط الميلاد.

\* \* \*

عكا لا تنطق فجأة  
وسيلزمها كل الحزن الراهن  
والغضب الكامن.  
عكا تعرف أن الأمر يخالف ظاهره  
وتسافر في الأمر الباطن  
وستخلق ثورتها في سبعة أجيال  
حتى ترتاح مع الجيل الثامن

\* \* \*

الحزن على الأعشاب وبحر الأخطار استغرق في  
حالات المد  
والمشهد مضطرب  
وأوان الحالات المنشودة لم يُقبل بعد  
هذا ليس أوان الراحة بعد!  
ما أفجع ما سوف يجيء!  
- لم نأت لهذا البيدر كي نُحصّد  
- فليخرج ضيق الزنزانة من سعة البيدر،  
من أول المظاهرة  
لآخر المظاهرة  
القدس في مظاهرة  
ذاهية للناصرة

وغزة المحاصرة  
تعيش في مظاهرة  
والمرأة المهذبة  
أسرارها مهذبة  
وصمتها مظاهرة  
وعسقلان جائع  
وجوعه مظاهرة  
والرياح في هبوبها  
خيل الجليل نافرة  
في اللد كان صوتها  
وعدوها في السامرة  
من أول المظاهرة  
لآخر المظاهرة  
والأرض، لا قضبانها  
قوية، وقادرة.

\* \* \*

عكا تنتقل بين صدور الناس  
في حب القمح، وفي الأجراس  
في أعواد السمّاق  
وفي الكاوتشوك المحروق  
في ضجة مطرقة الحداد  
وفي صمت الإضراب  
في إطراق الصيادين  
وفي دبكات الأعراس  
في اسم المولود  
وفي الدم النازف من أعناق الأفراس  
تنتقل عكا  
هامسة بالسر المحفوظ.  
عكا تلملم الخيوط  
من كل بيت خيط  
وتنسج الشباك للصياد  
تصعبه في وحشة الشطوط  
تشدو مع الأولاد  
بصوتها المسحور  
وتنسج الشباك  
من كل بيت خيط  
خبز الصيادين سمك

فرح الصيادين سمك  
قالت عكا:

يستعرض هذا الموج عليك  
فُنُوتَهُ في بدء الأمر  
إن خفت،  
تُلاحقُ في الشاطئ  
إن خفت،  
تُلاحقُ في البيت  
إن خفت،  
تُلاحقُ في الغرفة  
إن خفت،  
سيسكن داخلك الموج  
ويصير عدوك فيك  
وتصارع نفسك نفسك  
أخرج لملاقة الموج

\* \* \*

كملت دائرة القتلى  
وكذلك دائرة القتلة  
المشهد في أوج تصادمه  
واكتملت فيه الأبعاد:  
مدن بلادي،  
تتشابه مهما اختلفت،  
فالشرطة في صف،  
وأهاليها في صف،  
فوهات الرشاشات  
تحاذي أعناق الناس،  
أحجار الأرصفة الملساء  
تواجه خوذة الحراس،  
عربات الجيش  
تواجه كتب الطلبة،  
والبيدر..  
في أوج مواجهة الزلزلة،  
مدن،  
في أوج سكينتها مضطربة  
يدري زهر اللوز بأذار  
أن الزلزلة لا تغلب أفقا ومدى  
إن الزلزلة، هذا درس التاريخ الغامض،

لا تسجن أحدا

\* \* \*

يدري زهر اللوز بأذار  
أن الأرض تبوح بكل الأسرار  
يدري زهر اللوز بأذار  
أن الأسرار جميعًا  
ما عادت أسرار  
ذلك أن اللوز على أرض فلسطين  
سيبدأ إطلاق النار  
ضفירתان،  
غمازتان،  
وراية في كفها اليمين  
وكتب في كفها اليسار

...

يدري زهر اللوز بأذار  
أن الأرض تبوح بكل الأسرار  
يدري زهر اللوز بأذار  
أن الثمر الشجر الحجر الكتب الزيت  
الزيتون النهر البحر الليل النور النوار  
ستواصل إطلاق النار  
عكا لحزنها جلال  
عكا وحزنها جبال  
تودّع الأبناء، في أكفهم سهامهم  
وتستردّهم،  
وفي صدورهم، وفي ظهورهم  
نصال..  
وحين يُقتل الفتى، في مطلع الجمال،  
سهامه تظل ملء جعبته..  
وليس من فجيعة كمقتل الهلال  
فروعة الفتى أنه احتمال  
يظلّ وعده أمام خطوته  
وكلما مضى فتى، فذلك اغتيال  
ووعده هو القتل، قبل جنته  
وليس من فجيعة، كمقتل الهلال  
وكم لنا أهلة، لم تكتمل بعمرها  
واكتملت بالموت  
عكا.. يلزمها كل الغضب الراهن

والحزن الكامن  
عكا تعرف أن الأمر يخالف ظاهره  
وتسافر في الأمر الباطن  
عكا تنتقل في أهوال  
لكن ما سئمت وقفتها  
وستدرف دمعتها في سبعة أجيال  
حتى ترتاح مع الجيل الثامن

\* \* \*

ما بين الغيمة والنهر  
ما بين الموجه والموجه  
ما بين النصل وبين القُبلة  
ما بين القتلى والقَتلة  
ما بين الذئب وبين الطاووس  
ما بين حياتين وموت واحد  
واقفة عكا..

يدنو.. يدنو.. يدنو  
يدنو زمن الإقبال أو الإدبار  
المشهد في أوج تصادمه،  
والحرب حروب  
والبحر بحار،  
وعلينا أن نختر  
لكن عكا ستواصل رحلتها  
وعلى كفيها رائحة التاريخ.

نيسان ١٩٧٧

نشيد للفقير المسح  
فلسطين ١٩٧٧



## زمن الاشتباك

- حلوة النبع تعاود الظهور:  
قَطْرَاتُ الدَّمِ نَادَتْ  
وجذور الزرع رَدَّتْ  
أزهرتْ عِرْقًا فِعْرَقًا، واستمدَّتْ  
ماءَها الحيَّ من الدمعِ الذي في الأرضِ ذاب  
ورِيحُ (حاملاتِ للقاحِ الزهر) هَبَّتْ  
نَشَرَتْ رائحةَ النعناعِ والشومرِ في الأرضِ وأعطتْ  
سِرَّها المحفوظَ للتربةِ والماءِ ومرَّتْ  
من سهولِ لجبالٍ لشعابِ  
نشرتْ زهراً وضوءاً  
خارجاً من عِتْمَةِ الليلِ حوالينَا وألوانَ العذابِ  
ساعةُ الأيامِ دَقَّتْ  
حَفِظْتُ أسماءَ قتلانا ودَقَّتْ  
بتباشيرِ الذي يولدُ مهما ساعةُ الميلادِ شَقَّتْ  
والذي يكبرُ بينِ الطلقتينِ  
والذي يولدُ بينِ الغارتينِ  
والذي يسمعُ، منفيّاً، نداءاتِ البيوتِ  
والذي يولدُ جمراً تحتِ طَيَّاتِ الرمادِ  
والذي يولدُ من شيءٍ يموتُ:  
ساعةُ الأيامِ دَقَّتْ  
والعلاماتُ تتألت:  
عشبةٌ تنبتُ في أحجارِ سورِ  
وطيورٌ عائداتٌ أبصرتْ شيطانها القصى، وحطَّتْ  
أعلنتُ في الناسِ سِرّاً:  
حلوة النبعِ أطلَّتْ  
حينَ تخطو يضحكُ اللوزُ  
وإذا تضحكُ يخضِرُ المكانُ  
من سكوتِ ضجبتِ الريحِ فذرتُهُ أطلَّتْ  
دقتِ البابِ العصيِ الفتحِ، لم يفتحِ،  
ودقَّتْ ثم دقتِ  
نحن لا نَنشُدُ أن نجني الأمانَ  
قبلَ أن ننزفَ خوفاً، أو بطولةً.

\* \* \*

شجرَ الريحانِ قل من ذا الذي تكيه في هذا المساء

نائماً يحلم بالألوان في بحر العرائس  
بعض أوراقك تغفو قربهُ  
وظلال منك فيها هدهدات لجبينه  
نائماً يحلم بالحلوات في بحر العرائس  
تَعَبٌ في وجهه الغافي  
وكفٌ بُسِطَتْ فوق التراب  
فلتقم يا أيها الريحان خَيْرَ أخته  
أن تحيك الثوب بالخيط الحرير  
وبسنة فضة  
ها هي الأصوات تأتيه على هب النسيم:  
فُمّ وعاونًا على هذا الزمان! (\*\*)

\* \* \*

ها هو البيدر في الشرق  
وحصّادوه غابوا في مغارات الحديد  
تعبٌ في الأذرع الشمسية اللون  
وتلتف أكفٌ حول قضبان الحديد  
يذهب الحلم إلى الأخضر.. والحبّ، وعصفور البراري  
ويُشَلُّ الحلم في ليلِ المغارات وقضبان الحديد  
يبعد البيدر في الشرق ومن أعشق يغفو  
تحت أغصانك يا ريحانُ  
أم تحبسه في العَرَبِ قضبانُ الحديد؟  
شجَرَ الريحانِ هل تصغي لأنفاس البطل  
هل قضى في دربه الصعب أم ارتاح ونام  
ليهزّ الريح بالمفتاح والشوق ويصحو للعمل؟  
هَلَلُويا هَلَلُويا للبطل  
حمَلتُهُ الرِيحُ ما لا يُحْتَمَلُ  
هَلَلُويا هَلَلُويا للأمير  
هل قضى في الدربِ أم سوف يَصِلُ؟  
هَلَلُويا هَلَلُويا للعريس  
نثر المهر على سفح الجبل  
هَلَلُويا هَلَلُويا للفتى  
نزف العمر على سفح الجبل  
هَلَلُويا ضاعت اللقمة والبيت  
وذاب الصوتُ في كل الحدود  
هل على ظلك يا ريحانُ يغفو  
أم بعنماتِ المغاراتِ وقضبانِ الحديدِ  
سقط الجوع عليه

ضاقت الدنيا عليه  
كبر الهمّ عليه  
هللوا هللوا للبطل  
كلُّ عشقٍ ناقصٌ حتى يعودُ  
كلُّ بيتٍ موحشٌ حتى يقيمُ  
فاسكبي الدمع على الفرحة يا عينَ العروس..  
حلوة النبع وفي الصدر فتاها  
وهي في صدر الفتى حلم الأبد  
دلها الطيبُ عليه  
دلها العشبُ عليه  
دلها الدُمُّ عليه  
وأنته، فأتاها  
دنتِ الحلوة من وجه فتاها  
منحته القبلَةَ الأولى فقام

\* \* \*

بالذي يولدُ جمراً تحت طياتِ الرّمادِ  
بالذي يكبرُ بين الطلقتينِ  
والذي يولدُ بين الغارتينِ  
والذي يحفظ أسماءَ البلادِ  
والذي يحملُ منفيّاً، مفاتيحَ البيوتِ  
والذي يولدُ مهما ساعة الميلادِ شفتُ  
والذي يولدُ من شيءٍ يموت:  
ساعة الأيام دقت  
السّجنُ:

نحن العين المبصرة الأفقَ وما خلف العليّ  
والكف الممدودة للنار لكي تنشل منها أعمارَ الناسِ  
وخبز الناسِ وأشواقَ الناسِ  
نحن العملُ الورد الحقل الرحم الشعر الحنطة  
ويقول السلطان لنا:

شدوا الأحزمة لأجل الوطن التزموا الصمت لأجل الوطن  
تحلّوا بالصبر لأجل الوطن أطيعوا الأمر وأهل الأمر لأجل الوطن  
وموتوا من أجل الوطن فقلنا: مهلاً!  
نحن الوطن!  
ونحن الوطن فكفوا!

\* \* \*

حلوة النبع وفي القيد رموني  
وبآلات الجحيم استجوبوني

صِرْتُ فِي الْغُرْفَةِ صَمْتًا، وَجِبِينِي  
رَاحَ يَعلُو مِثْلَ طَيرٍ، أَوْ جَبَلٍ:  
هَلُّوِيَا هَلُّوِيَا لِلْبَطْلِ  
حَمَلْتُهُ الرِّيحُ مَا لَا يُحْتَمَلُ!  
النَّذْرُ:

• وَيكون الوقت صعبًا، وتجيء  
ويكون الخطو أخطارًا وتخطو  
ويكون الموت بآبًا، فتدقُّه  
وهي لَا تمنح وَعَدَّ الحَبِّ إِلَّا لجرِيءٍ يَسْتَحِقُّهُ

\* \* \*

ويكونُ زمانُ الغرباء:  
وتكون الأرض لهم  
ويكون لنا المنفى  
ويكون لهم وقت  
لكن مهلاً  
ويكون لنا وقت  
ويكون الوقت صعبًا، وتجيء  
ويكون الخطو أخطارًا وتخطو  
ويكون الموت بآبًا، فتدقُّه  
وتجيء  
تمنح الوعد الجريء  
لجريءٍ يستحقُّه.

\* \* \*

إِجمَعِينَا مِنْ مَنَافِينَا البَعِيدَةِ  
انثري نار البداياتِ علينا  
وانظمينَا كقصيدة  
انثري نار البداياتِ علينا  
واقذفينا في المخيفِ  
انثري نار البداياتِ علينا  
علمينا الانتصار  
علمينا الانتصار  
واقذفينا في المخيفِ  
وانظمينَا كقصيدة

\* \* \*

وأجيءُ بما حَمَلْتُ كفايَ إليكم:  
سيكون ضحايا في كل طريق  
وسيرفع عقم الموت المرسوم لكم

ويكون طريقُ  
يتماوجُ ضوءٌ في وجهِ الفارسِ  
يتردد صوتٌ في وادي الموت  
يدنو الرجل ويدنو الخوف  
حلوةُ النبع وكفاها بشارة  
تنثر القمح على شعر العروس  
وتلم المهر من فوق الجبل  
تدفن القتلى وتبكي، وتغني للبطل:  
إنك البسمة في اليوم العَبُوسِ  
فتقدّم واحتمل

\* \* \*

طوبى لرنين الأجراس  
طوبى لعيون الحراس  
طوبى لرمال المتراس  
فليعط الفعل علامته  
ولينطق صمت الناس  
الاشتباك •

الليلُ مكتملُ  
والصبحُ يكتُمُ  
ومغالقُ الطرقِ التي انفتحتُ،  
يرتأدها البطلُ  
والبادئون مسيرة الفقراء  
لا بد أن يصلوا.  
النارُ حارقةٌ، ولا ينجو سوى من كان في عزّ الحريقة  
والتاركون زمانهم لزمانهم لن يجتنوا إلا حريقه  
فالوقت وقت الاشتباك  
والنار حارقةٌ ولا ينجو سوى من كان في عزّ الحريقة  
الوقت وقت الاشتباك ووقت سافية الرياح  
تتمايل الأوتادُ في هباته، وتميدُ ثابتةُ العمادُ  
ويفضّ مختومُ الغيوبِ، ويُجتلي فيه البياضُ من السوادِ  
فالوقتُ وقتُ الاشتباك  
والنار حارقةٌ، ولا ينجو سوى من كان في عزّ الحريقة،  
خطواتكم ميعاد  
ميعادكم صدقُ  
فلتُجعم الأعوادُ  
ولتُفتح الطرقُ  
ولتُخبروا الحلوة

أنّ الهوى حقٌ  
ولتبدأ الأيام  
وليكمل العشق  
شجرَ الريحانِ يا غارًا على عُزَّتِهِ  
هل أتاك الطيرُ من وادي الرجاء  
يحمل الأخبارَ عن وقفتهِ  
عالي الأكتاف بين الموتِ والموتِ وواقفُ  
وبه استشراسُ فلاحٍ يرد اللصَّ عن غلَّتِهِ  
وبه حزنٌ فقيرٌ تحت أمطار التشارين وواقفُ  
وبه أفراح طفلي يرهفُ السمع إلى جدَّتِهِ  
شجرَ الريحانِ يا غارًا على عُزَّتِهِ  
هل أتاك الطيرُ من وادي الدماء  
يحمل الأخبارَ عن وقفتهِ  
همُّه الفادحُ لم يقدرُ على همَّتِهِ  
وستبقى من زمان لزمان  
قِصصُ الآتين في قصتهِ  
هو بين الظلِّ والشمسِ ويخطو  
هو بين الرملِ والماءِ.. ويخطو  
هو بين الوقتِ والوقتِ.. ويخطو  
هو وقتٌ لا يموتُ!  
حلوة النبع سلامُ الله مقروءٌ عليكِ  
أندورُ بالمنايا أم هدايا في يديكِ؟  
إننا نولدُ بين الطلقتينِ  
إننا نولدُ بين الغارتينِ  
وبسّارةِ فضةِ  
وبخيطٍ من حريرِ  
نغزلُ الثوبَ الموشى للعروسِ  
ويكونُ الوقتُ صعبًا، ونجىءُ  
ويكونُ الخطو أخطارًا  
ونخطو.

٢٢/٤/١٩٧٦

---

(\*\*) المقطع بين العلامتين يستلهم مرثية قديمة من الغناء الشعبي الفلسطيني، بتصرّف. وهي: «يا شجرة الريحان ع مين مهيفة».

## سعيد القروي: مشهد آخر

ويمرُّ سعيد القروي بساحات الأرض  
فيرى أن الصقرَ المرسومَ على العَلَمِ سجينٌ في اللونِ الأبيض  
يُردي صيادًا طيرًا يهوي في بقع الطحلب،  
تتحلق زوبعةٌ تقصفُ فرع البلوط  
فيسقط بين الثمر اليابس:

يتكشَّفُ منعطفٌ في مرمى بصر الفارس  
وتلوح لعينيه خيولٌ مسرجةٌ ومطهمةٌ  
وتبينُ له امرأةٌ متبرجةٌ تختال علانيةً في الساحات  
تحمل في العنق الأحجبةَ ووصفاتِ السحرة  
وتنادي في الناس:

«تعالوا

فأنا سيدهُ الراحة

عندي للجائع تفاحة

ويدي تمسح عن صدر المجروح جراحه»

يقف القروي وتصهل مهرتهُ

ويرى المرأة تغوي رجلًا من أصحابه

(تأخذه للأقبية السبعة)

تدعوه وتُتبع دعوتها بالصدِّ

تتقدَّم منه وترتدُّ

تُخرجهُ من باب القبو إلى باب القبو

ويجوع فتعطيه رغيًّا مسمومًا!

ويراها عائدةً تخطر في الساحاتِ تغني أغنيةَ الموتِ

«تعالوا

فأنا سيدهُ الراحة

عندي للجائع تفاحة

ويدي تمسح عن صدر المجروح جراحه»

وإذا التّم عليها الناس

دخلت زوبعةٌ غبار في منعطفِ الدربِ

وراحت ترقص رقصتها.

هذي الساحرة ستلبس أفتحةً شتّى

وإذا اختبأت ستعود أشدَّ وأعتى

فلنولد هذا اليوم

أو انتظروا في أرحام الأخطار لنولد موتى!»

وتمرّ الباقيّة بسنبلةٍ خضراء على ساعدهِ

(هل تذكر أعدادَ حروبك يا قروي؟)

فتيأئك صاروا في البرية  
أشجاراً حمراء اللون وطاعنه السن  
ويشق المشهد صف رجال يُقتل.  
وتقول الزيتون للزيتونة.  
هل هذا الدم يسيل  
أم في البرية يصهل؟  
فتعالى أيتها الباقية الساهرة على الشهداء  
هذي الساحات يشيخ الآن بها وقت  
ويجيء سواه  
سيجيء سواه  
١٩٧٦



## سهلة المهرة

(١) أتى ضوءٌ

وكان النهرُ يحملُ جذعَ زيتونة

فَيرسلها المصبُّ إلى مياهِ البحرِ -

تركبها صبايا عاريات في هبوبِ الموجِ -

يُنشدنَ الذي قتلته فأسُ الموت:

وكانَ النهرُ يحملُ جذعَ زيتونة..

(٢) وليلاً، كانت الأفراسُ تشربُ من عيونِ الماءِ

وفي أعرافها من لمسةِ الأَقمارِ بردُ الليلِ والفضةُ

وفي نظراتها حزنٌ يميلُ -

كما يميلُ التينُ فوقَ الغصنِ عندِ نضوجِهِ الأقصى

ولا يُقَطَّفُ

وحينَ بدا نذيرٌ زاحفٌ في السفحِ

أَلقَتُ أصغرُ الأفراسِ عنها السرجَ

وانطلقتُ

صَهيلًا بارقًا في الليلِ

تَنبُعُ ركضها الأفراسُ

وفي تَردادِها القمريِّ رعشاتُ انتهاكِ الطوقِ

أتى ضوءٌ

فهلتُ في انحدارِ السفحِ أمطارٌ وأومضَ برقٌ

وصار الكونُ سهلةً أصغرِ الأفراسِ!

(٣) أتى ضوءٌ

توهج في المداخلِ والطيورُ البيضُ راحلةٌ

وحشدٌ صدَّت الأبوابُ هَجَمَتُهُ

فحاولَ مرةً أخرى ...

تساقطَ من تساقطَ في المداخلِ

مالت الأبوابُ هاويةً، وصاح الطيرُ: قد عبَروا!

تساقطَ من تساقطَ

خَوَّضوا في الماءِ في الرملِ المحرَّمِ من سنينِ القهرِ

تهوي تحتهم جُدُرٌ، حواجزُ

أوغلوا في الأرضِ

سهلةً أصغرِ الأفراسِ تسبقهم إلى الساحاتِ

فانفتحتُ بأيديهم مغالقُ دُونِها دُمهم

قناديلٌ على الشرفاتِ ترقبُ يومَ رجعتهم

وحلواتٌ يعلّقن السلاسلَ في النحورِ

وأمهاتٌ يحتمينَ بآيةِ الكرسي

(٤) خبا ضوؤه  
وماتت لحظة الشدّة  
لتولد لحظة الشدّة  
وفي أيدي الرجال العائدين من المداخلِ  
همس قنلاهم وقبض الريح  
وبين تعرج الطرقاتِ كان هناك  
ناقوسُ الكنيسةِ غائراً في الرديمِ محترقاً  
بلا كرة نحاسية  
وما اكتمل الذي شيناهُ مكتملاً  
(٥) وبين تهاؤتِ الأحجار  
كان على الركامِ صبيةً تمشي  
وتنشُدُ وهي عاريةٌ مرآثيها  
وترسلُ في المدى نظراتِها التَّعبى  
لتلمح جذع زيتونة!  
(٦) تَعَالَ الآن يا دَمَهُمْ!

٦/١٠/١٩٧٤

## مباركُ خطوكِ في الأرض

(١)

أطللتِ في الزمنِ الشديداً  
ومنحتنا دربَ الأمانِ  
يا طفلةً  
وحصانكِ الفضِيُّ يرمحُ في مساحاتٍ ... الخَطَرُ

(٢)

بوركتِ ما نُقِشَتْ على الثوبِ الفلسطينيِّ وردة  
بوركتِ ما طفَلٌ من القدسِ ابتسمَ.

(٣)

ويكونُ أن تأتي إليكم طفلةً  
وبها يليقُ المجدُ  
وبها تجوزون السياجَ  
ويكونُ أن يأتي زمانٌ صالحٌ  
وستعرفونَ مواسمَ الطيرِ المهاجرِ  
وارتحالاتِ النجومِ  
ويكونُ أن تصلوا إلى منشودكمُ  
ويكونُ أن تأتي إليكم طفلةً  
ويكونُ أن يتغيرَ العالمُ.

(٤)

فَرَحَ فَرَحَ فَرَحَ  
وحبُّنا فَرَحَ  
وإن ذهبتي يا حياةً للأحزانِ  
أرجعناكِ للفرحِ.

(٥)

تَشَابُكُ وعتمةٌ وضوءٌ  
سناجبٌ، ثعالبٌ، نمورٌ  
جداولٌ وخضرةٌ ووردٌ  
أرانبٌ، أيائلٌ، أسودٌ  
تَشَابُكُ وعتمةٌ وضوءٌ  
مَدَى، مَدَى، مَدَى  
وهكذا الغابةُ  
وهكذا أنتِ

(٦)

ويكونُ للسنواتِ أن تعرفَ وجهكِ يا صغيرتي  
ويكونُ أن تكشفَ لكِ الأسرارَ وإليَّ تأتيينِ

تعلّمين الولد القادم من جبال فلسطين الحزينة  
أنَّ الفَرَحَ ممكنٌ.

(٧)

نقفُ في مواجِهَتهمْ  
هم يقدمونَ الأزرارَ والأوسمةَ  
ونحنُ نقدّمُ عُرينا.  
هم يُقدِّمونَ للجائعِ الديباجاتُ  
ونحنُ يلفحنا لهبَ الأفرانِ.

(٨)

لهم خفٌّ مخمليٌّ للمشي على السجاد  
لهم حذاءٌ للترحُّلِ على الجليدِ  
لهم حذاءٌ للمناسبةِ الرسميةِ  
لهم حذاءٌ للدوسِ .. على .. رؤوسنا  
ونحنُ نسيرُ حفاةً .. على الشوكِ  
الذي يحولُ .. بيننا .. وبينهم.

(٩)

ويكونُ للسنواتِ أنْ تعرفنا معًا  
ويكونُ أنْ نحنُ أولادُ  
في كلِّ منحنى بريٍّ وقفنا  
وفي المدنِ القادمةً من الماضي الواضحِ  
وفي المدنِ الذاهبةِ إلى الماضي الواضحِ  
كنا نحملُ تعبنا

مزترّين بالصوتِ والصخرةِ والطيرِ والأطفالِ  
بالصوتِ ننده عليهمْ  
على الصخرةِ ننقشُ أغانينا  
والطيرِ نحملُه الكلمِ الطيبِ  
يطوفُ به على نوافذهمْ  
ومن الأطفالِ نتعلّمُ حبنا  
ويكونُ أنْ نمشي المضايقِ  
ويكونُ أنْ نمشي الوديانِ  
مزترّين بأشواقِ العليقِ  
ويدانا ما تزالُ ترفعُ وردتها  
لعل مولودةً من الجليلِ  
تلمحها

وتحلمُ أنها نجمة

وفي سعيها للوصولِ

تلاقِي ولدًا يكبرُ وراءَ النجمةِ/ الورديةِ

وعندما تتشابك أصابعهما  
يبدأ النهر  
يسيران معًا على ضفته  
ولعلمها لحظة الوصول  
يمدان أيديهما  
إلى الطفل المنسي على سور القدس  
يضمانه  
ويشعلان له القنديل

(١٠)

مسنونةٌ هي الصخور في طريقنا  
نبدأ رحلتنا إلى مساحاتٍ تعرفينها وننشدها  
أنت الرفيقة  
ومبارك خطوك في الأرض.

٢٦/٥/١٩٧٤

## طبول في غابة العاشق

أجبيك وحشيًا أيتها المرأة  
حاملاً نرجسةً وحنونه  
حطّابٌ أنا أيتها المرأة  
وها هو حطبي على ظهري  
أجبيك محرقةً أيتها المرأة  
تعالوا إليّ يا كلّ الأولاد  
الطموهم بالضوء  
أولئك الذين يجعلوننا  
نبكي  
نبكي  
نبكي

تعالوا أيها الأولاد إليّ  
ولتهبط الأرض تحت أقدامنا بضع سنتمترات  
وهي تتلقى دبكتنا النازفة  
تعالوا أيها الأولاد إليّ  
ولنقفز في النهر، وننزع عنا ثوب «الناس»  
ولنخرج حين نصير جميعًا جسّد «الشعب».

٧/٤/١٩٧٥ - القاهرة

فلسطيني في الشمس  
بيروت ١٩٧٤

## فلسطيني في الشمس

(في رثاء غسان كنفاني)

يتتابعون على جسور الحلم  
أجدادي، وجوه أحبتي، وتناقض الكلمات والمرآة،  
مدي لي يديك،  
وارجعي غسان - لا فالموت لن يرضى وأحياء كثار!  
لكن تعالي واحفظي قسمات وجهي  
قبل أن أمضي بعيداً عن حدودي  
فالكبار  
يراهنون على انتهائي  
وأنا صغير في البلاد يريد خرق الدائرة

\* \* \*

أسفينة الموت التي ستظل تبخر للشمال  
لا تُرجعي أحداً  
فما ذهبوا عليك لكي يعودوا  
لكنني مزج طقوسي أمامك  
قد ألفت الموت منذ  
ولادتي وعرفته  
وأنا رأيتُ  
مدي يديك فإنني قررت أن أمضي بعيداً عن حدودي

\* \* \*

أنا كاظم الغيظ الصغير،  
ضبطتُ وحدي عابراً جسر التاراج  
والتأكل صوب عيني المسافات الحرام،  
وقيدوني فوق سور  
الجسر تلطمني الرياح  
ومرّ عني البعض ما أكثرثوا - ولكني  
أرجح جسري الصدى القديم فاقبلي.

.....  
أيتها الجبال  
التي تبعثرت على سفوحك آلاف الجثث، ما  
هذه الريح التي تمر بهدوءٍ  
على وجوه قتلاك النائمين؟  
أي مَطَرٍ ناعمٍ يلامسُ جباههم المائلة إلى الشرق،  
في انتظاري؟  
أيتها الجبال! إنني واقفٌ بين لحظة البدء والوصول،  
فهل تسمعين ذلك الصوت الغامض البعيد؟



إدْنُ خَبْرِيهِمْ أَنَّ انتِظَارَهُم الطَوِيلَ لَنْ يَطْوَلَ،  
وِظَلِّي بِجَوَارِهِمْ أَيْتَهَا الْجِبَالَ

.....  
أنا كاظم الغيظ الصغير  
حملت همي في الهبوط  
إلى الموائئ في صعود الطائرة  
وحملته في الاعتصام ووسط كل مظهره  
وحملته في غرفة التحقيق في التهم الصغيرة والكبيرة  
وحملته وعرى الحبال  
تتبادل النظرات مع عيني إن حاولت أن أمضي  
بعيداً عن حدودي  
أنا أصغر الأبناء أحمل بين عيني  
الأسى  
وكبار قومي هائنون.  
كل الأراضي سافرت من كل أطراف البلاد  
وأنا صغير في البلاد يريد خرق الدائرة  
آب (أغسطس) ١٩٧٢

## المهرة، الركض، اللجام

افتتاحية

مهرة منذورة للركض في الوعر وفي صخر الجبل

صوب عينيها المراعي

تجمع المهرة

يُنْبِتُ اللجام

فيمدون سواه

يبدل الدهر المرابين وأطراف الرهان

ويقصّ الشاعر المقتول من فجر الأزل:

كل من يأتون وفي الكف لجام

يطلبون الفوز والمهرة أدمها الحديد!

- ١ -

ولماذا حين مات الفارس الثائر لم تبك الفرس؟

نسيّ الريفي أن يبكي وحفّار القبور

يُغلقُ القبر

ومن أبعِدَ حيّ في المدينة

سمع الأطفال أصداء الرصاص الاحتفاليّ المدوي

[وكان مراسلو الأنباء يلتقطون صورته:

صبي فوق أكتاف الرجال

يصيح: «ثورتنا ستنتصر»

وحفار القبور يهيل أكوام التراب

على القتيل - أبيه -

والآلاف: «ثورتنا ستنتصر»

ونسى ما حفظنا من مراثي!

- ٢ -

قريتي في ليلها المحزون كرمٌ ونواظيرٌ وفقرٌ

وضروع لا تدرُ

صدئت كل المفاتيح

وفي مصطبة الديوان يلتئم الشيوخ المتعبون

أوجه مقدودة من جذع أشجار «الزّتون»

والقنابيز القديمة

كلحت ألوانها إلّا شريطاً يختفي تحت الحزام

وعلى نقش الحصيرة

كلهم ألقى عصاه القُنْبِيتُ من أفرع البلوط

تكسوها العَقْدُ

والأحاديث تدور

عن «أبي راسم» ملاك الأراضى  
عن سعيد القروي:  
عن رجال أضربوا ستة أشهر  
عن زمان القتل والقتلى الذي لا ينتهى  
وتدور القهوة المرة فى الديوان والعمر يمرُّ  
- ٣ -

أبو راسم - (مشهد أول)  
لم يقاتل  
عندما مات قتيلاً  
لم يقاتل!  
أبو راسم - (مشهد ثان)  
ظل مع أصحابه خمساً وعشرين سنة  
وأبو راسم مُقع خلف أبواب الحياة  
مرجعاً أمجاد ماضيه بألقاب جديدة  
صار «مختاراً» وصار  
مرة أخرى يتاجر  
ترك القرية لما صغرت فى وجه ما يملك من صيت ومال  
وأتى يفتح أبواب المدينة  
صار عضواً بارزاً فى البرلمان  
ووزيراً بعد ذلك  
رقصت قرينته سبع ليالٍ  
فلقد صاروا جميعاً وجهاء  
ثم يمضون جميعاً للمدينة  
وتظل القرية الخضراء عكاراً وشيخاً وانتظاراً لنفود  
الغانبيين

رقصوا سبع ليالٍ  
حولهم يلتئم أبناء صغار  
كبروا تحت مصابيح فقيرة  
لم تضى أكثر من وجه الكتاب  
هؤلاء

منهم كان سعيد القروي  
(ارتطم بحزيران)

- ٤ -

وسعت أهدافنا مما رأينا  
يا زمان القتل لا تشهد  
فإننا قد فتحنا سبع الأبواب  
والجنى قد حذرنا سبغاً ولكن ما أطعنا

وسعت أحداقنا مما رأينا  
سعيد القروي - قتل أول

وسعيد

مرّ من بين رجال الأمن معصوب العيون  
وأداروا ظهره للحائط الصخريّ  
واصطفوا أمامه

صمّت الكونُ ارتقاباً للعلامة

تركت آلهة الريح صداها

لصدي عشر بنادق،

جفّأت عصفورةٌ فوق الجدارِ

وهوى عودٌ من العشبِ إلى أرضِ المكانِ

وهوى

جسمُ

سعيد

سعيد القروي - قتلُ ثانٍ

الفدائيُّ المسلّحُ

زاحقاً تحت القذائفِ

مات لما اخترقت صدره طلقة مدفع

وسعيد

عمره ست سنين

مات من ضربة بلّطة.

وقرّ البدو الرصاص.

سعيد القروي - قتلُ ثالث

وسعيد

كيف ينجو؟

صوب عينيه السواحل

ناسياً أن مياه البحر تنشقّ عن الحيتان حوله

أغلقت أذيالها الأفق: توقف يا سعيد!

حطّم الموج المجاذيف وصار البحر حرباً يا سعيد

وأنا ألمح كفيك شرعين يغوصان إلى القاعِ

وعيناك نداء

وأشقاؤك في كل الموانئ

نقروا خلفك أثناء طقوس الغرق الدامي

طبواً ودفوا

يا سعيد القروي

فلقد صرت مخيفاً

- ٥ -

رماذًا كانت الأشياء  
مذ قتلوا جواد النار  
هل تذكر؟  
أتيت لنا ولم ندركَك حين علامة البدء استطالت  
حين شارات الدم ارتبكتُ  
جواد النار هل تذكر؟  
رصاصهمُ تجاوز في جبينك  
صخرة في السفح رجرها الزئير هوت  
وجيدك بعد لم يهو/ استطار مع الرياح/ هوى  
وضيعناك، واضطربت أهازيح الذهاب/ هوى  
ولم ندركك  
غاب الصيف، أمطرت السماء عقابها الوثني/ كان الماء في الوديان  
أعشابًا، عصافيرًا، حصى، سُفْيًا،  
وكنا في منازلنا جراحًا  
يا جواد النار (في الأركان كنا)  
من تكونون؟  
استشيط بنا المزار  
وأوقفنا الشمس قبل حدود حلم الماء  
وارتبكت علامتنا  
ومن بدءوا استراحوا  
في بيوت عدوهم خوفًا، ومن يبقى؟  
خطى تمتد بين حدود خيط الشمس  
والماء/ استعدنا  
قصة الماضين  
ها خطواتنا وقع إليك يتوق  
والساحات حارقة  
وهذا الموسم المطريّ مبتعد  
هو العمرُ الفلسطيني لا يمتد  
والساحات حارقة  
وها نحن: الوقوفُ بباب رحلتنا،  
وندخلها، نخوضُ  
مياهاها السرعى، ويغمرنا هنا مطرٌ،  
فيلمسنا ونسهر  
حُلْمنا عيناك، جبهتُك،  
اتجاهُك يا جواد النار  
وجهُك طالع/ ستراه في أشواقنا،  
أقبل!

علامتنا جبينك، مُرَّ مُرَّ بنا،  
فمن بدأوا استراحوا  
قبلما تعبوا، فمرَّ بنا  
وشارتنا إليك: دمَّ بجبهتنا  
وأغنيةً لمن يأتون يومًا، بعد أن نمضي

.....  
إن المفاوضات - وضات - ضات - آت - ت  
التي يقوم بها زعمائكم - عماؤكم - كم - كم.  
إلخ ... إلخ ... إلخ ... إلخ ... إلخ ...  
إلخ

.....  
ويطلع وجهك المنذور يا قسام ليس كمثله شيء  
دريت بنا  
ولم يدر الكبار، وإذ سعدت إلى الجبال  
تدحرجت  
كلماتهم  
أوراقهم  
ومترجموهم  
مع صرار السفح للوادي  
وكان رصاصك المنذور يخرق كل ما ألفوا  
وكان خروجك الجبلي شارتنا،  
ورؤيتك انسراح الأرض،  
قبضتك انتفاضتها  
ويا خرق التعود، يا اتجاه النار،  
يا وجهًا وليس كمثله شيء  
و «يعبد» تشتهيك، وصحبك ابتاعوا بنادقهم  
بأكياس الطحين:  
تمزقت أرجوحة الوجهاء  
كان بريق «يعبد» في عيونك،  
حيث كانت قهوة المندوب  
فوق شفاههم،  
وصعدت مثل رفيف آلاف البيارق في  
الرياح، سعدت للجبل  
الذي وقيت نذر الدم فوق صخور قمته،  
تقاطع بينكم سيل الرصاص/ القتل  
وارتفعت إلى كبد  
السما نجمه:

ومولد شارة أولى،  
وليس كمثلها شيء  
وثيقة

إن قضية فلسطين المقدّسة، بعد نداء ملوكها وأمرائها العرب، وتعهدهم وضمّانهم في إنالة البلاد  
حقوقها، أصبحت قضية عربية، وقضية كرامة وشرف للملوك والأمراء وللأمة العربية كافة. لهذا  
ترى قيادة جيش الثورة اعتمادًا على ضمانة الملوك والأمراء وحفظًا لسلامة المفاوضات، ولعدم  
جعل أي ذريعة للخصم يتذرّع بها للعبث في الحقوق المضمونة أن يترك الميدان مرابطًا بجميع  
قواته، بعد أن لم يبق له أي عمل.

٢٢/١١/١٩٣٦

ملف وثائق فلسطين. ص ٥٨٧

صوت القتلى:

تفرّقنا

وأبعَدنا زمان القتل،

كان خروجنا الدموي يترككم

لأعيننا التي تشهد

ومن ينس الذي يبقى

فإن ضجيج أصداد العناصر

واصطفاق جناحي الطير الذي

لا يترك التحليق طول الدهر

سوف تقيم دائرة

وتمزج في طقوس عقابها الوثني شارتنا

وتنسج في دوائرها لكم خيط الحياة،

تمدّه

وتظل تبرمه ليقوى ضد عادية الخطوب

وبعد [في مهل] تدير مقصّها الأزلي، تقطعه

فيسقط في صحاري العقم من ينسى

وتزحف حوله الكتبان

تلحق خطوه المذعور

إذ يمشي ويحمل راية بيضاء للقتلة.

## نذر الدم

ها نحن نُطارِدُ ثانيةً!

.....  
أُتحدِّثُ عن غابةٍ وردٍ أحمرٍ  
ها نحن وقفنا في الحقل  
المحدودِ بأضلاعِ النارِ  
يدنو اللهبُ من الأشجارِ ومنا  
أيدينا والأغصانِ الداكنةِ امتدت في الريحِ  
نَفَرْتُ خيرَ الأحصنةِ بخيرِ الفرسانِ  
أُتحدِّثُ عن شمسٍ تدوي  
أضلاعِ النارِ تضيقُ تضيقُ  
أُتحدِّثُ عن غابةٍ وردٍ أحمرٍ  
أضلاعِ النارِ اقتربت أكثرَ  
فتعالِي  
يا سيدةِ الوردِ ويا سيدةِ النذرِ  
ها نحن نُطارِدُ ثانيةً.

١٩٧٣



## سادات في الأفق طيور عمياء

لأن الأوضاع على ما هي  
فإنها لن تبقى على ما هي

بريخت

مَنْ هذا الطارقُ أبوابَ الليل؟

الآتي من أسئلة الكل؟

هل يحمل أي جواب،

فعلاً؟ موتاً؟ إنهاضاً؟

هل يحمل في كفيه نبوءة أم يحمل رأسه؟!]

في الحلم رأيت طيوراً عمياء

ومحملة برسائل لا تُقرأ

وعدوا منتصب القامة

[وأبي يتساءل مبهوئاً، إن كان عدواً أم لا!]

ومرايا خلف مرايا وأمام مرايا

وعلى الجنين رأيت مرايا

وأبي يتكرّر فيها وحده

وعلّت في الساحة جدران ملساء

أخطو مذعوراً فوق حفايفها

وبكيت السقف، بكيت الأرض، تدليت

(صرت احتمالات)

ثم واصلت النوم

وها هو ذا يدق يدق، والوادي يباغته انفجار السيل،

ينقصف

السفرجل تحته والتّين والزيتون والخروب

وطاف الراكض المشدوه حول مداخل القرية،

و «عين الدير» تحت السيل، لا رعيان، لا قطعان،

لا ناطورها الأبدية «حمدان» الوحيد العين

وعشته التي لم يبتعد عنها

سوى ليزفه الأصحاب يوم زواجه الرابع،

تبعثر قشها القصبى وانجرفت

وظلّت بندقيته معلقة على غصن السفرجلة العتيقة

[في الأفق طيور عمياء

وأبي: الأمر النهي الجهل الوعد

يتكرر يتكرر يتكرر]

وهذا الراكض المشدوه حول مداخل القرية

يدق. يدق، والأبواب موصدة،

[الطاقة بين الغصنين

القتلى بين الأشجار]  
وفي صبح، توهمناه، كان الطائرُ الأعمى  
يحطُّ على السفرجلة العتيقة  
وكان يُنقلُّ الخطوات بين الورد والقتلى  
[امنحنا الوجّهة واتركنا  
لا .. لا تتركنا فوق حفاقي الجدران]  
سادت في الأفق طيورٌ عمياء  
حطَّت طارت حطَّت طارت حطَّت طارت حطَّت  
و .. از .. د .. ا .. د القتلى بين الأشجار.  
خفتت موسيقى الأشياء  
هدأت أصوات الكون  
وها هو ذا يدقّ يدقّ  
يطلق صوته المفتوح  
في الوادي الفلسطيني.  
١٩٧١

## رضوى

افتتاحية

كما يدخل الماء جوف الصخور  
بقربتنا في فصول الشتاء  
يشق له ألف درب بباطن أعلى الجبال  
ويخلد فيها كثعلبية ترقبُ  
ويصغي لوقع خطى الزارعين  
وشقّ المحاريث للأرض عامًا فعامًا  
ويخرج نهرًا، ونبعًا، ونافورة تسكبُ  
ويهتف كالطفل:  
ها قد أتيتُ، تعالوا اشربوا  
فيشرب منه اليمام وأهل القرى  
وقوافلُ ضلّتْ، وسنجابةٌ تلعبُ  
وتنغمر الأرض بالبرتقال  
وتحمرُّ فيها الورود، وتنضج كل الثمار الوليدة  
كذلك حبك يدخلني  
ويشرق وجه القصيدة

\* \* \*

رضوى

يا قمح الخابية الذهبية  
تنضجك الشمس المصرية  
خبزًا للفلاحين يقوتهم  
كي تبنذر أيديهم قمحًا آخر  
وتصيّرهُ أيدهم خبزًا  
وتصيرين

\* \* \*

قومي يا دائرة الأشكال  
وضمي هذا الكون الطفل  
تعالى نتبادل حمل الكون الطفل بكفينا  
فالكون جميلٌ، وثقيلٌ، فتعالى  
إني وحدي

\* \* \*

لو ألقاك على جبل في التيه، وما فيه  
إلا أشواك الصحراء ووهج الشمس  
انبعث الناس من الرمل وجاء الأطفال  
ورجالٌ وشيوخٌ وقبائل

وستجري في الصحراء الأنهار  
يتعمد فيها الأطفال  
يصبح وهج الشمس الشريرة ضوءًا للعشاق  
وعينًا ترعى الأولاد اللاهين  
يبرق في الأفق البرق الفضي وينهمر المطرُ  
تترامى غابات الورد  
وينبعث البشرُ  
وأصير أنا  
وتصيرين

\* \* \*

وإذا أمشي عند حفاقي الشمس  
أوقفني النيل جوار الشارع  
قاسمني حفنة فستق  
وتحدثنا  
أخبرني أنك ذات صباح  
قدمت له وردة  
وأتى بجميع الأطفال يحدثهم عن رضوى  
ذات العينين الواسعتين  
أخبرني أن الوردة كبرت في وهج الشمس  
حدثني النيل وقال:  
سألتني عنها الأشجار  
سألتني عنها قطرات الأمطار  
سألتني عنها أطياف الفجر  
سألتني عنها مصر.

\* \* \*

يا ذات الوجه المنذور لأرض الدلتا  
ولحب فلسطيني مُتَعَبٌ  
يا رضوى، يا ذات الوجه الطيب  
يسري في جسمي نهجٌ وشراع  
وأنا أبحر داخل نفسي كل مساء  
يحملني تيار الغامض نحو جبينك  
وأنا أبحر داخل نفسي  
داخل شعري كل مساء  
يحملني تيار الغامض نحو جبينك  
وأنا أبحر داخل نفسي داخل شعري داخل وطني كل مساء  
يحملني تيار الغامض نحو جبينك  
يتحول لون شعري العادي

إلى لون الدم المسفوك  
على «كوبري عباس»  
تطلع فيه بنفسجة المنذورين  
يقفون جوار النصب التذكاري «ونهضة مصر»  
نذروا أنفسهم للعري الحارق  
كي يكسوا وطنًا عرّاه الأقرام وهم يلهون  
يا رضوى  
وأنا أبحر نحوك كل مساء  
أحمل في مركبتي الكنعانية تاريخ الشهداء جميعًا

\* \* \*

يا ذات الوجه المنذور لأرض الدلتا  
ولحب فلسطيني مُتَعَب  
لما جئتُك جئتُ كحبة زيتون عارية  
لم أحمل ذهبًا أو وعدًا  
لكني حملتك وعدًا بقصيدة  
ونذرنا نفسينا للعشق فلا ندري  
من فينا المعشوق ومن فينا وطن المعشوق  
ومتى نعشق هذا أو ذاك  
ما بين الراحة والزنزانة  
ما بين الصمت وبين الصوت  
ما بين الميلاد وبين الموت  
يا ذات الوجه المنذور لأرض الدلتا  
ولحب فلسطيني مُتَعَب  
إن كان الموسم هذا العام شحيحًا  
والزيتون قليلًا في كلّ خوابينا  
فلنقرع أسماع العالم:  
موعدنا العام القادم

\* \* \*

سميتك أول مقتول خلف متاريس الكوميونة  
سميتك أول مولود في مصر الحرة  
سميتك أول عاشقة منذ الطوفان  
سميتك أول فلاح ينضم لعز الدين القسام  
سميتك أجمل طفلٍ ترضعه بين الغابات غزاله  
تطلع من بين يديه الأشجار  
لتمنح ظلًا لمواكب كل الناجين من المأساة  
تطلع من كفيه ينابيع الماء  
لتنسقي أهل السرّ الماشين إلى القدر الآخر

سيمتك أشجع من يحمي الباب  
الموروب من الإعمار  
سيمتك راية بلدي  
إذ يرفعها أول من يصل الأسوار

\* \* \*

يا من وصفتها كل مواويل الرعيان  
وشدتها كل أغاني الفلاحين  
يا من كتبتها الأيدي  
فوق الجدران الضيقة السوداء  
يا ضد جميع جرائمنا الرسمية  
إني أقرأ في عينيك الوقت القادم

\* \* \*

تأتيني ليلة أن رسموا لحبيبي دائرةً  
كالقرش المثقوب وقالوا  
لا تتخطاها  
كي نرضى عنك  
وقال حبيبي لا  
فغداً دائرة تحتضن بلاد الله  
خرج حبيبي من دائرة القرش المثقوب إلى البيدر  
وكحبات القمح توزع بين سهول المنذورين  
وغدا دالية يزرعها معتقل  
تطعمه عنقوداً في كل مساء  
خرج حبيبي من دائرة القرش المثقوب  
واختار لمولده يوماً آخر  
فاتسع الوطن  
كما يتسع الأفق أمام المهر النافر

\* \* \*

أنا يا رضوتي الراعي الذي مزماره القصبى لا يتعب  
أغنيك  
عتاباً، ميجاناً، شعراً أسمىك  
وحقلاً لليمامات الصغيرة  
تطلعين الزاد للأغنام والرعيان  
هل لي أن أساويك  
سوى بالبيت  
والوطن الذي تعطيه كي يزهو فيعطيك  
وهل لي أن أساويك  
سوى برنين باب السجن حين

يرن منفتحًا على الشمس  
وهل لي أن أساويك  
سوى بعذاب ليل النيل  
أو بتوجع القدس  
ألا يا ظبية شردت وراء البحر  
إني طفلك الراعي  
وأنت الأفق أمشي نحوك، اقتربي  
فخر فاني الصغيرة، أسطري، شعري نأت عني  
ولست أنا بصيادٍ لأفزع ظبية شردت  
ولكني أنا الراعي،  
الذي مزماره القصبى لا يتعب  
أغنيك  
عتابًا، ميجانا، شعرًا، أسميك  
وأركض نحوك، اقتربي  
وأركض أركض، اقتربي  
تعالى ربة للخصب أحملها على زندي  
أطوف بها بلاد الله والفقراء  
أكرز فيهم باسمك،  
أقول: علامتي صوتك  
أقول: علامتي جسدك  
تعالى أحتضنك ينور النوار  
تطلع نبعه فواره في الأرض ما بخلت على أحد  
تعالى خلصيني من تعودي الحياة على مدار العام  
واخترقي تكرر أوجه الأشياء  
تعالى وادخلي جسدي  
تعالى وادخلي جسدي  
وليس برفق من يتجنب الأشواك حين يداعب الزهرة  
ولكن  
مثل عاصفة على شجر الصنبور في ملاعبه  
ومثل تنقل النيران في الحطب  
توجوج في جفاف الجذع جامحة  
فكل شرارة نجم  
وكل توهج جمرة  
تعالى مثل مكتشف  
يمزق بعد رحلته خرائطه القديمة  
غيريني وادخلي جسدي  
كعصيان على متن السفينة

تستبد بها رياح البحر (يا أشياء كوني  
كيفما شئنا، ويا صاري السفينة،  
اعبر الدنيا وحيداً  
أو تكسّر)

تعالى صيريني مثلما الزيتون تعصره الرحي زيتاً  
ويمهر حلوة زُفت لفلح ترقب ثروة الموسم  
تعالى وادخلي جسدي  
كهبة ريح

يصلي ألف بحار لمقدمها  
توقفت السفينة في أعالي البحر  
من شخّ الرياح بهم  
وفي أقصى الموانئ ترقب الحلوات عودتهم  
وهبي

علّ شاطنهم يلوح، تلوح في كل المرافئ  
رفة المنديل في الأيدي .....

وتخبرنا نوارس شاطئ الأيام  
أن الواقفين على الموانئ صادقون  
وأن موج البحر كاذب

تعالى وادخلي جسدي  
كرش هبّ من خرطوش صياد على الدوري  
كوني الآن لاذعة  
كأحلى ما تكونين

ادخلي جسدي  
كما الشلال يدخل أول النهر  
ارفديني

ولنكن نهراً  
عظيماً ما له مثل

ونركض: علناً نصل

\* \* \*

عيناك! تطول حكاية عينيك  
فرسٌ أطلقها البرق من الشرق  
لمحتني، حملتني عبر التاريخ إليك  
ها هي تعدو فوق بيادرنا  
المرشوشة بالأمطار  
تعدو فوق المرج  
فيلتفت الفلاحون  
رفعوا أجسادهم التعبى



والتفتوا:  
فرس تعدو فوق المرج  
... يعودون لجني المحصول.

.....  
فهاتي نظرةً في البعد أجلس في مساحتها  
كطفل بعدما عوقب  
يقرفص صامتاً ويغالب الدمعا  
يظل معلق النظرات يرسلها إلى أمه  
كأن صلاة كل المؤمنين تحل في جسمه  
فيخشع بين أيديها  
وقد يضحك  
وقد يبكي  
فهاتي نظرة في البعد  
أجلس في مساحتها  
كطفل بعدما عوقب

.....  
وحدي أحمل أفراح الغابات  
والأنهار السرية، عباد الشمس  
أحملها  
أحمل قاعات المعتصمين الشبان بليلات البرد  
أحمل أحزان الغابات  
والأشعار وكل موثيق المطلوبين  
أحمل باقات النرجس من «عين الدَّيْر»  
تلذعني رائحة الزعتر  
وأراني حلّوا،  
خبّالاً تحكيه مواويل القرية  
وتجُنُّ مياه النهر بأغنية الأطفال  
«أبحرث كل المراكب  
هَرَبْتُ كل الثعالب  
يا غراب الجوع لا تنعق علينا  
أصبح المغلوب غالب  
هَلُّويا!»

\* \* \*

عيناك! تطول حكاية عينيك  
فرسٌ أطلقها البرق من الشرق  
لمحتني،  
حملتني

عبر التاريخ إليك  
يسكنني شعر الورد وشعر النذر:  
ما دامت عينك دليلاً لنشيدي  
فأنا شاعر  
وأنا والشعرُ لعينيك

\* \* \*

تأتيني أمسيةُ ترقبنا وقع الأقدام  
على درج البيت  
والطرق على الباب النائم  
ها قد جاءوا في طلبك  
لا .. لم يصلوا .. بعد  
كانت عينك الخائفتان قليلاً  
والعارفتان كثيراً  
أقوى منهم

\* \* \*

حين ذهبت  
مالت أزهار اللوتس نحو الماء  
ومدّت كفيها تستبقيك

\* \* \*

حين ذهبتِ  
حقل من عباد الشمس تلفت نحوك

\* \* \*

حين ذهبتِ  
صعدت كل الأفراس البيضاء لأعلى التل  
تنتظر تفتح زهرات الوادي  
كي تعرف أنك عدتِ

\* \* \*

حين ذهبتِ  
تغيّر معنى الطرق على الباب  
وتغيّر عنوان البيتِ

\* \* \*

يسألني أطفال الحي  
اللاهون وراء فراشات العصر:  
هل أنت اليوم بلا أختك؟  
فأقول لهم  
أختي ذهبت بعد البحر  
فانتقلت غابات اللوز الأخضر

بعد البحر  
أختي ذهببت بعد البحر  
فانتقلت أشتال الزيتون الذهبية  
بعد البحر  
وأقول لهم  
العالم  
يرحل عني بعد البحر  
وأنا  
أتحمّل وحدي  
أتحمّل  
يا أطفال الحي  
اللاهين وراء فراشات العصر  
مهمّة أن أحيا

\* \* \*

يا زوجتي الغائبة بعيدًا، بعد البحر  
أتوهم في ليلي أن النوم عميق  
لكنّ غزالات الحلم الواسعة العينين توافيني  
تأتيني أمسية الفستان الأزرق  
لما غافلت البحر نهارًا  
وسرقت لفستانك لونه  
فأسودّ البحر طوال الليل  
يتهامس مع موجاته  
ويهدئ من غضبتها الصاخبة عليه  
ويعدّها أن يسحرك بسحر الشمس النائمة وراءه  
يأخذك بعيدًا في صحراء البحر  
ويُرجع لونه  
وتموّج فستانك باللون البحريّ على جسدي  
وتعانقنا بين الرمل وبين الماء  
لكنّ الشمس النائمة وراء البحر  
سحرتك كما وعدت، لما بزغت  
وأعدت للبحر الزرقة  
فخطفك يهددك السحر الشمسي  
وغلبني  
أعلنت هزيمتي القاسية وحيدًا عند الشاطئ  
أرسل عينيّ بعيدًا .. بعد البحر  
من يرفع عن محبوبتي  
هذا السحر

من يعطيني قوته الخارقة  
لأغلب بحرًا  
فأنا أرسل عينيَّ إليك أصيْحُ أصيْحُ  
غلبني البحر

\* \* \*

يا زوجتي الغائبة بعيدًا، بعد البحر  
أتوهم في ليلي أن النوم عميق  
أستيقظ عند الفجر  
فتطلّ مع الفجر قصيدة  
تسألني عنك  
لا أبكي  
أذهب لحظات لسريرك  
تستيقظ منه قصيدة  
وتقول «صباح الخير»  
وأقول «صباح النور»  
أخذها من كفيها  
وأعود إلى قلمي وإلى الدفتر  
تجلس بجواري  
واضعة راحتها فوق الخدّ  
تسألني عنك  
لا أبكي  
أنظر للمكتبة الهادئة كما كانت دومًا  
في ركن البيت  
وأرى أوراقك ألمسها  
ترتعث على شفتي قصيدة  
تسألني عنك  
لا أبكي  
وأمدّ يديّ إلى ألجوم الصور الأحمر  
فتطلّ قصيدة  
تنتشر قصائدك، تحيط بطاولتي  
نتحدث عنك طوال الليل  
وتهلّ الشمس  
ويجيء نهار آخر  
وتردّد كل قصائدك نشيدًا في الأحلام:  
أمي تركنتني عند الفجر  
أمي ذهبت بعد البحر  
هاتيها يا فرس الشعر

وسأسقيك حليبًا مسحورًا  
يحملك إليها  
فتعالى يا آلهة السحر  
واسقى الفرس الفضية حتى تشبع  
وانتظريها حتى ترجع  
تعدو الفرس المسحورة تبحث عنك بعيدًا  
.. بعد البحر  
ويجيء الظهر  
ويجيء العصر  
ويطل الفجر  
ويمر نهار آخر  
تخرج فلاحات قرانا  
يحملن دلاءً  
يرشقن سماء القرية برذاذ الماء  
ويغنين نشيد الاستسقاء  
يا رضوى  
وأنا أستسقيك  
ودلوي مملوء بزهور الأشعار  
أرشقها بين يديك  
وأدورها سبع أساور في زنديك  
أفرشها فوق طريقك  
يفرغ دلوي المملوء، فهل يأذن محبوبى لحظة  
لأعود إلى بيتي البري النائي  
كي أحضر دلواً آخر  
مملوءاً بزهور الأشعار  
أرشقها طول الموسم بين يديك،  
وفوق طريقك  
فأنا  
كالفلاحات بقريتنا  
أخرج في الليل لأستسقيك تهلين عليّ  
وأظلل أطوف القرية  
أستسقيك فهلي هلي،  
هطلت أمطار الفلاحات  
فغنين نشيد الشكر لآلهة الأمطار  
وروحن  
وأخلين الساحات  
أما شاعرك الواقف في عري ظلام القرية

ما زال يغني وحده  
غطاه ندى الليل وكَلَّتْ قدماه  
يا رضوى باحت لي أصغر نجمة:  
راعينا يأخذنا الليلة بحثًا عن رضوى  
فتعال لعلك تلقاها  
يا رضوى  
إني والقمر الراعي والنجمات نسير إليك الليلة  
وأنا والقمر الراعي والنجمات تعبنا ونعسنا  
هل تأتئين؟

\* \* \*

يا رضوى الغائبة بعيدًا  
بعد البحر  
ها نحن حَمَلْنَا باقات الورد الأحمر  
وتوزَّعنا  
في كل مداخل قرينتنا  
ننتظر خطاك،  
يا رضوى  
الزرع الأخضر طفلٌ  
القمر الأحمر طفلٌ  
والعالم طفل  
فتعال  
ها نحن توزعنا في كل مداخل قرينتنا  
ها نحن حملنا باقات الورد الأحمر

١٩٧٣

# الطوفان وإعادة التكوين

بيروت ١٩٧٢

الإهداء  
إلى رضوى عاشور



لو كانت عكا خايفة من هدير البحر  
ما وقفنش ع الشط  
مثل فلسطيني

## قصيدة للزمن الفلسطيني

يكبر الجرحُ على جبهتها  
ويجيء الناعقُ الغابيُّ مثلومَ التقاطيعِ وينمو  
ألفُ ثلْمٍ فوق أراضِي  
والتجاعيد على وجه جنين أنثويِّ كلِّما  
ولدتَه المرأةُ ارتدَّ إلى الرَّحْمِ  
لئُمضي يومَهُ التاليَ انتظارًا للولادة  
(أنا شاهدت مولدَهُ مساءً الأربعاء هنا  
وعودتُهُ صباحَ اليومِ للرحمِ الممزَّقِ منهكِ النبضِ  
وأخبرني بأن رجوعَهُ هذا هو السابع)

.....  
يَسْقُطُ الثلجُ على جبهتها

.....  
ومغنيها يشقُّ الدربَ بالكفينِ والآتي الخرافيُّ وراءه  
وجهُه بيدِرُ قمحٍ مشبَعٍ بالمطرِ  
راحته اخضرتُ بالثمرِ  
تطلع الجنية المسلوبة العينين من تُربة جاري  
أه من طلعتها الشاحبة اللونِ ومن قصتها  
(أنا شاهدت مولده الخميس هنا  
وعودتُهُ صباحَ الجمعةِ التالي لرحمِ الأمِ  
وأخبرني بأن رجوعَهُ هذا هو الثامن)

.....  
ومغنيها يردُّ الزاحفين الكثر عن عفتها

.....  
وذكور الطير والسخط الذبابي الذي يملأ أحشاء الدوائر  
حاملاً أصوات من ماتوا على ساحتها:  
حزمةٌ من حطب الغاب تعود  
خضرة الإخصاب فيها، والوريقات. وتمتد جذورُ  
في الترابِ  
(فتولج في الهواء غصونها الخضراء  
وترتج البراعمُ في جوانبها  
وترتعش الذوائب في أعاليها  
وأنا أمشي على بيدر أيامي الذي يصغر عامًا بعد عام  
أنزف العمر على عزَّتِها  
حاملاً كلَّ بذوري وانتظاري  
(أنا شاهدت يوم الجمعة المغبر مولدَهُ

وعودته صباح السبت للرحم الممزق  
صاخب النبض  
وأخبرني بأن رجوعه هذا هو التاسع)

.....  
يُثمر الجرح على جبهتها

.....  
ويشق الذكْرُ البريُّ في تربتها  
كل أتلام التواربخ التي نمقتها  
أه من طلعتها الشاحبة اللون ومن قصَّتها  
ماتت الأيام فيها ستّ مرات وقبل السابعة  
كانت اللحظة أعلى ونداء الدرب أحلى  
وخطى الصبية أجمل  
حينما مروا عن المنعطف الأصفر  
وامتدت خطاهم للجبال

\* \* \*

أنا شاهدت مولده الأخير هنا مساء اليوم  
وما زالت عيوني السود أسئلةً تحدّق في صباح العَدُو.

١٧/٤/١٩٧٠

## الطوفان وإعادة التكوين

لا شكلَ للوحول  
شاهدتُ جثتهُ تسدُّ الشَّقَّ في رحم الجدار  
فلمحتُ فكرةَ شاعرٍ لم تولدِ  
وعلى الترابِ رأيتها لا تنتهي أو تبتدي  
أسرابَ خلقٍ عند أقدام الجدارِ  
ذهبوا وجيء بهم وعادوا يذهبون  
وكأنهم يتناوبون لفتح باب  
- اجلسْ فأنت هنا سجين الاضطراب  
- أعياء خطاي الانتظار  
- والباب يقبع كالعجوز المُقعدِ  
الظل والنار:  
ذهبوا وجيء بهم وعادوا يذهبون  
سكنوا إلى ظل الجدار  
والأرض جمرة موقدِ  
- هل عاد يوليسيس من رحم البحار؟  
- أهو المغني في الطريق يعد خطوات النهار؟  
(- سقراط ينتظر الحياة وكأس سم في انتظار  
- وقضاته صنم انتظار  
- ماذا يدبر للغد؟  
- ماذا يدبر للغد؟  
جذور كامنة:  
ويمرّ نخاسون تتبعهم إماء  
ونداء دلالين ما اختلفوا ولا اختلف النداء  
هابيل يسمع صوتهم في القبر منكفئاً كما انكفأ الجنين.  
حلم:  
وغناء قرصانٍ دميم الصوتِ يأتي من وراء  
متهافئاً يدنو بإيقاع بليد  
متقطّعا كشروخ آلاف المرايا. والرجال  
ركبوا البحار بخفق مجداف وحيدٍ  
خطوات بلقيس (رؤيا)  
بلقيس قد بُعثتْ تهيم بلا عيون  
تتلمس الخطوات ما بين التكالى الساهمات  
وتمد كفيها فتبصر ما تجعد من ضروع المرضعات  
- هيا فما الطوفان منتظراً لنا  
- أني سابقي ها هنا

- فلتحملي منديلنا المعقودَ، زادًا للطريق

- وأنا سأحمل ما تبقى من متاع

- إنا سنمكثُ ها هنا

- هيا بنا

إنا سنمكثُ ها هنا

وتشقى بلقيس الكفيفة دربها بين الركاب

عمياء يضيئها التعرُّ والظمأ

وكان مصباحًا أضيء هنيهةً ثم انطفأ

وانقضَّ ماربُ راح يضربُ راح يزارُ راح يلتهم الرجالُ

وكانَّ وجه الأرض كُور وانكفأ!

الموت في سفائن الورق

- قلبي على ولدي البعيد

- أو لا تكف عن السفر؟

- مندليك المعقود لا تنساه - زادك في الطريق

- واذهب رعاك الله إني في انتظار.

(وعلى مياه النهر قد نُثِرَتْ سفائنُ من ورق)

أخفت ثناياها قروشًا أكلاتٍ للصغار

وتراكض الأطفال ما خافوا الغرق

ذهبوا ..

وعاد النهر أحمر كالشفق

ولمحت مشهدها الأخير:

الجبَّة الصفراء قابعة على صمت المساء

صمت المساء ...

والرياح آتية من الشرق المضاء

والقوس مشدود الوتر

١٤/١/١٩٦٩

## الفلسطينيون

- ١ -

وما زال الغد الآتي حصانًا في حقول الظن  
ولكنني أرى الخيال مرتديًا إزار الموت  
فهاتوا يا نواطير البساتين البعيدة أجمل الثمرات  
وزواداتكم والزيت والزيتون والوردات  
وغنوا من مرثي أعتق الجدّات أغنية:  
(احكوا لنا ياللي رأيتمهم  
ماتوا عطش ولا سقيتمهم؟)

- ٢ -

أحب عنادك الجبليّ يا وطني  
أضمّ جبينك المهموم في صدري ولا أشقى  
ولا أبكي لأن مراكب الإنقاذ قد زادت قوائم أهلك الخرقى  
ولا أستحلف الأمواج أن تأتي  
بهم أحياء ثانية، ولست بلاعن زمني  
ولا أبكي انقضاء الأمس يا وطني  
فإن غرقا وإن شنقًا وإن حرقا  
فإننا دائمًا نمشي على أعمارنا نلتقك  
وإننا دائمًا نمضي  
وأنتك دائمًا تبقى

- ٣ -

جبينك قلعة المهزوم يا حبي فضمّيني  
أعيديني إليك لأبدأ الأيام ثانية! أعيديني  
وهاتي كفاك الحقليّ يا حبي وداويني  
فإنني سيفك المكسور والملقى على الطين  
وإنني اليوم مهزوم  
ولكنني فلسطيني

- ٤ -

«لا تُظنّ دمعي خوف دمعي ع أوطاني  
وع كمشة زغاليل بالبيت جوعاني  
مين راح يطعمها بعدي؟ وإخواني  
إثنين قبلي شباب ع المشنقة راحوا!  
ظنيت إلنا كبار تمشي وراها رجال  
تخسى الكبار إن كان هيك الكبار أنذال  
والله اللي ع روسهم ما تصلح لنا نعال  
إحنا اللي نحمي الوطن ونبوّس جراحوا!»

يعلّق جدّي الآتي من الوديان قُمبازه  
وحطّته وعكّازه:

وأوراق « الزّتون » هناك

يصبغها احمرار الدّم والحمرّة

فهل ستواصل استمرارك المجبول بالعادة؟

وتشرب قهوة الإفطار في الشرفّة

وتسمع نشرة الأخبار قبل النوم؟»

\* \* \*

وحين مضى مع التاريخ والنسيان

لمحتُ على وجاق البيت قُمبازه

وكان بياضه يحمرّ مصطبغاً بلون الدم.

## أسفارُ مُعاصرة

- ١ -

أعناقُ خيلك تستدير إلى وراء  
نفرت من المرئيّ.  
ويبلل العرق المضاء  
أعرافها الغبراء والغمد المدلى دون سيف  
لا ترو عن أسفارك المتوحشة  
مُترقبوك مضوا وهيمَنَ في المكانُ  
ظُلُ الغيوم كمضربٍ لخيام قوم هاجروا غرباً وما  
حملوا الخيام  
العطش مُلئى في طريقنا  
كجثث النياق المنتفخة  
مررنا عن قبور كثيرة  
وكانت الشواهد  
تمجد كل المقبورين!  
وكان الأفق مرآة مُصدّعة، وبعض الشمس مخفياً  
وفي وجه الخيول  
بعض البكاء  
واستوقفوك!  
وبلادك المسحورة ابتعدت وغلغلها الغيابُ  
وكان لفح الريح صيفياً وأعمدة الغبار  
جسراً من النفي المعلق  
حين ألقمك الغزاة السهمَ  
واستلبوك يقظتك الثمينة  
وتواصلُ الدنيا .. وتمشي  
وبلادك المسحورة ابتعدت وغلغلها الغيابُ  
وأنت تمشي نازقاً  
واستوقفوك!  
وعرفت أن جراحك ازدحمت على أبواب موتك  
واستبدَّ بك التداخل في الحياة سُدى  
وكان الأفقُ مرآةً مُصدّعةً  
وفي عينيك بعض الدمع يبدو ثم لا يبدو  
وكنت الأول الآخر!  
فارسنا المتعب  
نام على الجواد  
فارسنا كان ينفذ عن جراح وجّهه



حبات الرمل  
(كان ينفذها بوهن)

- ٢ -

مررنا بين قبور كثيرة  
ووراء الكتبان المتحركة  
رأينا بيوتاً بيضاء  
لا نوافذ فيها ولا أبواب  
(سمعنا منها أصواتاً بشرية)  
تَفْتَحِي! تَفْتَحِي!  
يا زهرة البيوتِ يا مداخل الأسوار  
وقدمي للفارس المسكون بالأسفار  
وردة حمراء أو أغنية عن الوصول)

\* \* \*

وتدور حول السور خيلك  
والغبار يلوذ بالخطوات  
يسرق من أمامك كل آثار المدينة  
وتجنيك الأصوات صحراوية الرجع: «ارتدع!»  
وتطير آلاف السهام  
وبينها، كالومض، يعبر طائر  
لم يرتبك  
وتروح تنزع ما أصابك من سهام  
وتمر  
تعبر. والعمائر تخنفي  
وتظل مثل السيف فردا  
وتظل تحمل في يديك حياتك الحمراء  
تسكبها على سور المدينة

تموز ١٩٧١

## الذي حدث

ليلٌ مقتولُ العينينُ  
والريح بيادر محصودة  
وحصان العائلة النبيُّ بلا سيقان  
وأمام الباب جلستُ على ماء البركة  
أذناي بقايا أنشودة:  
(الريح بيادر محصودة  
من راحوا راحوا يا دار  
أعتاب البيت هوت  
ينجرف البيت ومن في البيت  
ينجرف البيت  
افتح عينيك!  
افتح عينيك!  
فالليل هنا مئت العينين!  
طفلان هنا  
هويا في القاع  
وسمعتُ من الوادي صوتين  
وأنا .....  
وأنا أهوي في قاع البركة  
وتغطيني الأمواج إلى الأذنين  
ومياه البركة تهمس في الأذنين:  
(ما أوجع أن تنسانا عين الأهل!)  
مرت أيامٌ .. مرت أعوامٌ  
وأنا أمضي بحثاً عن رب البيت  
عن والد هذين الطفلين!

تشرين أول ١٩٦٨

## المنافي

الموج يقذف بالمحار من البحار إلى الرمال  
ويمد فوق خرائب الصحراء أغطية الزمن  
هرمت بقاع الأرض - لا ظلّ يداعبها  
ولا قمر يساهاها ولا حاد يغنيها  
وأنا أهدق عبر أشعة الخليج وعبر رجرجة المياه -  
إذا شعاع الشمس عند المغرب الرواح بالمحمر من كفيه  
هزها

وأسلمها لكف الريح ترقصها فتبعدها وتدنيها  
وتمرّ قافلة النهار بلا انتظار للغريب  
ومطارق الزمن البعيد تلوح لي عبر الممر  
ولو افح الريح المحمل بالغبار  
صخب يعربد: لا مفر  
وتغيب قافلة النهار

حزيران ١٩٦٨

## الحضيض

وَعُدَّتْ يَا خَرِيفُ يَا أَلْمَ  
فَنَشْتُ فِي جِيُوبِ سِتْرَتِي  
عَنْ «مَرْحَبًا» أَمْدَهَا إِلَيْكَ بِالْيَدَيْنِ  
فَلَمْ أَجِدْ  
وَعِنْدَمَا مَرَرْتُ فِي الطَّرِيقِ  
تَعَثَّرْتُ خَطَايَا يَا خَرِيفُ  
بِالَّذِي بَعَثَرْتُ مِنْ وَرَقِ  
وَقَدْ حَمَلْتُ جِرَّتَيْنِ مِنْذُ صَيْفِنَا  
الَّذِي اسْتَدَارَ لِلوَرَاءِ  
فَوْقَ ظَهْرِي الَّذِي انْقَصَمَ  
لَكِنَّهُ لَمْ يَنْكَسِرْ، وَلَمْ أَمِلْ لِلْأَرْضِ  
وَالآنَ جِئْتُ يَا خَرِيفُ يَا أَلْمَ  
وَقَدْ تَكَسَّرَتْ جِرَارُنَا  
وَنَحْنُ رَاكِعُونَ نَجْمَعُ الْفَخَارَ خَوْفَ أَنْ  
تَدُوسَهُ قَدَمٌ

(يَا مَائِشِيًّا فِي حِينِنَا  
رَفَقًا إِذَا مَشَيْتِ  
قَلُوبِنَا عَلَيْكَ  
فَلْتَبْقِ حَيْثُ أَنْتِ)  
(لَا تَفْتَحِ الشَّبَّابُ!)  
(لَا تَعْلُقِ الشَّبَّابُ!)  
صَبِيئَةٌ كَانَتْ تَلْفُ بِالْحِجَابِ وَجَهَهَا الْمَلِيحَ  
فِي الشَّبَّابِ

عِيُونُهَا تَطْلُ بَيْنَ فَتَحْتَيْنِ فِي الْحِجَابِ  
(فَاللَّهُ أَوْصَى الْمُؤْمِنِينَ الْإِحْتِشَامَ)  
وَمَرَّ عَابِرٌ .. حَدَّثَهَا، مِنْ خَلْفِ ذَلِكَ الْحِجَابِ  
تَسَاوَمَا عَلَى الثَّمَنِ  
مِنْ خَلْفِ ذَلِكَ الْحِجَابِ  
وَجَاءَهَا فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ وَهِيَ تَنْتَظِرُ

.....  
وَأَقْبَلَ الصَّبَاحُ وَالصَّبِيئَةُ الرِّصِينَةُ

تَطْلُ بِالْعَيْنَيْنِ مِنْ شَبَّابِهَا

(مِنْ خَلْفِ ذَلِكَ الْحِجَابِ)

وَمَرَّ عَابِرٌ جَدِيدٌ

(وَالصَّفْقَةُ الْحَمْرَاءُ وَالْفَرَّاشُ وَالثَّمَنُ)

وبعدَها

يضيغُ في المدينة)

والناسُ والأسواقُ والأعمالُ -

أسدلت وراءه الحجاب

وعادت الفتاة للشبَّاك باحتشام

مدينةً

محمرةً الخدودِ كالحمى تهيمُ في الطريق

تمدّ كفيها لتطفئَ العطش.

تشرين الثاني / ١٩٦٧

## ميجانا

.١

«يا ميجانا يا ميجانا يا ميجانا  
زحلق حبيبي ع البلاط وَقَعْتَ انا»  
عيون مُنْشِدِ الغناء عِيدُ  
أكتافُهُ الزيتون في الجبالُ  
زنودُهُ أساور الخلاء  
يحب بنتَ العَمِّ حَبَّةُ لأوْبَةِ المساءِ  
من حصاد بيدْرِ بعيدِ  
لها يعود في المساءِ  
في راحتيه باقة من السنابل الجديدة الجنى  
«يا ميجانا يا ميجانا»  
ضمّيه يا عبلة  
وارسلي القُبلة  
تتبعها قِبلة  
فهكذا يرتاح)

.٢

يختال في الأحلام بين التربة السوداء  
وزرقة السماء  
وحلمُهُ دهران  
وحشة السنين فيهما وروعة المنى  
ينبهرُ الغناء: ميجانا  
«يا ميجانا يا ميجانا يا ميجانا  
ريح الشمالي يا نسيم بلادنا»

.٣

الدرب نحو الحقل أخضر  
أهدابه الأقاح والزهور  
ويهطل الغناء ميجانا يا ميجانا  
ويهطل الرصاص  
قنابل، دم، رصاص.. ص  
ريح الشمالي تحمل النذور  
يموت نائرٌ قبيلَ مطلعِ الصباح كلَّ يومٍ  
ويهطل الرصاص  
ويهطل الغناء:

.٤

«يا ميجانا يا ميجانا يا ميجانا»

رَنَّ سَيْفَهُ عِ الدَّرَجِ زَغَرَدَتْ اَنَا»

.....  
ينهمر الغناء ميجانا

ويهطل الرصاص

«وصرح الناطق باسم مكتب الوزير ...»

ويهطل الكذب

ويهطل الرصاص كالكذب

الجدّ كاللعب

والسيف كالكتب

وكل ما في الأفق زور

.٥

أحلامه دهران

وحشه السنين فيهما وروعة المنى

يا ميجانا يا ميجانا

ويهطل الغناء:

.٦

راح الصباح يحصدون

ومنذ مَطَّلَع الصباح يحصدون

سنابل الحقول تنحني على المناجل المفرّقة

كأن طفلاً راح يبكي فوق صدر أمه

فمات وانحني.

(يا أيها الصباح .. تحصدون

ومنذ مطلع الصباح تحصدون

فلتنظروا إلى الذي تحمله أيديكم المشقّقة

مناجلٌ كثار

وأذرعٌ كثار

وأعينٌ كثار

لكنما الجنى

سنابل

تموت في أيديكم المحترقة

ويهطل الغناء

.٧

«يا ميجانا يا ميجانا يا ميجانا

يحيا الزمان اللي جمعنا ولمّنا»

حبيبي عن وجهك المحبوب

لن أغيب

أعود في مغيب كل يوم

أعود كل يوم  
أعود كل يوم  
أع و .. د  
ويهطل الرصاص

.....

تبكيه بنت العم  
يضيع رسمه الغريب في الجبال  
يحملة الزيتون والتلال  
وعند موسم الزيتون، موسم الجنى  
سيهطل الغنا:

يا ميجانا يا ميجانا يا ميجانا  
يحيا الزمان اللي جمعنا ولمّنا  
٨.

تحملق الفتاة في الشباك  
يجيء صوته الجريح من هناك  
« - حبيبتى .. أهواك »

١٠/١٠/١٩٦٨



## عندما يختار البشر أسماءهم

هذا هو القلق المخاض

.....

تتشقق الأمواج،

تنكسر الرياح وتصبح الجدوى

سفائن حاملاتٍ أوّل الأجيال في زمنٍ جديدٍ.

عققتُ دمائي حين لم أبدأ

وكنت أنا المقدّد بالتساوي في الفصول الأربعة

وخطوت ممتهلاً، ومندهشاً خطوت، خطوت منطلقاً،

خطوت خطوتٌ مُنحطماً، ومبتدئاً خطوتٌ

واخترت اسمي.

وعبرتُ، جاسدتُ البحار

ومت في قيعانها العشباء مرات كثيرة

وُبُعثتُ مرات كثيرة

ناراً بُعثت، بُعثت عرافاً مريئياً، بُعثتُ بُعثتُ قديساً

وحين بُعثت ملعونَ الخطي باركتُ نفسي!

وأنا هنا

لكنني: الشط القصيُّ

تهبُّ منه إلى هنا ريحٌ

فهل تقفون خلف السور، هل

نظرتُ عيونكم لوجه الماء يخفي في ترجمه

السحيق البعيد

آلاف الصناديق الممسرة الصغيرة؟

هذي هي الأرض التي ستضاجع الأفعى

وتعبر فوقها كل الصفوف المستقيمة بانتظام:

متعرجٌ إني، ومنقطعٌ، ومتّصلٌ، ومننلّمٌ

وأهواك!

أهواك يُرجع صوتك الشمسيُّ

أصداء ابتداء خليقةٍ أولى

تعيش أوائل الأيام تبني أوّل المدن

مرددة نشيد نشيدها الأوّل!

نقول للأيام

ما كان لم يكن

وما نريدهُ يكون!

ويضجُ دربي بالتمائيل الكثيرة، جسري الحجريّ،

أعرفها وأعبرها إلى حرיתי الأولى

لأهواكِ .  
ومُلاحِقوكِ هم المكانُ  
وأنا السفر  
ويظل يدعوني نسيم الضفة الأخرى  
وأعراسُ العَجْر .  
تشابك الأصابع التعبى  
وخطوةٌ في الشمسِ ،  
خطوتان  
وهذه الرقصة:  
زنجيةٌ يرنّ فوق ثديها القمرُ  
أندلسية رأت بعد النوى غرناطة  
وبابلية تود لو ضاجعها تموز  
وهذه الحقول  
مغمورة ببعض ماء الشتوة الأخيرة  
وتقول لي في الحلم زائرتي الوحيدةُ  
أن طيرًا حطَّ فوق ذراعها  
ومضى  
وتقول خبرها بأن الأرضَ  
لن يتفتق النوار فيها  
قبل أن تُخفي المحارِيث العتيقة  
في سفوح القرية الجرداء  
- ثم تقول خبرها -  
بأن تستوطن الجبل المطلَّ على مياه البحر تسع سنين  
وتطلَّ توقد كل ليل نارها  
علَّ السفائن تهتدي  
وتقول -  
بحارون قد وصلوا لقرينتنا الصغيرة في المساء  
وتشققتْ في السفح أنسجة الترابِ  
تفتَّقَ النوارُ  
علَّقه الصغار على الصدور  
وطار فوق حديقة الأطفال  
رفَّ من عصافير البراري  
واستعاد السفحُ مملكة المطر .  
.....  
ويُطلُّ زهُوكِ كالنفاتِ الخيلِ فجأة!  
٢٦/٥/١٩٧١

## طائر التلال الغاضبة

يحكون أن الليل في مدينتي يموت  
وتسقط النجوم  
يحكون في مدينتي  
عن طائر معقر الجناح  
عيونه مفتوحة لا تعرف النعاس  
وريشه الجميل يا صديقتي أهداب ثوب عرس  
لكنه يطير في مدينتي  
يدور في السماء  
ويشتكي  
من غضبة التلال  
وغضبة الرياح  
فالريح يا صديقتي ترميه في البعيد  
وترفض التلال أن يحط فوقها  
صديقتي  
هل تحلمين؟؟  
ويلي إذن!  
١٩٦٣

## موت وراء النهر

صوت خلفي منفرد  
مُتٌ فيها مرتين  
مزقوا صدري ووجهي واليدين  
وراء النهر أتاكم بصدري وبوجهي واليدين . .  
وعيون الليل فكًا مقصلة  
بينما في صدره ألف نهار  
وعلى أكتافه عشرون شمسًا وقمر  
رَدَدَتْ في الصمت عرسه  
يوم ماجت ساحة الدار تغني ميجانا  
ثم طافت، زفة العرس بحارات المخيم  
(كيف كيف يا مهتد مالك زعلان  
زفينالك بهية طلق الريحان)  
وهو في الخندق شيخ وجنين  
الحركة الثانية  
يزحف الوقت ثقيلًا  
ثم ينقضّ لحوحًا مثل خوف الأمهات  
كلما عاد حصان الإبن وحده:  
(طلت الباروده والسبع ما طلّ  
يا بوز الباروده من الندى مبتل!)  
الحركة الثالثة  
(فلتداعب يا نسيم الليل شعره  
وامسح الحزن الضبابي برفق عن جبينه  
واغمري بالورد والأغصان صدره  
يا مناقير الحساسين وصلي لعيونه  
فلقد كان حبيبًا للعيون).  
- أنت خائف؟  
- ذلك الطفل الذي ندعوه خوفًا ونحبه  
نلتقيه معنا  
ربما أتعبنا  
كلما أيقن أنني خارج نحو الردى  
هتفت عيناه خذني  
وأنا أتركه  
وحده أتركه  
(أي بيت نوقد النار ببابه  
نبسط السجاد في كل رحابه

نزرع الليمون في خصب ترابه  
أي منزل  
سوف يحمي اثنين من برد الشتاء  
ويغطي سقفه العالي جنيًا سوف يُقْبَل  
أي منزل  
سوف نبنيه أجبني أي منزل؟  
قبل أن نُقتَلَ مراتٍ كثيرة!  
الحركة الرابعة:  
إنني والموت جاران وكم يُسمَعُني  
دورة المفتاح في الباب المجاور  
نتلاقى كل يوم ونسافر  
في دروبٍ كلما امتدت بعيدًا  
أرجعنا في النهاية  
تحت سقفين نعيش الانتظار

.....

يا حبيبي . .  
عندما تحمل في كفيك أعوامًا كثيرة  
وتوافيك حكايات أبيك  
سوف تلقى رجلاً  
كان يا طفلي يحب الشعراء  
ويحب الأغنيات  
ويحب الكلمات (وعلى الأرض السلام)  
مثلما كان يحبك  
يا حبيبي  
كان يخشى الموت مثلك  
ومضى يلقاه في نصف الطريق!  
ومضى يلقاه في نصف الطريق!  
كان هذا كل شيء  
يا حبيبي

(يا ملك الموت لا تدن كثيرًا فهو نائم  
في انتظار الصحو إن جاء الصباح  
ولتَطِرْ فوق الجراح الخضر يا سرب الحمام  
حاملًا عطر الندى فوق الجراح  
ثم صَقَّ مرتين).  
ها هنا يأتي الردى من غير لحظات احتضار  
ويصير الأفق حفرة  
وتعالى ضجة الموت مع الذبكة خيالًا لم تُروّض:

(كَيْفَ كَيْفَ يَا مُهَيِّدَ مَالِكُ زَعْلَانِ  
زَقِينَا لَكَ بِهِيَةِ طَلْقِ الرِّيحَانِ)  
جَوْقَةٌ خَلْفِيَّةٌ مُتَدَاخِلَةٌ  
زِينِي بِالْوَرْدِ صَدْرِهِ  
يَا مَنَاقِيرَ الْحَسَاسِينَ الَّتِي تَرْحَلُ فِي صَمْتِ الْمَسَاءِ  
فَهُوَ نَائِمٌ  
فِي انْتِظَارِ الطِّفْلِ كِي يَدْعُوهُ لِلصُّحُورِ إِذَا طَلَّ الصَّبَاحُ  
وَلتَطِيرُ فَوْقَ الْجِرَاحِ الْخَضِرِ يَا سِرْبِ الْحَمَائِمِ  
ثُمَّ صَفِّقِ مَرَّتَيْنِ!  
ثُمَّ صَفِّقِ مَرَّتَيْنِ!  
١٠ نَيْسَانَ ١٩٦٩

## كلمة فلسطينية

أقول لكم نبوءة نسريّ المقتول في العتمة  
(قُلت أنا وإياه)  
وقبل غياب قرص الشمس والعمرين في الظلمة  
هوت عيناه في عينيّ. حدّق في جبيني  
وعاد جناحه الدامي شتاءً أرجوانياً  
يرجرج مسمعي المهزوم  
ويحفر من أساطير الوري حُكمه  
«فتى الآتين! قف! ولننطق الكلمة  
فإنك أصدق الآتين  
وأول فاتحي الأبواب  
أتاني الأمس كالجرس  
وخلفي كاهن أعمى  
يطالبني بأثوابي الحريرية  
وكنت - الصدق أخبركم - أسير أمامه عريان  
من ثوبي ومن قصدي ومن نفسي.  
فمن سيخبّر الكاهن  
بأنّي لست ما يطلب  
(مررت اليوم بالراعي  
يطوف بصولجان لا يبدلُهُ  
يحثّ قطيعه أن يصعد الجبل  
ويُخفي العجز والدجلا  
ويكذب كلما قالاً  
ويكذب كلما فعلاً  
ينام وكل أغنامه  
تكذُّ لتصعد الجبل  
وصوت الذئب لا يكفيه كي ينهض)  
أحبائي  
طُردتُ اليوم من داري  
(مددت يدي لأخذ لقمة أخرى  
فصلكّ عواء كلب الدار باب الدار  
فقدت يديّ بين شقوق باب الدار  
سوى إصبع  
جلست القرفصاء أتمتم الصلوات في صمت  
وفوق السلم الملويّ كالتجار  
رسمت بإصبعي الباقي

عصا ويدا ومنقارًا على الجدران

١. وجاءتني تغطيتها المرايا

مددت يدي لأمسكها

بكيت ورحت أنشدها:

(تغيب خطاك عن دربي

وتأتيني تغطيتك المرايا

فلا ألقاك . . يا تعبي)

٢. وحين منحتها ظهري

استدارت وهي تدعوني

- جينتَ فحلت اللعنة

جينتَ فحلت اللعنة)

٣. طحنتُ زجاجها ومضيت أنشدها

(أنا خيالِك الموعود لم أضعف ولم أخن

ركبت الموت ثم حرقت في أمواجه سفني

أنا خيالِك الموعود)

٤. أحبائي:

أخاطبكم،

من الدار

وأعرفُكم . . سيطفئ بعضُكم ناري

٢٦/٥/١٩٦٩



## أمير العسكر

تتهاوى الغابات أمامي  
واحدة تلو الأخرى  
وتعود سفائن طارق  
لم تعلق فيها من أهداب النار شراره  
والجند عليها وجه طيب  
يتساءل عن عودته قبل الحرب إلى الشاطئ  
وأنا الطواف العارف أحمل في صدري حبكم الباقي  
وجبيناً أحمل فوق ثناياه همومكم المرّة  
يا ذات الوجه الطيب  
ها نحن كبرنا  
و عرفنا أن الأطفال يموتون كما يكسر جرّه  
معتوه يرقص في أسواق البلدة  
يا ذات الوجه الطيب  
أعطيني همّاً آخر!  
وسأعطيك محبة!  
إني لا أذكر أن نهراً يشبه هذا قد مرّ  
أعطيني همّاً آخر!  
وسأعطيك محبة!  
فأنا الطواف العارف أحمل في صدري قصّة  
من زمن أمير العسكر:  
قالوا قد كان جميلاً حلاه النور الربّاني  
وقديرًا كان . . .  
قالوا تعشى الأبصار إذا نظرت لبهائه  
قالوا قد كان عطوفاً ورؤوفاً وجريئاً وقويّ الساعد  
وحكيماً كان

.....  
وقبيل جلوسي لكتابة هذي القصة  
سألتني في الركن المهجور من الشارع طفلة  
يا عمّي  
ما اسم أمير العسكر؟  
هل تعرف أنت أمير العسكر؟

.....  
يا ذات الوجه الطيب  
أعطيني همّاً . . . آخر!

تشرين الأول ١٩٧٠

## الشتاء العتيق في القرية الحزينة

الشتاء والشمس  
عاد للقرية ثلجيّ الرداء  
وترامى يطرقُ الأبوابَ في بردِ الظهيرة:  
«أنا ما زلت أنا»  
يومها عادت عيون القرية الخضراء تحكي  
بين كل الأغنيات  
عن أغانيها العتيقة»  
لملمتْ كلُّ الرموشِ السود لونَ الذكريات،  
قطعةً حمراء من شمس الظهيرة  
وأطلتْ بين أحداق الرجال  
أشمسٌ أخرى وأقمارٌ صغيرة،  
عندما عاد إلى قريتنا ذاك الشتاء!  
التغير  
«أنا ما زلت أنا»  
ملء عينيك التي تحمل سطرًا من جوار  
ملء آذان الصغار  
يزرعون الليل نجوماتٍ وكذبًا كالنهار  
«أنا ما زلت أنا»  
أيُّ شيء في حناياك تغير؟  
فيك أنت؟  
أي شرخ بين جنبيك ينادي الانهيار؟  
لم تغفو فوق هامات الرجال  
أشمسٌ أخرى وأقمار صغيرة  
وسط أمطار الشتاء؟  
وهو إن عاد إلينا،  
هاتفًا في مسمعينا:  
«أنا ما زلت أنا»  
كل شيء يتغير.  
لم تصلينا الظهيرة  
كلما عاد الشتاء  
الشيء المخفي الآخر  
ذات يوم  
أمسكتُ أيدي الصغار  
غيمةً كانت على وجه القمر  
داعبوها، لاعبوها، أتعبوها

فضحوا وجّه القمر  
بكت الغيمة من حزنٍ عليه  
أصبح الكون بحيراتٍ دموعٍ  
أغرقت لونَ الفرح  
ساحر الليل انفضّح!  
فلماذا يا قمر  
كنت حلّوا . . ذات يوم؟

الحزن  
أعين القرية نامت وسط دمعات الثلوج  
في انحناءات الطريق  
رأسها مال على الجنب كقدّيسٍ عتيقٍ  
وعلى الجبهة إكليلُ عذابٍ لا يزول  
لن يزول  
طالما الرأسُ على الجنب كقدّيسٍ عتيقٍ  
هذه القرية جوعٌ وولوعٌ،  
واشتياقٍ لابنتسامه  
ربما نبسم يوماً  
ذات يوم!

الرؤيا  
«أنا ما زلت أنا»  
ملء عينيك التي تحمل سطرًا من حوار  
والقمر . .  
أه لو أن القمر  
كان حلّوا حين عرّاه الصغار المتعبون  
ذات يوم!

آب ١٩٦٧

## سطور في كتاب الثورة

- ١ -

من يزرع الصبّار عاد للجبال  
لكهفه المسروق خلف حائط النهار  
وتسقط الأمطار  
فتسحر الأطفال والزهر  
ويسأل الرجال:  
«هل تستقرّ فوق هذا الشوك قطرةً من المطر؟»

- ٢ -

«قد يخطئ الإنسان لحظة الغضب  
لكنه إذا قضى حياته بلا غضب  
فإنه يعيش حتى الموت مخطئاً!»

- ٣ -

ثمّ في العراء ألف عام  
ولا تنم لليلة في منزلٍ مشقّق الجدران!

- ٤ -

هل تقصف الرياح جذع السنديان؟  
ومن يحرك الجبال؟  
فما لنا نرى الرجال أودية  
وبعضهم كأفرع اللباب . . مستهان؟

- ٥ -

ما أكثر الذين هاجروا إلى المدينة المنورة  
لكنّ واحداً فقط  
مضي «لبطن ذلك الوادي»  
وصوته نذير مجزرة:  
«من شاء فليتبّع»  
وما مضى في إثره أحد!

- ٦ -

لا يسكن البركان قمة الجبل  
إلاّ لأنه يثور!

١٧/١/١٩٦٩

## التَّرك

الكل في انتظاركم،  
ووجبة العشاء  
وساق جثة. وفك كلبة، سيناء، أنظمة،  
وغرفة المترجمين خلف ذلك الزجاج  
ونحن نتقن المشاهدة  
وبعدُ،  
ما انتهى الخطيب من . . .  
أنا أطوف حول كل هذه الأروقة المضاءة  
هل تجرؤين أنت يا راقصة العشاء  
أن تجمدي ساقيك  
لحظةً  
لتطلبي العشاء  
لو شعرت فجأة بالجوع؟  
وفي مساء أمس كانت السطور أسرع:  
(كان الشجر مزروعاً وبه ثمر  
أنت طائرات الأعداء  
ضربت المخيم والشجر  
احترقت الأوراق الخضراء  
سقط الورد  
سقط التفاح  
وسقطت بنت الجيران  
مخيم البقعة  
- نوال أحمد - ٨ سنوات)  
وأنت ترقصين جائعة  
والويل أت حين تتحنين للجمهور  
والعازفون يخرجون بانتظام  
ويغمر العرق  
فخذيك والنهدين والجبين  
(احترقت الأوراق الخضراء)  
تسربوا إلى شوارع المساء  
وكان في جبين كل واحد قضية  
وفوق كتفه قنيل  
وابتدأوا في البحث عن حديقة  
.....  
وأنت وجهٌ قادمٌ لكنني

أهْمُ أَنْ أَدِيرَ ظَهْرِي.

.....  
أنا أطوف حول كل هذه الأروقة المضاءة  
ووجه ذلك القَتِيلِ سيِّدِ المَشَاهِدِ  
وليلُ هذه الجبالُ . . .  
فلتُقْبَلِي!  
سقط الورد  
وكثرةُ الأبواب تستوقفني  
وقلتُ: سجنِي زائفٌ  
وقلتُ أَكْتُبُ القصيدة  
كان الشجر مزروعًا وبه ثمر  
فلتُقْبَلِي عليَّ أو عليه!  
رحلتُ مع عيونه سنينُ  
وسرتُ حاملاً له أمتعتهُ  
وكوبُ مائه القليل كان جسراً بيننا  
وخبزُهُ اليوميُّ من طابوننا  
وجدتِي هي التي قد نسجت قميصَهُ الصوفيَّ  
في شتاء هذا العام،  
ومن صديقتهُ  
أنا حملتُ هذه الهديةَ الملقاةَ عن يمينه  
فإنني أخوه  
وربما ابنُ عمِّه أو ابنُهُ الوحيدُ  
وإنني أشابِكُ المسيرَ والوقوفَ  
أهْمُ أَنْ . . .  
فلتُقْبَلِي عليَّ أو عليه  
سيدتي  
هل يطلع الـ . . . ؟  
وها أنا لا أعرف الذي أريد أن أقوله  
ولا تحاولون أن تستأنفوا إتمام هذه السطور  
وسقطتُ بنتُ الجيران!  
من الذي أشار للتشابه الجليَّ في الوجوه؟  
فذلك القَتِيلُ لا يزال يرقب المشاهِدُ.  
وكلنا نهَمُّ بالمغادرة  
لكنني  
أريدُ أَنْ أوقِعُ القصيدة:  
مريد البرغوثي.